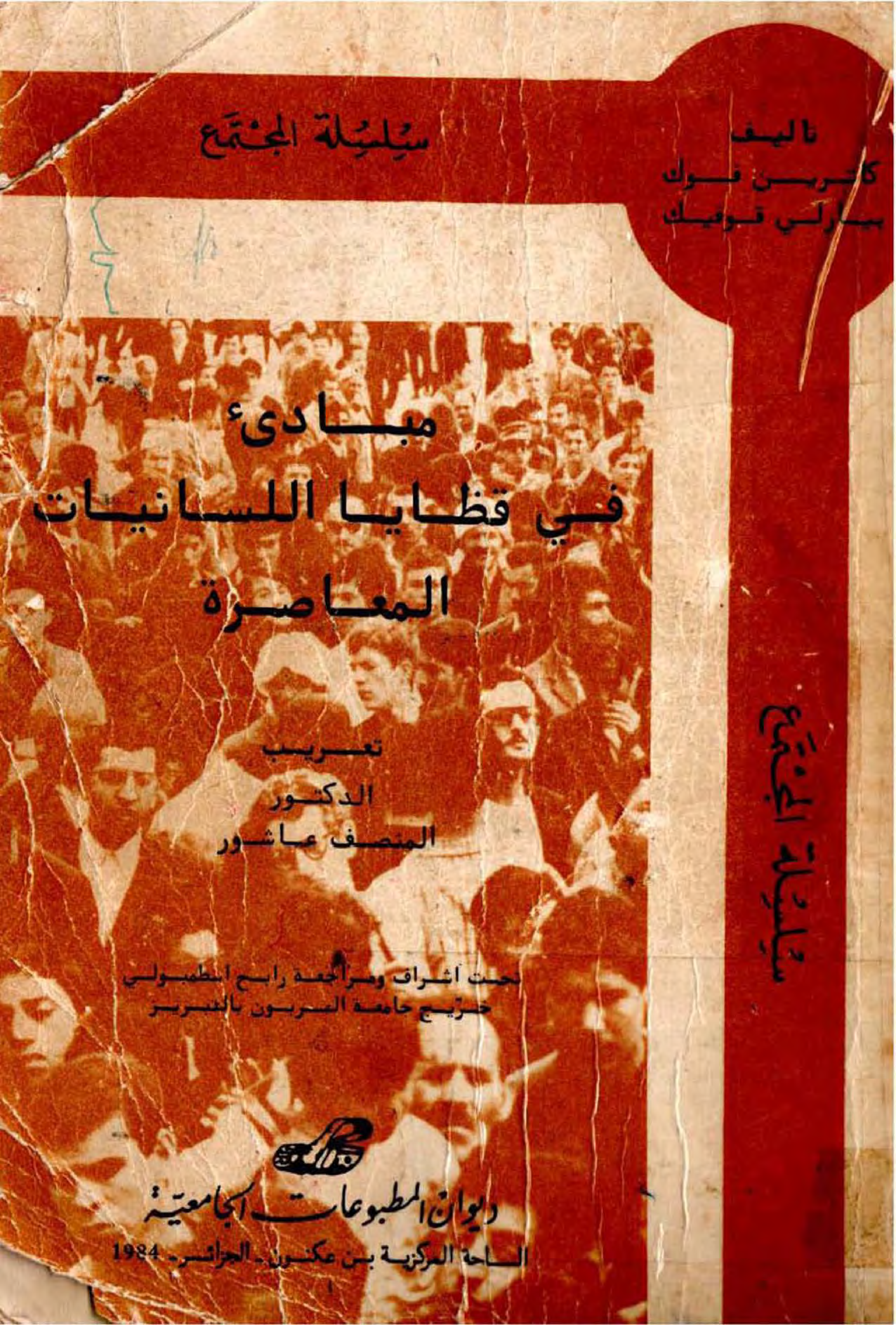

سلسلة المجتمع
تأليف
كاترين فوك
بيارلي قوفيك
مبادئ
في قضايا اللسانيات
المعاصرة
تعريب
الدكتور
المنصف عاشور
تحت أشراف ومراجعة رابح اسطمبولي
خريج جامعة السربون بالتبريز
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية بن عكنون - الجزائر - 1984
سلسلة المجتمع

تأليف
كاترين فوك
بيارلي قوفيك

مبادىء في قضايا اللسانيات المعاصرة

تعريب
الدكتور
المنصف عاشور

تحت اشراف ومراجعة رابح اسطمبولي
خريج جامعة السربون بالتبريز

ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية بن عكنون ـ الجزائر ـ 1984

ـ فهرس المواد ـ

تمهيـد التعريـب

يتسم هذا الكتاب بشموله قضيـة اللسانيات المعاصرة حسب توزيعها الى اتجاهات ومدارس أقامت مشروعية وصفها الظاهرة العلامية وركزت طرق استشكافاتها فـي ضوء ما تقدمه من منوال لتحليل الكلام وأنظمة العلامات .

وصار من المسلمات الان أن اللسانيات تتقفي النظام العلامي في حركته الانية والزمانية لتبدع ضربا من المنهاجية الوصفية والتقييمية للبلاغ في مختلف أنماط تركيبه من حيث الصوت أو الصيغة أو التركيب، أو الدلالية، وذلك متوفر التشييد في مجالات العربية ولا يمكن فصل الاستخبارات اللغوية الخاصة عن البحث العالمي علما بأن اللسانيات عـالـم تتصافـر فيه مجموعة من العلوم الاخرى تداخلـت الاختصاصات فيها فكان يعسر فصها عن اشكالية المعرفة عموما .

وهذا الكتاب على صغر حجمه يعرض لاهم الجوانب في درس الكلام ويورد الاتجاهات الكبرى في المدارس اللسانية الحديثة ويقف عند مجموعة من المنوالات التي أفرزها البحث الموغل في التجريد والشكلانية للظواهر الابلاغية التي تنطلق من الكلام وتعود اليه .

التعريب في اللسانيات :

هي قضية شائكة لا تخلو من الجرأة لما يحف بها من مزالق رغم شدة الحذر في ترجمة الشكل الاجنبي الى التنظيم العربي وبالخصوص باب المصطلحات الفنية . ونحن نعرف تشعب المناقشة في هذا الميدان ونعرف أن اللسانيات في العربية حقل في طور الكشف ومعدن يتواصل النظر فيه .

فحرصنا على توخي الترجمة المتسامتة مع النص الفرنسي، وفي رؤيتنا ما يجري في العربية من ترجمات ومصطلحات علمية تخص اللسانيات العامة واللسانيات

العربية،وكان الحرص ثابتا في تقليب المصطلح أو العبارة أو المفهوم قبل تخيره واعتماده في نص عملنا، ويغلب على هذا الكتاب استعمال الفاظ أخذت من الانقليزية فكان تعريبها عبارة عن سلسلة من التقليبات العلمية قبل الاستعمال النهائي.

فمن مشمولات التعريب تتبع ما يجول من مصطلحات لغوية في البحث العلمي العربي وخاصة ما كان موضع اتفاق وشاع لدى أهل اللغة والنحو. فالترجمة تلتصق بالنص دون "خيانة كبرى"، وليست الترجمة دائما "خيانة" ان العلمية أو اللسانيات تمدنا بمنهاج دقيق يوفر أكبر ما يمكن من أوجه الجدوى والنجاعة في نقل نص من لغة أولى الى لغة ثانية.

وهذا النقل عملية معقدة (انظر كتاب جورج مونان في قضايا الترجمة) لكنها تحافظ على دلائل النص ووحداته المميزة وهو ما حرصنا على تحقيقه في هذا العمل الذى سيدفع الى العديد من الملاحظات والمناقشات تثرى ميدان اللسانيات وتبلور القضية اللغوية في العربية حديثا.

مقصـد الكتـــاب :

ان هذا الكتاب عبارة عن منطلق تعريفي في اللسانيات المعاصرة مع انتقاء في بعدين : في مستوى النصوص النظرية التي تعرض اجراءات الكلام وفي مستوى التطبيق العملي أى في ايراد روءية عدد من العلماء (أنظـر تقسيماتهـم حسب ما لهم من منوال) فكان الكتاب تعليميا غايته الاخبار والافادة، الاخبار حول الاتجاهات اللسانية ومن يمثّلها من اللغويين،والافادة للقراء الذين يسعون الى الاطلاع على الخطوط الكبرى في الحقل اللساني وذلك في اقتصاد وايجاز.فسيجد الجمهور من الطلبة والباحثين منجما للبحث وعينا لا تنضب في التعريف باللسانيات في أحدث صورها التي أدركتهـا.

فالكتاب يستعرض في أبواب يسيرة لمختلف القضايا المتعلقة، بتاريخ اللسانيات والتنظير الذى يسود البحث اللغوى في العصر الحـالي ولما يكتمل فيه الحكم على المكتسبات التي تسمح بها المدارس والاتجاهات في ذلك المجال، ويتميز الكتاب بغلبـة جانب التفكير النظرى والاختلاف في المبادىء والمسلمات

وقد يكون ذلك مصدر مشقة يعز معها على القارئ ملكة مادة الكتاب اللسانية. فالحقل التنظيري يحتل المكان الاكبر في هذا الكتاب وهو ما قد يحول دون تحقيق الغاية العملية التعليمية ويحصر النص في أفق المختصين في اللسانيات العامة.

ومع أوجه الغموض نستشف من هذا الكتاب طوافة هي منبع التميز والافادة وهي تداخل العلوم اللسانية بغيرها من المعارف بالاضافة الى سهولة التناول والاقتصاد الكمي من حيث عدد الابواب والصفحات فمقصد الكتاب القراء وهم ضربان: مطلع مستفيد ومتخصص يستكنه القضايا اللسانية ليبلوها فيقيم لها مناقشة أو مناقضة.

واما الفائدة فهي مزدوجة: فائدة عامة وهي تعريفية باللسانيات الحديثة وفائدة خاصة وهي اثراء أفق البحث اللغوي في العربية لما يدخلها من مصطلحات مترجمة. ونحن لا نعلق بقية أوجه التميز وأوجه المناقشة والاختلاف.

من مشمولات الترجمة :

لقد اعترضتنا في تعريبنا صعوبة في نقل العديد من العبارات والمصطلحات فرجعنا الى آخر ما ظهر من كتب معربة في اللسانيات وخاصة كتاب الاستاذ الطيب البكوش (تاليف جورج مونان تحت عنوان ـ مفاتيح الالسنية ـ منشورات الحديد ـ تونس ـ ١٩٨١) ، وهو عمل له قيمته عندنا في تعريبنا مع الاختلافات الحاصلة في النص وهو أمر بديهي. (أنظر التمهيد ـ ص ١٣ ـ ١٦ من نفس الكتاب).

ولعمري ان التعريب لحاجة طبيعية في العربية اليوم. ولابد من شكر من افادونا بملاحظاتهم أو بتشجيعهم على طرق باب التعريب في اللسانيات وتجشم القضية وأذكر استاذنا عبدالقادر المهيري من تونس ثم بالخصوص الاستاذ رابح اسطمبولي من الجزائر الذى أشرف على هذا العمل وتتبعه وتكلف مشقة اعداده وابرازه لفائدة العلم والمعرفة.

المنصف عاشور ـ الجامعة الجزائرية ـ
سبتمبر ١٩٨١

تمهيـد المـوءلف

يتألف هذا الكتاب من سلسلة من النصوص المقتضبة تخص الموءلفين (سوسور تشومسكي...) أو المجالات (علم وظائف الاصوات، عملية التلفظ ...) مرتبة حسب الزمان وهو يعكس التحولات ومستوى التطور في اشكالية الدراسات اللسانية، ويتبع كل فصل بقائمة موجزة من المصادر والمراجع معلقا عليها.

ومقابلة بالعديد من المقدمات المتواترة في اللسانيات فان هذا الكتيب الذى لا يزعم فيه تحقيق الاستقصاء يوفر وهو ما نرجوه بعض الايجابيات مثل أنه يوءكد على الابحاث الجديدة وهو ما لم تتصف به عادة الكتب من هذا الحجم، ونرى أن مجرد العرض الموجز للدراسات مثل أعمال شـومسكـي و "لاكوف" و "مالتشوك شلكوفسكي" أو "كوليولي" انما هو عمل ممكن وهو مصدر التفكير في اللغة والوصف الذي يسعى الى وضعه اللسانيون وما كان من اختلافات بينهم ليس فقط من طبيعـة فنية ولكن يترجم عن روءى غالبا ما تكون عميقة التباين في مسائل طبيعة اللغة والعلاقات المقامة على أساسه بين المتكلمين والواقع الاجتماعي والعالم الخارجي.

فهذه المقدمة تبلغ للقارئ نظرة حول الطريقة التي نعالج في ضوئها تاريخ اللسانيات ومن المعقول مثلما هو الشان للعديد من المقدمات أن لا تدرك الا بعد ختم القراءة.

ونرجو أن يساهم نشاط القارئ الفكرى الشخصي في اكتمال هذه الصفحات وهذا التفكير هو الكفيل وحده أن يمثل خاصية ما له من "مقدمة في اللسانيات".

- مقدمة المؤلف

ان ما يثار من ضجة حاليا حول اللسانيات قد يؤدى الى نسيان جهلنا الكبير في مادة اللغة اذ أن معرفة ماهية اللغة تقتضي ضرورة أن نفقه الوسائل المادية التي ينتج بها الكائن البشرى بلاغا في اللغة الطبيعية ويحلله، وهو ما يفترض خاصة معرفة ما يجرى في المخ،،فما من أمر الا ويتعلق بالخلايا العصبية،، والمخ يتركب من مليارات من الخلايا التي تتصف بعمل معقد يتجاوز في الوقت الحالي البحث العلمي تجاوزا كبيرا .

وما نعرفه ينحصر في بعض "المنزلات الدماغية" وهي تمكن من تحديد منطقة اللغة في المخ أو بعد حادث جسماني أو عاطفي قد يصاب البعض باضطرابات لغوية (مثل استحالة تسمية شيء معين جوابا على سؤال: ما هذا؟) فيتجلى لنا عند ذلك مدى عجزنا على المعالجة نتيجة جهلنا التام للظواهر المعنية.

وكما لا نعرف ما يجرى من عمل عند التكلم فنحن لا نعرف كيف نتعلم التحدث، والدراسات في هذا المجال تبدو رهينة المنطلقات المبدئية المتوخاة منذ البداية أى الرؤية الفلسفية عند المفكرين المسبقة في موضوع اللغة: وما نعرفه من أمور عبارة عن نتائج سلبية فنحن لا نبلغ قدر الكفاية فيما يتعلق بفكرة التحكم الشامل سواء للمحيط (وهي نظرة سكينر) أو بطبيعة الابنية التي قد تختم في مخ الطفل (وهي نظرة تشومسكي). وتسعى الابحاث المتقدمة حاليا الى التوفيق بين نظرتين: الاولى تكمن في النمو الحركي حسب فترات لكل واحدة اكتمالها وانسجامها والثانية تتمثل في وضع رابط غير آلي بين اكتساب اللغة والتطور المعرفي والعاطفي (مسألة الانتماء الاجتماعي).

ولئن كان الانطلاق أو غيره من رؤية توليدية فان دراسة اللغة تؤدى الى دراسة العلاقة بين اللغة والفكر وفي هذا النطاق أيضا يبدو من العسير أن نميز جانبا عن اجانب آخر من حيث التعليل المتبادل بينهما،والحل انما هو في

أن نبحث بمقتضى تقطيع جدلي يدرك الجانبين في آن واحد من ناحية مالهما من خصوصية وتكاملية.

وفي هذه الحالات نتساءل: ماذا تمثل "اللسانيات"؟ واذا كان وجود علم لغوى مشروعيا قائما فاننا نعترف بان ما بلغتـه درجة معارفنا قد يكون حقيقا بالا نـبرز هذه التسمية التي غالبا ما نصرح بها.

فاللسانيات لا تغطي الان الا قسما يسيرا جدا من الحقل الذى قد يكون علما لغويا (أو بصورة حصرية المعطيات اللغوية) دون أن ندرك حقيقة النشاط اللغوى وصحيح أننا في سنة ١٩٧٥ نقول بأن (اللسـانيـات) تنظر في النتائج لا في انتاج اللغة حـتى وان كانت المجهودات الاكثر تطورا تنزع الى صهر هذين المظهرين مما يؤول الى تغيير الموضوع المقصود والموضوع الواقعي (لدراسته) ــ أنظر فيما بعد الفصلين ١١ و ١٢ ــ.

ومما يسترعى الانتباه دراسة مختلف القضايا المتعلقة باللغة وذلك نادر من زاوية نظر واحدة مفردة، فالتفكير الفلسفي في اللغة ودراسات اللسانيين و النحاة تؤلف نهجين قلما مزج بينهما تاريخيا.

ومع ذلك توجد أوجه الالتقاء وأهمها عمل "بور، روايال" (Port-Royal) (في المنطق والنحو) المقام على مبدا نظرى تشاكلي بين بنية اللغة وقوانين الفكر (تشاكلية لها عمادها واستعمالها في المنطق) ولا يمكن أن نهمل أهمية "بور ــ روايال" الى اليوم فالنحو المعلم تقليديا في المدارس الفرنسية انما يعود الى توخي الافكار الرئيسية (ومن الشواهد لفظ التحليل "المنطقي" نفسه) وذلك حتى وأن كان التوازى المنطقي النحوى غير مطلوب بصورة جلية.

ومن المتفق عليه اليوم في الاوساط اللسانية أن ننشد صفة "علمية" لسانيات "حديثة" لتكذيب تلك النظرية اللسانية الا وهي "النحو التقليدى"، وممن اليقيني اهمالنا متانة هذا التقليد ويكفي أن نرى كم هو من العسير التخلص من هذا "النحو التقليدى" أو مقارعته بروئية جذرية جديدة فالى هذه الطريقة التقليدية يدعو الان تشومسكـي في وضع الاصول المبدئية (فيما يتعلق مثلا بالابنية العميقة) أو في اقتباس مقولاتها في التحليل.

ولقد تم الفصل بين النهجين في النظر (التفكير الفلسفي والدراسات النحوية) اثناء النشاة مع سوسور في بداية القرن العشرين، لما يطلق عليه "اللسانيات الحديثة"، فهذه اللسانيات أقيمت على تعريف تحديدى لمادة اللسانيات التي رجعت الى دراسة الاشكال: "فاللساني يحمله على التفكير أن قضايا اللغة الخاصة، وهي بدءا قضايا شكلية، لا يمكن أن تجلب نظر الفيلسوف وان عناية هذا الاخير انما تنصب أساسا عند النظر في اللغة على المفاهيم التي لا يتقاسمها اللساني، وقد يتخلل هذا الموقف شيء من الاحتشام ازاء الاراء العامة لكن كره اللساني لجميع ما يوصف عامة "بالغيبي انما ينبع قبل كل شيء من وعي حاد متواصل للتميز الشكلي في الظواهر اللغوية وهو ما لا يدركه الفلاسفة" (بانفينيست، ١٩٦٦ ص ٢٦٧).

وبالفعل أدى نفي الغيبية غالبا الى نفي المعنى وهذا الرفض من مميزات الطريقة البنيوية مهما كانت المجهودات لاقامة دلاليات بنيوية، وكنا نطمع في أن هذا التحديد في حقل اللسانيات سيمكن من تاليف موضوع علمي له تعريفه التام واستقلاله غير أن تطبيق اللسانيين أوضح عكس ذلك فالاطار الضيق للبنيوية سمح بتطور علم وظائف الاصوات وتوفير تقنيات التحليل المحدودة المدى، ولكن لاح أن الوصف المجرد "للغة" بقطع النظر عن الرجوع الى قضايا العلاقات بين الانسان واللغة والكون انما هو ليس فقط ناقصا بل محالا والبنيوية لا تيسر بنجاح النظر في هذه القضايا.

فآل الامر باللسانيين الى اعادة النظر في توسيع حقلهم النظرى وهو ما جر، من بين ماجـــر اليه، الى التقريب بين النهجين (التفكير الفلسفي والدراسات النحوية) من جديد، واعيد اعتبار قضية المعنى في دراسة اللغة باعتباره نشاطا للمتكلمين في مستوى علاقة مع الكون وفي ذلك تكمن الاشكالية المشتركة في الابحاث المعاصرة مهما كانت اختلافاتها أو سلبياتها.

فهذه الابحاث تقترض من عدة اتجاهات مختلفة مثل مدرسة فلاسفة أكسفورد ("فلاسفة اللغة العادية"، أنظر فيما يلي الفصل ١٢) والظواهرية (أنظر فيما يلي الفصل ١٢ ومفهوم عملية التلفظ عند بانفينست) ونظرية الايديولوجيات (الابحاث في "اللغة والخطاب") والاعمال الاخيرة في الانظمة الشكلية (أنظر فيما يلي الفصل ٧) والمنطق (أنظر الدلاليات التوليدية، فيما بعد، الفصل ١٠) وحتى علم التحليل النفسي الخ.

ان هذه البحوث جميعا عبارة عن مقدمات ومحاولات مسعاها اقامة "منوال للنشاط اللغوى" وهي جزئية غير منظمة مما قد يوءدى الى صعوبة عرضها للدرس والمقاربة، وتوسيع هذا الحقل (واللسانيون لا يمكنهم الاعراض عن فرويد وماركس) يثرى الاشكالية أى يصيرها أكثر انفتاحا ويضاعف من تعقدها ومن صعوبة تطويرها، ويعسر على اللسانيين من حيث الاعتبار والتقسيم لمختلف العوامل المتواجدة في طريقة نشأة الدلالة.

"فالشكلانية" يجب الا تغرينا في هذا المضمار فهي غالبا ما تكون مهيمنة ويطلق هذا اللفظ غالبا على طرق مختلفة للترقيم وهي ليست عملية عقد وليست عنصرا مثريا يسمح بعمل متين انطلاقا من مجموعة من المعطيات ـ والخطر كامن في اعتبار عملية العقد تعوض نقصا في التفكير اللساني المحض وتخفيه أو قلة اكتراث بالظواهر اللغوية ـ ومن ناحية أخرى يجب الا ننسى أن الشكلانية (حتى وان كانت حسنة منهجيا) انما هي عبارة عن تشكيل لنظرية في لغة خاصة بحسابيات من قبيل الرياضيات أو المنطق وحتى اذا ساهمت الشكلانية في اختبار النظرية ودفعها الى الامام فانها ليست الا أداة تخدم تلك النظرية فنحن أبعد ما يكون من الصفة الشبه سحرية المنسوبة للشكلانية!

وفي نطاق الابحاث لاقامة طرق الدلالة عمد اللسانيون الى صوغ نظريات بالغة التجريد والتعقد، ومما لا شك فيه قد توءدى بذلك ولاول وهلة الى الضلال لكن يبدو من المحتمل جدا أن التقدم في هذه الوجهة سيجعل للنظريات حظا كبيرا لكي تقترب بقدر معين مما يجرى فعلا أثناء عملية "الخلق ـ الفهم" للغة وقد تتميز اللسانيات البنيوية المتقدمة بهذه الخصائص اذ هي لا تسعى الى العمل بتوخي المقولات (وهي شبه مسميات سكونية) فحسب بل الى اعتماد عمليات في مستويات مختلفة (سواء التحويلات في النحو التوليدى أو عمليات التلفظ والاسناد عند (كوليولي) أو مقتضيات الاشتقاق عند لاكوف).

ويبقى الخطر في هذه النظريات الجديدة أنها تتناسى اللغات في تنوعاتها وخصوبة أجزائها.

فاللسانيات تبحث عن توازنها بين الاختبارية لطريقة الملاحظة ووصف اللغات (وحدودها أصبحت مسلما بها) وبين التفريعات التنظيرية لمناول اللغة وهي ضرورية ومغرية لكنها لا تكفي بذاتها وتعسر مراقبتها بدقة اذا نحن لم نحكم الاخذ بآخر الحلقات من السلسلة.

الجـزء الاول

فـــي
بعض الاتجـاهات البنيويـــة

أ ـ سوسور :

أصبح من التقليدى أن نعتبر "فردينان دي سوسور" "أب" اللسانيات فبفضله كسبت الدراسة اللغوية مرتبة العلوم ، ونستوحي في عملنا هذا الاعتبار متناولين بالتحليل والنقد أهم جوانب هذا المذهب وسنعيد النظر في الخاتمة في هذه الروءية .

١ ـ سوسور : قطيعة بالقرن ١٩؟

ان الاتجاهات التي خص بها القرن ١٩م في موضوع التفكير اللغوى يمكن أن تجمع كما يلي :

فبعد اتجاه فيلولوجي يدرس النصوص المكتوبة لغايات وصف التاريخ الادبي والعادات أصبحت اللغة موضوعا للملاحظة في حدّ ذاتها وذلك مع النحاة المقارنين (مثل ڤويم وهمبولدت) وعلى اثر دراسة السنسكريتية وبعث نشاة الهندية الاوروبية المفترضة صارت قضية أصل اللغة والتاريخ وانتماء اللغات محور المشاغل فاللغات كمثل الاجسام الحية تتطور (وهي مرحلة كوفيي Cuvier) وبعد ذلك وردت المدرسة التي عرفت "بالنحاة الجدد" وقد وصفوا أحيانا بانهم من "السابقين في اللسانيات" اذ هم جعلوا العلاقة بين نمو اللغات والنمو الاجتماعي تحتل المنزلة الثانية من اهتماماتهم التي تركزت في المقام الاول على وضع القوانين الصوتية .

وازاء هذه الاتجاهات بدا سوسور هو المبدع اذ هو الاول الذى وفر روءية نظرية في طبيعة الموضوع الذى يوءلف اللغة والمنهاج في معالجتها فهو لم يقنع اقتناع من سبقوه فلمّ المعطيات وانما وضع وجهة نظر حول الموضوع واطارا عاما يعقد فيه تنظير تلك المعطيات (اللغوية) .

ففي هذا السياق فتح سوسور التفكير العلمي في اللسانيات وما تحول الى العلمية عبارة عن تفكير يدلي نفسه بمفاهيمه ومناهج التحليل الخاصة به ، وسننظر تباعا في المفاهيم الرئيسية التى اقترحها سوسور مع محاولة تقييمها وافادتها النظرية .

٢ ــ حدّ المادة وموضوع الدرس:

انّ ماللسانيات من قطاع واقعي تحتم النظر فيه،ومادة البحث انّما تعرّف كبقية مجموعة المظاهر في اللغة البشرية،ينفي جميع التضييقات ، فهذا القطاع يغطي جميع اللغات ومراحل التاريخ ومختلف أشكال التعبير ، وهذا الصنف من التعاريف مميز للرغبة من جعل اللسانيات علما وصفيالا اختصاصا تقعيديا ونلاحظ خلال هذا ان ذلك الحرص انما كان معهودا لدى النحاة الجدد .

وأمام هذا المعطى الخام المتمازج يجب على اللساني أن يحدّد لنفسه موضوعا انطلاقا من متبدا نظرى موحّد فالموضوع ليس ملموسا منذ البداية وهو لا يبرز للملاحظ البسيط وانما هو يعرّف على أساس روءية نظرية : "انّ وجهة النظر هي التي تخلق الموضوع" (سوسور ١٩١٦ طبعة أخرى في ١٩٧٤ ص ٢٣) ، وهذا الموضوع هو اللغة .

٣ ــ اللغـــــة :

وما لسوسور من روءية فى اللغة انمّا هو في صلبه ثنائى . فاللغة فى نفس الآن حدث فردى وحدث اجتماعي وهي نظام قائم ونظام في تطور ، فاللغة تعاقد بيَن "الاصوات" و "الافكار"،والمفاهيم النظرية التي اقترحها سوسور ترمي الى تيسير دراسة الوجهين لهذه الثنائيات كل على حدة .

فمصطلح "اللغة" (مقابلة مع الحديث) ينزع الى النظر في الحدث الاجتماعي الذى يوءلف الكلام مقابلة بمظره الفردى وهذا المفهوم له دور أساسي في نظرية سوسور وستكون له نتائج كبرى فيما بعد في مسألة تطور النظريات اللسانية ، فهذا اللفظ حسب سوسور هو مبتدأ الانطلاق في تقسيم الظواهر داخل الكلام (وهو "كدس مزيج من العناصر المتخالطة ينعدم الرابط بينهــا" ، سوسور ، نفس المرجع المذكور سابقا) : "وما أن نولي للغة المقام الاول ضمن أحداث الكلام حتى ندخل

ترتيبا طبيعيا في مجموعة لا تخضع للتقسيم " (سوسور، نفس المرجع المذكور، ص ٢٥) .

والمقابلة: اللغة/الحديث، يمكن حسبما يبدو أن تفسّر تفسيرات متعدّدة:

– وهي مقابلة بين قانون عالمي وقوانين خاصة (أو لغات فردية): وفي واقع النظر يبدو هذا التفسير غير مصيب لانّ اللغة (بمفهوم مجموعة التواضعات المتّبعة من طرف الهيئة الاجتماعية للسماح بحركة الوظيفة الكلامية) هي شيء مغاير لجملة اللهجات الخاصة في المجموعة اللسانية.

– هي مقابلة بين المظهر النظرى للكلام (مثلا مجموعة الوحدات والتعاقدات الممكنة بين تلك الوحدات) وتصويره واقعيا (التعاقدات الفعلية) وتلوح وجهة النظر هذه قارة في الاشكالية الحديثة في صورة العلاقة بين اللسانيات وعلم النفس اللغوى وهي محّل نقاش كبير، فهذا الرأى عبارة عن افتراض وجود نظام مثالي متمايز مع المعطيات الواقعية في الاستعمال.

– وأما التفسير الثالث وقد يكون الاقرب الى مفهوم سوسور فيتماثل مع نفس النقد، فهو مقابلة بين قانون عالمي داخل المجموعة اللسانية مستقل عن المتكلمين به وبين العمل الحرّ في توخي هذا القانون لدى المتخاطبين. ولنقد هذا المفهوم نحيل (القارىء) على (Pécheux)، ١٩٦٩، ص ص ٩ – ١٣ .

ولنقتصر على القول ختاما لهذا الرأى ان وضع مقابلة مثل اللغة / الحديث وربط دراسة الحديث بدراسة اللغة كما كان شان سوسور انما هو من ناحية تحديد اللسانيات بموضوع علمي هو قانون مثالي محايد له علاقة بالواقع اشكالية، ومن ناحية أخرى يؤدى الى اعتبار العلاقة بين المتخاطبين والكلام من الزاوية الفردية (وهو ما يفتح الطريق أمام بعض المفاهيم لعملية التلفظ . انظر بعد ذلك الفصل ١٢) ومن هذه الرؤية المزدوجة تناقش خاصية العلمية في عمل سوسور: فهل يقام انشاء موضوع متناسج "مصفى كيميائيا" على المزج بين "الاجتماعي" و "العالمي المحايد"؟ فهذا المزج نتيجة نسيان الصفة التخالفية للواقع الاجتماعي (أو أثره في الكلام) وهذا النسيان الذى يسمح بمعالجة اللغة باعتبارها

نظاما منغلقا من العلاقات (أنظر مايلي، الفقرة ٥) قد يكون من بين العناصر الاساسية التي وفرت امكانية بناء الطرق المشكلنـة في اللسانيات.

٤ ـ الانيـــــة :

ولكي ندرس موضوع اللسانيات (اللغة) هنالك طريقتان ممكنتان تتقابلان حسب سوسور في حالة من حالات اعتبار اللغة كنظام قائم بنفسه أو كنظام متنام، فالطريقة الاولى تؤدى الى الدراسة الانية (وموضوعها حالة التوازن للنظام فى نقطة معينة من الزمان) والطريقة الثانية تؤول الى الدراسة الزمانية (تهتمّ بالتغييرات اللسانية) وهي مقابلة يصورها سوسور في شكل مقارنة بلعبء الشطرنج (سوسور، مايلي، ص‌ص ١٢٥ ــ ١٢٧).

• وفي ذلك أيضا يفضل سوسور وجها عن وجه من الثنائية فالدراسة الاتية يجب أن تكون الاولى. وما التطور الا عبارة عن (وهي رؤية صارت من باب البنيوية) تنقل من حالة (كلامية) الى أخرى.

وهذه الاولوية الممنوحة للانية تختلف مع وجهة النظر التاريخية المتوخاة الى ذلك الحين في دراسة اللغات وهي تؤلف العمل الثاني من أعمال سوسور التي توصف عادة "بالعلمية" ونضيف لنلاحظ في هذا المجال أن الوجه المفضل عند سوسور له خاصة مثالية فكما أبان ذلك مارتيني (١٩٦٠، والطبعة ١٩٧٤ ص‌ص ٢٩ و ١٧٣) تعتبر المقطوعة الانية تصوّرا ضروريا وهي نقطة استقرار قصيرة لاكينونة لها الا في البعد النظرى داخل نظام متنام، وهذا الاختيار النظرى عينه ليس من المسلم به فاذا كانت الانظمة المستقرة مثالية فلماذا نمنحها الامتياز ونعتبرها من نقط المنطلقات النظرية التي بها يختص التطور؟

٥ ـ نظرية العلامـــة :

وبعد تعريف موضوع اللسانيات ومنهجها نصل الى قضية المفاهيم والوحدات والمستويات في تحليل الكلام.

فنقطة الانطلاق النظرية فى التحليل تكمن في مفهوم متقاطع للموضوع فالكلام مركب من وحدات متفاصلة تحدّد تعاملية.

ولا تتضح الوحدات منذ البداية ان الكلام يلوح في صورة كتلة متداخلة يجب تقطيعها "فالكلام له صفة غريبة تشدّ الانتباه وهى انه لا يوفر عناصر ملموسة لأول وهلة دون أن نشك فى انّها موجودة وانّ تعاملها بعضها مع بعض هو الذى يوءلفها" (سوسور، المرجع المذكور، ص ١٤٩).

وهنا أيضا يروم تعريف الوحدات ابراز ثنائية هي الاصوات / "الافكار" (أو "التفكير")، فيقول سوسور (نفس المرجع ص ١٥٦).

— "انّ الوظيفة المميّزة للكلام بالمقابلة مع التفكير ليست خلق وسيلة صوتية مادية للتعبير عن الافكار وانما هي أن تستعمل كواسطة بين الفكر والصوت في ظروف معيّنة تسمح بترابطهما الذى يوءدى ضرورة الى تحديدات متبادلة للوحدات" وهذه الوحدات الاساسية للغة هي العلامات والعلامة ربط بين مدلول (مفهوم) ودال (صورة مسموعة).

وهذا التعريف يخلق قضايا كبرى سواء في مستوى التأويل النظرى لما يقصده سوسور بدقة من "الدّال" و "المدلول"، أو في مستوى عملية التقسيم للوحدات، ففي المستوى النظرى نقف عند مصادرتين مميزتين لعمل سوسور وهما اعتباطية العلامة ونظرية القيمة وبعد ذلك ندرك المصاعب العملية فى التحليل.

٥ — ١ — اعتباطية العلامة:

نلاحظ فى البداية أنّ نظرية العلامة تمثّل قطيعة بالنسبة للمفهوم البسيط "الذهني" الذى يماثل بين الكلام والتفكير وبين الكلمة والشيء ولا يرى في اللغة سوى قائمة (أنظر مارتينى، ١٩٦٠، طبعة جديدة ١٩٧٤ ص ١٠ — ١٢).

والروءية المركزية لدى سوسور فى اعتباطية العلامة يمكن أن تدرس بمنظارين (وشلك هنا مسلك بانفينيست في ما يقدمه من تأويل لنظر سوسور، أنظر بانفينيست، ١٩٦٦، صص ٤٩ وما يليها).

ـ أولا، يرتبط المدلول (كفكرة الثور / bœuf) بقسم من الاصوات تؤلف الدال (هنا المتتالية Bœf) وذلك حسب علاقة يصفها سوسور بكونها اعتباطية وبيّن بانفيست انّه يحسن أن نقول بأن هذه العلاقة انما هي ضرورية اذهي التي تؤسس العلامة وتؤلفها فمفهوم (المدلول) لفظ Bœuf يماثل حتماً في فكرنا المجموعة الصوتية (الدال) Bœf (بانفيست ١٩٦٦، ص ٥١)٠ وكذلك الشان بالنسبة للمتكلم باللغة الالمانية فالعلاقة ضرورية بين الدال (oks ;) والمدلول المقابل٠

ـ ثانيا، نرى ان "ما هو اعتباطي انما يكمن في ان العلامة المعينة لا غيرها تطابق عنصرا معينا من الواقع لا غيره من العناصر" (بانفنيست، ١٩٦٦، ص ٥٢) فالاعتباطية تتنزل اذن في عملية تقسيم الواقع (ونعرف أنّ اللغات يمكن أن تختلف في كيفية التمييز بين ألوان "قوس قزح" مثلا) عكس وجهة النظر العفوية للمتكلم الذى لا يرى في العلامة الا اسما للواقع (كما هو، بقطع النظر عن كل أنواع الكلام و "قبل" ذلك) فالاعتباطية لها هنا معنى التواضع (ومحاكاة الاصوات والكلام البيانية هي نفسها تواضع نسبيا) ، وبقي أمر معرفة مصدر هذه التواضعات٠

وهذه الــــرؤية اذن نتيجة نظرية تعريف اللغة كقانون تواضعي وهو ما يؤدى الى أن نعتبر العلامة وحــدة يحال تفكيكهــا ويحسن أن نبحث عن العلاقات بين العلامات بعضها ببعض على أن نسعى الى تحليل الثنائية الداخلية، "فمن الوهم الكبير أن ننظر الى الكلمة كمجرد اتحاد بعض الاصوات ببعض المفاهيم واذا عرفناها بهذه الطريقة فانما نعزلها عن النظام الذى تنتمي اليه فيظن باننا يمكن أن نشرع بالكلمات لبناء نظام بمقتضى عملية جمع في حين أن الامر بالضدّ أى أن المنطلق يجب أن يكون من الكل المتماسك لنحصل تحليلا على العناصر التي يتضمنها" (سوسور نفس المرجع ، ص ١٥٧)٠

٥ ـ ٢ ـ نظرية القيمة :

والقيمة تصاغ باعتبارها جملة العلاقات بين العناصر التي تتجاوز العناصر ذاتها في باب المدلولات أو في باب الدالات او العلامات٠

ـ المدلولات: "انّ المفاهيم عبارة عن خلافيات محضة وهي لا تعرّف ايجابا حسب مضمونها وانّما سلبا حسب علاقاتها ببقية العناصر في النظام وأخصّ خصائصها هي أن تكون مالا تكونه البقية" (سوسور ، نفس المرجع ، ص ١٦٢)٠

٧ ـ خاتمـة :

ويمكن القول في الخاتمة ان جميع مالسوسور من تشييد نظرى يرتكز على تعريفه موضوع اللغة التي تقتضي دراستها نفيا مزدوجا للتاريخ وللواقع الموضوعي (او الاجتماعي) ، وهذا النفي المزدوج له تاريخيا نتائجه الهامة فقد فتح الطريق لسلسلة من الدراسات التنظيمية الشكلية للغات ، ففي جانب علم وظائف الاصوات تعتبر أعمال حلقة براغ (أنظر الفصل ٢) من مواريث التفكير السوسورى. وأما في جانب النحو ، فتركيب مارتيني الوظيفي مثلا مستخرج من مفهوم اللغة باعتبارها دراسة للاشكال (أنظر الفصل ٤) [وبالاضافة الى هذا التتابع الاوروبي للبنيوية نشهد بوجود مقدمات نظرية وطرق متشابهة مع مناهج سوسور عند التوزيعيين الامريكيين (أنظر الفصل ٣) ، وظهر موءخرا عدد من المحاولات الرامية الى دمج الدلاليات في حقل الدراسة اللسانية (وهو ما لم يكن متواجدا بهذه الصورة لدى سوسور) بالرجوع في هذا المجال الى ما وضعه سوسور من منهاجيـة في النحو ، ففي النحو التوليدى (أنظر الفصلين ٨ و ٩) تستفيد دراسة المدلولات من السمات المميزة (كما هو الحال في علم وظائف الاصوات) سعيا الى وصف نظام عالمي الوضع موءلف من مدلولات في صلب اللغة حيث تتقابل الوحدات بعضها ببعض.]

وهذا الشمول ، وقد يكون لامشروعا ، لمنهاجية سوسور انما هو الان محل رفض نظرى يقلب الاعتبار للنفي المزدوج الذى ذكرناه أعلاه ويسعى الى وضع بديل للثنائيات السوسورية التي يشتق منها ذلك النفي وهذا البديل هو اشكالية أخرى ، نظرية تقطع حقل اللسانيات على ميادين مثل التاريخ والعمل الاجتماعي والايديولوجيا (أنظر "Henry Haroche و Pécheux ، ١٩٧١)وخاصية هذه الاشكالية الجديدة أنها تنفي مفهوم القانون المحايـد (اللغة) المقابل للحرية الفردية للمتكلم (الحديث) .

فهذا الحرص على تناول الكلام باعتباره نشاطا ابداعيا وعلى ارجاع مكانة الفاعل ضمن النظرية اللسانية يتوارد في اشكاليات عملية التلفظ التي يبقى اطارها النظرى مشوبا بالغموض (أنظر الفصلين ١٢ و ١٣) .

ومع هذه المراجعات لا يعدم سوسور أن يظل أمارة لمرحلة هامة في تاريخ الفكر اللساني اذ انه الاول الذى بلور ضرورة الروءية النظرية العامة حول الكلام متجاوزا مستوى من الجمع بسيطا للظواهر الجزئية .

المصادر والمراجـع

— ف.دى سوسور: دروس في اللسانيات العامة وقد ذكر هنا حسب الطبعة الاخيرة، (بيروت ١٩٧٤).

وهو كتاب نشر بعد وفاة سوسور على ضوء ملاحظات طلبته. وهو كتاب ضروري القراءة لمعرفة اللسانيات الحديثة وخاصة المقدمة والقسم الاول (المبادىء العامة) والقسم الثاني (اللسانيات الانية).

ويمكن الاطلاع أيضا على هذه المصنفات:

— أ. بانفنيست (١٩٦٦)، قضايا في اللسانيات العامة (قاليمار) الجزء الاول.

وبالخصوص الفصل ٣ ("سوسور بعد نصف قرن) والفصل ٤ ("طبيعة العلامة اللغوية") وهو عرض نقدى واضح حدّ العمل سوسور.

— ك. هاروش	C. Haroche	١٩٧١
ب — هنرى	P. Henry	
م . بيشي	M. Pêcheux	

— "الدلاليات والتفصيل السوسورى: اللغة والكلام، والخطاب" (ضمن مجلة اللغات عدد ٢٤ — ص ص ٩٣، ١٠٦).

وهو نقاش حول النتائج النظرية لبعض المصطلحات عند سوسور.

— أ . مارتيني (١٩٦٠) — مبادىء اللسانيات العامة (كولين)، طبعة أخيرة: ١٩٧٤

وهو نموذج من منهاجية مشتقة من سوسور أنظر الفصل ٤ من كتابنا.

— م . بيشي (١٩٦٩)، التحليل الالي للخطاب، (دونو)

قراءة الفصل الاول ونقد المقابلة بين اللغة والقانون عند سوسور.

II ـ علم وظائف الاصوات :

انّ ما ينتج من أصوات في الابلاغ البشري يوءلف منذ القديم موضوع دراسة يطلق عليها اسم "علم الاصوات"، وقبل سوسور والبنيويين باحقاب طويلة اعتنى الباحثون بطريقة استعمالنا بعض الاجهزة (الحلق واللسان خاصة) لبثّ الاصوات الكلامية وأما علم الاصوات التجريبي فقد ظهر في نهاية القرن السابع عشر وتطور خلال النصف الثاني من القرن الماضي. فالتغييرات في الاصوات اللغوية طوال تطورها الزماني كانت ميدان دراسة كبرى عند اللسانيين في القرن التاسع عشر واستعملت كقاعدة لجميع أعمال الاحياء اللغوية مثل بعث أسرة اللغات الهندية الاروبية.

وبالرغم من هذه المكتسبات المعتبرة فانّ الاتجاهات المبدعة في اللسانيات في القرن العشرين ستقام على ميدان الدراسة الصوتية للكلام وسيتجلى ذلك مبكرا وفي تسارع/فعلم وظائف الاصوات كان وسيبقى المنوال في الدراسات البنيوية، فهي لاحت في صورة عمل ترتيبي للمفاهيم وكوسيلة لادراك حقيقي لبنية اللغة دون الضرب في تعقيدات المعطيات الملموسة وتنوعها، وهو ما يبدو ناجحا في ذلك المستوى لا في ميدان علم التركيب أو الدلاليات اذ أن عدد الوحدات في هذا الجانب هو قطعا محدود (بنسبة بعض العشرات في كل لغة) وهي يسيرة الابراز، ولكن هذا النجاح التام والمحدود لا يخلو من الغموض: هل أنّ المنوال الفنولوجي ينسحب على مجموعة المعطيات اللغوية (مسلمة بنيوية)؟ ففي جميع الحالات تبدو أسباب الشك في ذلك متكاثرة.

١ ـ علم وظائف الاصوات مقابلة بعلم الاصوات :

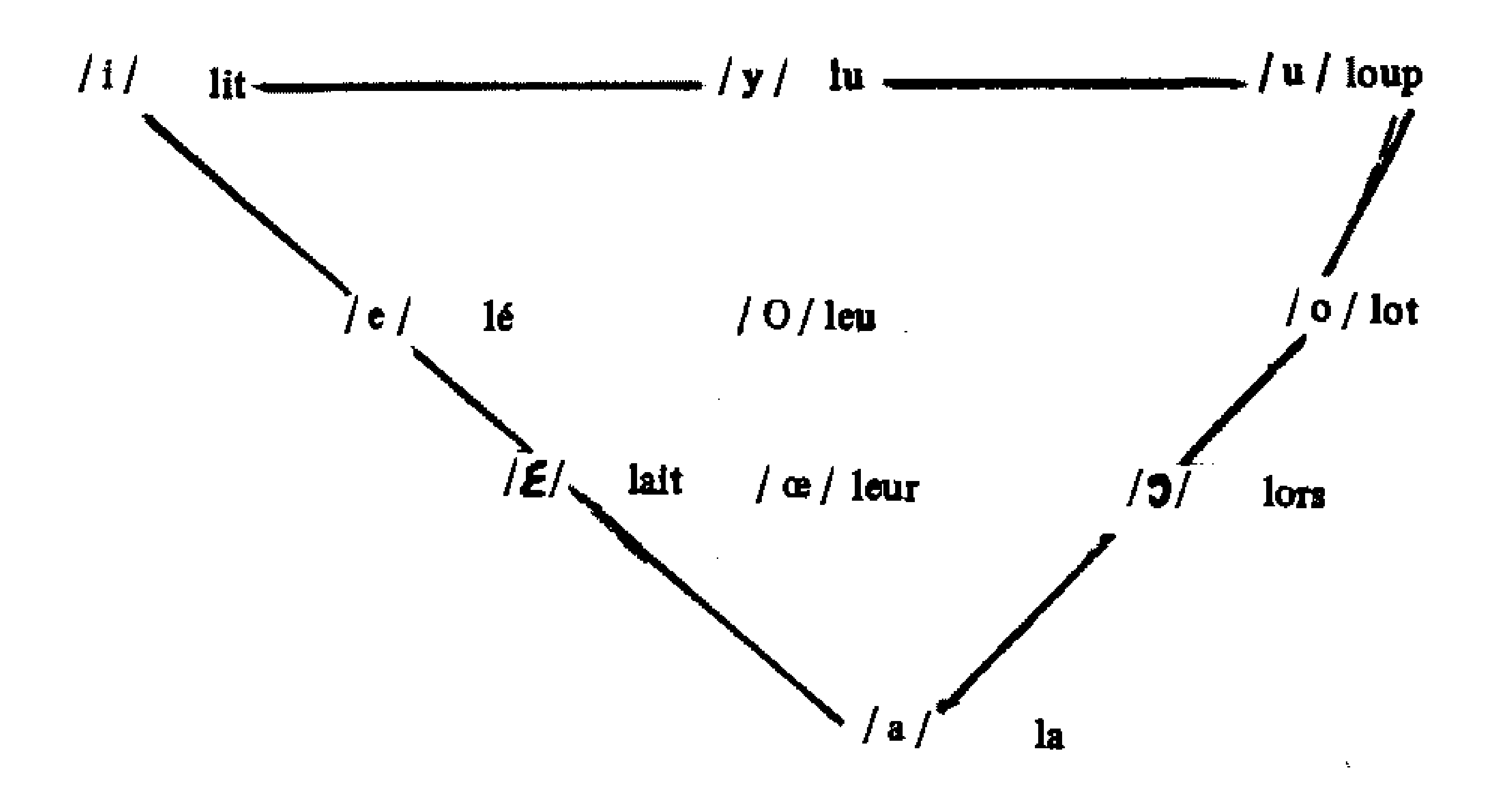
لقد تبلورت الاتجاهات النظرية لعلم وظائف الاصوات لاول مرّة حوالي سنة ١٩٣٠ (أعمال حلقة براغ اللسانية.4 ـ براغ، ١٩٢٩ ذكرها بانفينيست، ١٩٦٦، ص ٩٤) :

- "أنّ المضمون الشعوري للعناصر الفنولوجية لا يبلغ مقام العلاقات المتبادلة ضمن النظام (وهو مبدأ بنيوي للنظام الفنولوجي)...فيجب أن نميّز النظام الصوتي الوظيفي بخصائصه الضرورية وهي العلاقات بين الصواتم أي أن نرسم الخط البنيوي للغة المدروسة".

ومن بين أصحاب هذه النظريات نذكر ن. تروبتسكوي الذي يقول في مقال محرّر سنة ١٩٣٣ (وأشار اليـــه بانفينيســت، ١٩٦٦، ص ٩٥).

- "أنّ تعريف الصوت انما عبارة عن تعيين حيزه في النظام الفنولوجي وهو ما لم يمكن الا اذا أخذنا بعين الاعتبار بنية هذا النظام". ومبادىء علم وظائف الاصوات لتروبتسكوي (١٩٣٩) بقيت في هذا الكتاب الاتبـــاع الكبير للاصوات الوظيفية اذ فيه يحدّد المؤلف طريقة عمل تبدأ بالبحث عن المقابلات الصوتية المتوفرة في اللغة المدروسة (مثلا المقابلة بين lit و lu في الفرنسية وهما وحدتان متمايزتان عند الناطقين بالكلام) ثم تحديد الوسيلة في تحقيق هذه المقابلة (وفي lit و lu هي موضع الشفتين المنقبضتين عند النطق في lit والمستديرتين في lu فيقول بأنّ عمل الشفتين في الفرنسية تنشأ عنه سمة مميزة أو مفيدة) وتسمح اجراءات متماثلة بعد ذلك بفرز وحدات هي، مثل «u» في lu، الوحدات الدنيا (التي لاتفيـد دلالة في حد ذاتها) التي تؤدي الى تركيب وحدات معنوية تحلل في شكل سمات تمييزية "فالصوت «u» في lu يقابل «i» في lit بموضع الشفتين ويقابل «ou» في loup (وهي حركة مفردة وإن رقمت في حرفين) بنقطة النطق (خلفية في «u» ومتقدمة في «ou») وكذلك مع «eu» في Leu (في Saint - Leu - La - Forêt) من حيث درجة انفراج الفم (في " eu. " انفتاح اكبر من «u») فالصوت «u» المعرّف بهذه الصورة هو صوتم (يرقم في شكل /y/ في علم وظائف الاصوات).

ونقدم على سبيل التدليل الرسم (الادنى) للنظام الحركي في الفرنسية في تقديم مبسط جدا و يرقم كل صوتم حسب نظام دولي للترقيم بين خطين متمايلين متبوعا هنا بمثال.



ويضاف الى ذلك الحركات الانفية وهي :

/ ɛ̃ / lin وهو / ɛ / خيشومي (غنّة)
/ à / lent وهو / a / خيشومي (غنّة)
و / c / long وهو / c / خيشومي (غنّة)

والتقديم في صورة رسم مثلث هدفه ابراز "شكل بنية" النظام الحركي في اللغة الفرنسية :

ـ عموديا يلوح تصوير انفتاح الفم ومجموعة الصواتم الاقل انفتاحا (/i/ و /y/ و /u/) من فوق الى الاكثر انفتاحا (/a/) من تحت ·

ـ في الجانب الايسر نجد الصواتم المنطوقة بمقدمة الفم (/i/ و /e/ و / ع /) وفي الجانب الايمن الصوام المنطوقة بموءخرة الفم (/u/ و /o/ و /c/) وهذا التمييز يصير شيئا فشيئا عسيرا بقدر ما ينفرج الفم لاسباب فيسيولوجية محضة ·

ـ في الوسط سلسلة بين بين من الحركات المنطوقة في مقدمة الفم (مثل /i/) لكن باستدارة الشفتين (مثل /u/) ·

فبهذا يتم الوصف للنظام؛ فليس القصد أن نصف شمولا المعطيات المجردة وانما ترمي الوصفية الى درجة قصوى من البساطة ونلاحظ بالخصوص أنّ الحركات الثلاث عشرة (١٣) المذكورة سابقا ترجع بعد التحليل الى ٤ صفات تمييزية :

ـ الخيشومية (مقابلة بين الحركات الخيشومية والحركات الشفوية) .
ـ النقطة النطقية (مقابلة بين الحركات الامامية والحركات الخلفية) .
ـ الشفوية (مقابلة بين حركات فيها انقباض وحركات فيها استدارة الشفتين) .

ـ الانفراج (مقابلة بين الحركات المنغلقة ونصف المنغلقة، ونصف المنفتحة، والمنفتحة) .

فجميع الصواتم لا تقتضي الا ٤ موضحات لتكامل وصفها من حيث وظائف الاصوات (مثل / y / فهو شفوى أمامي به استدارة الشفتين ومنغلق) .

وهذا الرسم يستدعي الاكتمال بتوخي دراسة توزيع الصواتم؛ فهو يمثل مجموعة من امكانيات التخالف التي قد لا تحقق دائما. مثل شان كلمة evènement فجرس الحركتين الاولتين (خاصة الثانية كما تشهد بذلك مرونة المعاجم التي تقبل النبرة الممالة أو النبرة المفخمة) يختلف قليلا عن (e) منغلق تماما الى (ع) منفتح تماما (والترقيم بين معقفين مربعين يعين تخطيطا صوتيا مقابلا للتخطيط الفنولوجي وهو بين خطين مائلين)، وفي هذه الحالة نتحدّث عن محايدة المقابلة / e / – / ɛ / واختيار المتكلم بين الاعواض الحرّة، وفي حالات أخرى من المحايدة يصبح الاختيار ضرورة فأمام / r / آخر الكلمة لا يوجد الا (ع) (في مثل كلمة mère) دون (e). وفي هذه الحالة نتكلم عن العوض التعاملي، وهذه الحالات من هذا القبيل أدّت الى وضع "صوتم جامع" هو / E /.

ثمّ انّ هذا الرسم المشار اليه يبدو مختصرا لاسباب أخرى. فهنالك عدد كبير من الفرنسيين يفرّق الى الان بين là و las وبين empreint و emprunt وبين mettre و maître . ففى ذلك قضايا صغرى تحتّم ضبط ما نريد وصفه من الفرنسية دون النيل من الطريقة المتبعة، فمثال قضية «e» (muet) المختلسة تضايف الواصف اذ يعسر أن نقرّر انتماءها أو عدمه الى الصواتم ـ فلا وجود

لوصف صوتي وظيفي يحل جميع المشاكل بصورة مقبولة لدى كل الناس بالنسبة للفرنسية (فما بالنا باللغة الانقليزية التي توجد حولها دراسات مختلفة شديد الاختلاف).

وهنالك نقطة غالبا ما أبرزها علماء وظائف الاصوات وهي أنّ النظام الذى أقاموه (حتى وان لم يكن مضمونا في جميع الجزئيات) انّما يناسب واقعا عند الناطقين باللغة المعينة فالمتكلم بالفرنسية يدرك الاصوات (في مجال الكلام) من خلال انتقاء نظامه الفنولوجي. وذلك مصدر ما نشعر به من قلق "واستحالة الافهام" عند سماعنا أصوات لغة أجنبية لا عهد لنا بها، فصواتم اللغة الاجنبية تشعرنا بأنها صواتم لغتنا في صورة مشوّهة "رديئة في نطقها" ونعرف كم يتطلب ذلك من وقت وجهد للقضاء على هذا الظنّ ـ فصعوبات السمع الدقيق والتلفّظ بصواتم لغة أجنبية ليست من طبيعة مادية أو فسيولوجية في واقع الامر وانما هي ذات طبيعة نفسانية فنظامنا الفنولوجي الشخصي هو الذى يكوّن حائلا (دون عيب المقاومات العميقة وبالخصوص من باب التحليل النفسي). وعملية المقارنة بين نظامين متنازعين تسمح بالحصول (على مجموعة من التقنيات البيداغوجية. فلنقدم المشكل الذى يعترض الكثير من غير الناطقين بالفرنسية وهو ظاهرة /y/ الفرنسية التي يمزجها البعض بصوت /i/ والبعض الاخر بصوت /u/ فالبعض يشعرون بالمقابلة بين الامامية والخلفية لكن لا يقفون عند الاختلاف الشفوى وهي صفة يجب اعمالها وأما الاخرون فيولون للشفوية من الاهمية مالا يولونه الى اختلاف النقطة النطقية.

٢ ـ في بعض القضايا :

فعلم وظائف الاصوات اضافة الى الاعمال البيداغوجية التطبيقية يدعو الى المقارنات بين اللغات (أنظر تروتبسكوى ١٩٣٩). فيمكن أن نقارب الانظمة وتشكلاتها ودرجة تعقدها والصفات التمييزية المتواجدة بهدف انشاء نظرية في الانظمة الفنولوجية، ففي هذا النطاق بانت عدّة قضايا نظرية هامة. (ونلاحظ في هذا المسار أنّ علم وظائف الاصوات يبدو في الكثير من الاعمال كمعتقد أو مجموعة من الحقائق الحاصلة نهائيا ممّا يؤدى الى تطبيق لا يأخذ بحظ كبير من النظرية). وسنذكر من بين هذه المسائل ثلاثا وهي الثنائية والخصوصيات العامة وتعريف الصوتم.

فقضية الثنائية تقدم كما يلي: هل نعرض بالضرورة الى جميع المقابلات بين الصواتم على اساس انها تقابل بين عنصرين أو عنصر (أو سلسلة من العناصر) له خاصية وعنصر آخر لا يتصف بذلك؟ وفي الامثلة التي أوردناها يتجلى ذلك في صفة الشفوية فالصوتم شفوى أو غير شفوى، وعكس ذلك فان اختلاف درجة الانفتاح (مثلما رأينا) ليس صفة ثنائية اذ هي تتضمن ٤ درجات في رسمنا (المذكور)، وهذا الاختلاف الذى عرف به بالخصوص ر.ياكبسون وهو مناصر (أنظر ١٩٥٢) و ا.مارتينى المعارض (أنظر ١٩٦٥) للثنائية انما هو مظهر من التخالف بين الذين ("وهم الواقعيون") يتقفون المعطيات بعيدا عن انشاء نظرية ما قبلية والذين ("وهم الشكلانيون") يرون انه من التحمّل الاستغناء عن النظرية، وهذا التناقش الذى يتحول بسهولة الى المدارسة له صداه بالخصوص في مسالة شجريات النحو التوليدى (هل يتجاوز عدد الاغصان اثنين؟)، وهو ما يفيد بان اللسانيين يطرحون أسئلة حول موضوع بحثهم وتدخلاتهم بصورة خاصة: فهل أن "وصف البنية" هو أن نكتشفها في هيئتها قبل وجودها أم أن نبتدع (بنية) أخرى؟ وهل يمكن أن نقطع بما تكونه هذه البنية؟...

واما مسالة "الخصوصيات العامة" فتركب مع قضية الثنائية: هل توجد صفات تمييزية تستعملها جميع اللغات؟ وهنا أيضا صراع بين رؤية "واقعية" وأخرى "شكلانية" فعند الواقعيين لم تقدم القضية في هذا الشكل من العبارة فالمقصود قبل كل شيء أن نصف كل لغة لذاتها ثمّ يمكن أن نقارن بين لغتين أو أكثر اذا اقتضى الامر ذلك ولكن يجب أن نحذر من اهدار الوصف لتيسير المقارنة والخطر يكمن في ابطال عملية الوصف اذا نحن حرصنا حرصا على المقارنة وعند ذلك يمكن لنا أن نعتبر ـ اذا توفرت لدينا حجج سميكة ـ أنّ صفة تمييزية تشترك فيها لغتان أو عدّة لغات ونمنع الانتقال الى العالمية فهذا التعميم يبدو منعدم الاساس وقد يكون خطرا. وأما عند البعض الاخر (ياكبسون، ١٩٥٢) فالامر يستدعي أن نرى أن بعض الصفات تتوارد في جميع اللغات وهذا الفعل يستحق فضلا من العناية، فمثلا، الصفات التي ذكرناها في النظام الحركي للفرنسية تطّرد في عدد لا يستهان به من اللغات وفي الامكان ارساء قائمة الصفات وهي قاعدة الانظمة الفنولوجية في جميع لغات العالم (انظر الفقرة ٤ ـ ١ فيما بعد). وستعود للبروز هذه المسالة مع النحو التوليدى مع موقف متبلور لصالح النظريات العالمية.

واما اعسر ما في علم وظائف الاصوات من قضايا حسب ما يبدو للعيان وعلى تضارب معهود في اللسانيات انّما هي مسالة حدّ الصوتم ـ وما ورث عن سوسور

من أدوات اصطلاحية خصيب ومنبع صعوبات في نفس الان. ففي موضوع انتماء الصوتم الى "الحديث" أو الى "اللغة" يقدّم تروبتسكوى (١٩٣٩) تمييزا بين اصوات "الحديث" (أو علم الاصوات) وأصوات "اللغة" (أو علم وظائف الاصوات) — وهو ما قدمه سوسور مباشرة ويبدو من مقدماته النظرية الحقيقية — غير أن شكلنة هذه الروءية ذاتها ("أصوات اللغة") تقصر عن الوضوح، فمبدأ سوسور القائل "بأن اللغة عبارة عن شكل وليست مادة" حتى وان ساعد على ابراز المقابلة المتميزة يخلق حيرة عندما نروم الا دلاء الصحيح بتعريف هذه المقابلات. وأما في التطبيق فاغلب علماء وظائف الاصوات يوءكدون على ضرورة العودة الى المادة الصوتية (وبالخصوص مارتيني، ١٩٦٥، ص ٦٧)، والبعض الاخر وهم اكثر أمانة مع سوسور وحسب طريقتهم، يجعلون من الصوتم وحدة نفسية محضة مجّردة أو هم يتمسكون بتنزيله منزلة "لسانية" محضة ففي جميع الحالات يبقى التعريف غير مقنع حتى وانّ اخذ شكلا مثل انّ "الصوتم هو مجموع الصفات التمييزية"، وذلك يحافظ على المشكل قائما الا وهو معرفة وحدات وصف هذه الخصائص.

٣ — علم وظائف الاصوات والزمانية:

انّ علم وظائف الاصوات كشان مجموع الاتجاهات البنيوية، قد اعتمد أساسا ضمن الاعمال الانية وتوترت القطيعة بين أولئك الذين واصلوا الاعتياد التاريخي والفيلولوجي وأولئك الذين نادوا بالمقاربة الجديدة وهم لم يعتنوا اجمالا بتاريخ اللغات.

فهل أن هذا الاهمال ظرفي (كردّ فعل على السابقين اذ علماء وظائف الاصوات قد ألوا في البداية الى تفضيل الدراسات الانية لاقامة توازن مضاد) أم هو متين الصلة بالنظرية الجديدة التي قد تعجز عن ادراك التطور؟

ويرد لدى موءسسي علم وظائف الاصوات اثبات مفاده أنّ وجهة النظر الجديدة امكانا وضرورة أن تطبق على التاريخ، فتاريخ اللغات يجب أن يكون تاريخا لانظمتها وما من تغيير الا ويمس المجموع وهذا المبدأ (مما لا شك فيه انه قد توخّي في العديد من الاشغال قبل علم وظائف الاصوات) لم يكن موحيا بعدد كبير من الدراسات بالافادة، ونجد كتابا قائما في علم وظائف الاصوات الزماني

وهو كتاب مارتيـني بعنوان "اقتصادية التغييرات الصوتية" (١٩٥٥) وفيه يبذل المؤلف التحليل جهد الترابط بين نزعات متضاربة في الانظمة : نزعة أولى للبقاء أي بقاء الامكانيات التمييزية المتوفرة (حتى وان كانت الصفة التي تحقق هذا التمييز ممكنة التغير من حيث مادتها الملاحظة كتقابل في الجرس قد ينشأ عنه عوض تقابلي في مستوى المدى) ، ونزعة أخرى نحو التغير حسب "نقاط الضعف" في النظام (كمنتوج مقابلة معينة ضعيفة في مثل المقابلة بين /œ/ في لفظ (brin) و /ɛ̃/ في لفظ (brun) في اللغة الفرنسية) . فالبحث الذى يعامل قضايا الوصف الاني بقضايا الزمانية انما هو صعب وممتع ، ويشهد كتاب مارتيني (وهو دائما جلي ومقام على مناقشات لامثلة ماخوذة من ميادين متنوعة) على مدى خصوبة وجهة النظر البنيوية في الدراسة التاريخية .

٤ ــ في بعض التطورات لعلم وظائف الاصوات :

٤ ــ ١ ــ علم وظائف الاصوات السمعي :

لقد نظرنا الى هذا الحدّ في دراسة الاصوات (علم الاصوات وعلم وظائف الاصوات) بعلاقتها بقضايا التقطيع والفيسولوجيا لكن المعطيات الصوتية يمكن أن توصف في لغة السماعيات وبالخصوص منذ أن سمحت الالات بتسجيل مع رسم صوتي لكيفية نزيز الهواء عند نطق المتكلم لفظا واصبح من اليسير أن نميز الصواتم ببعض التواترات المخصوصة (وهي "المشكّلات") ، وقدم ياكسبون (١٩٥٢) شكلنة لعلم وظائف الاصوات تؤسس خاصة على اعتبارات سمعية بالاضافة الى صفات تمييزية مثل المقابلة بين الامالة المنفتحة (نمط /i/) ــ والتضخم المنغلق (نمط /u/) أو الكثيف (نمط /i/) والتنغيمات البارزة التي تناسب التواترات المخصوصة تتباعد بعضها عن بعض والمكثف(نمط /a/ وفيها التنغيمات المخصوصة متقاربة بعضها من بعض) ـ وهذا التشكل السمعي له امتيازات على التشكل النطقي التقليدى فهو أكثر موضوعية اذ اختلافات النطق (موضع الاعضاء وعملها) ليست سوى وسائل تحقيق اختلافات سمعية يدركها المتقبل وتوجد طرق نطقية عديدة لانتاج نفس الحدث السمعي (بشـرط أن تكون الطريقة "طبيعية" جدا) ــ وتسمح السمعيات بتوفير تسمية مشتركة لمختلف الصفات التمييزية في أوضح الصور وأبسطها مثلما هو الشان في الفسيولوجيا النطقية (على الاقل اذا اتبعنا ياكسبون ــ ونظريته ، لان تفسير "الاطياف الدلالية" صعب وغالبا ما يناقش) .

ونتيجة بحوث ياكبسون عبارة عن رسم يجمع الصفات المتميزة الراجعة الى مجموعة مركبة من ١٢ مقابلة ثنائية يمكن أن تدرس بمقتضاها جميع المقابلات في جميع لغات العالم ، وبالاضافة الى تذكية الجدل حول الثنائية والقوانين العامة فهذه النظرية قد توخاها تشومسكي في علم وظائف الاصوات التوليدى.

وآخر ملاحظة فيما يتعلق بعلم وظائف الاصوات الوظيفي هي أنّه يتطلب اجهزة باهضة الثمن (ولم يحصل عليها معهد علم الاصوات بباريس الا في سنة ١٩٥٩ أى بعد سبع سنوات من ظهور نتائج ياكبسون) .

٤ ــ ٢ ــ علم وظائف الاصوات التوليدى :

فعلم وظائف الاصوات الذى عرضناه الى هذا الحد يخضع الى اطار بنيوى عام وبقية مستويات اللغة (التركيب ، والمعجم) تدرس بنفس الطريقة ونفس الاشكالية ونسعى أن نطبق على اللفاظم والكلم المميزة والكلم المعجمية المناهج المتوخاة في الصواتم ، وازاء ذلك يحتم تحديد الاطار النظرى العام كما سيجرى مع تشومسكي والنحو التوليدى (أنظر فيما يلي الفصل ٧ وبعده) جملة من النتائج في مجال علم وظائف الاصوات.

ولم يبق لعلم وظائف الاصوات في النحو التوليدى ماله من أولية في الماضي فلم تعد الروءية تعتمد على تحليل طريف للملفوظات ولكن على محاولة انشاء منوال يمكن أن يولد الجمل النحوية في لغة معينة ويوفر وصفها .

فالقضية اذن هي أنّه انطلاقا من سلسلة من الفرضيات في مستوى البنية الضمنية لجملة من الجمل ننظر في الشكل الصوتي لتلك الجملة فنحن ازاء علم أصوات وظيفي يحوى قسما غير يسير مما يسمى عادة علم الصيغ (ويتحدث التوليديون في هذا النطاق عن "الموءلفة الصيغية الصوتية الوظيفية") ويرجع كل ذلك الى باب علم التركيب فعلم وظائف الاصوات التوليدى متصل بالمفاهيم المتعلقة بالتراكيب ومقتضياتها ، فيمكن القول بانه علم افتراضي في حد نفسه.

وتظهر بعض الجوانب الهامة مثل مراجعة مفهوم الصوتم فهدف التوليديين الانتقال من شكل تركيبي به نسبة من التجريد الى التحقيق الصوتي التام، فادركوا

(حسب طريقتهم "الاختبارية" وهو لفظهم المستعمل) أن الصوتم لا يمثل قسما صالحا في هذه الطريقة واقترضوا "أدواتهم" الصوتية من الصفات التمييزية عند ياكبسون في صورتها السمعية (وقد ثبتت خاصيتها العامة من جديد) بالاضافة الى خصائص صوتية باللغة المعينة) ، ومهما تكن الشكوك في المجموع فان علم وظائف الاصوات التوليدى له فضل البحث عن تناول جميع المعطيات الصوتية (بادخال التنغيم والنبرة والمميزات الصوتية) في نسق موحد مع انتقاد حدود علم وظائف الاصوات الاعتيادى.

٥ــ خاتمة: حدود علم وظائف الاصوات:

وعندما نسعى الى استعراض مجموعة الظواهر الصوتية من حيث طبيعتها (الوحدات الصوتية الدنيا والنبرة والتنغيم والايقاع ، وأنواع الربط بين الوحدات) ومن حيث وظيفتها (ضمان المقابلات والسماح بجمع صحيح يتجنب الغموض في التأويل و"الابراز"...) نجد أنفسنا نصدم بالمشقة في تنظيم هذا الميدان (وحاول تروبتسكوى هذا الامر (١٩٣٩) لكن اجتهاده لم يرجع اليه قط) كما نصدم بضعف مدى الحقل الذى يعالجه علم وظائف الاصوات (على الاقل معالجة انتقائية اهتمامية فيه) وهو أهم ما للصواتم وهي الوظيفة التمييزية ، ورفض البقية ، وعند توفر هذا الرفض فان تعليله المتداول هو أن الظواهر المقصودة انما هي "هامشية" لكن هذا الاثبات المقدم وكانه نتيجة بديهية يعكس فعلا مفهوما قائما للغات باعتبارها "أدوات ابلاغ" في المعنى الضيق أى أنها تؤول الى تحقيق اخبار حول حقائق ما بعد لسانيـــة ، ولنكتف بنموذج واحد وهو مدى أهمية الدور الذى يلعبه الايقاع (بالمفهوم الواسع) في جملة مثل (بيــار كان جاى أمس) Pierre est venu hier سواء كانت محايدة أو هي تفصل مكونا من مكوناتها الثلاثة فليس الامر يتعلق "بالاسلوب" أو "التعبيرية" فقط وانما في الحقيقة بمسائل أساسية تلحق بالتنظيـم عامة ومعرفته تفيدنا في فهمنا للكلام .

ـ المصادر والمراجع ـ

ا . بانفينيست (١٩٦٦) ـ قضايا في اللسانيات العامة الجزء الاول (قاليمار) .

ونقرأ خاصة الفصل (٨ ص ٩١ ومايليها "البنية في اللسانيات" وهي تضبط بدقة منزلة علم وظائف الاصوات في بدايات البنيوية.

ن. تشومسكي و م . هال (١٩٦٨) الا بنية الصوتية في الانقليزية.

(نيويورك) : الترجمة الفرنسية: علم وظائف الاصوات التوليدى، لي ساى، ١٩٧٣.

وهو عرض عام لعلم وظائف الاصوات التوليدى.

ر. ياكبسون (١٩٦٣)، مساهمات في اللسانيات العامة (طبعة مينوي) .

ونقرأ خاصة الفصل ٦ ص ١٠٣ وما يليها تحت عنوان: "علم وظائف الاصوات وعلم الاصوات" وهو يقدم نظرة شاملة لعلم وظائف الاصوات "على طريقة ياكبسون"

ر. ياكبسون وج. فانت وم. هال (١٩٥٢)، مبادئ في تحليل الكلام (كامبردج. ماساشوسيت) .

وهو كتاب رئيسي في علم وظائف الاصوات السمعي

ـ ا . مارتيني (١٩٥٥) اقتصادية التغييرات الصوتية ـ كتاب في علم وظائف الاصوات الزماني وهو دليل هام (عرض نظرى مدعم بامثلة) في علم وظائف الاصوات التاريخي البنيوى .

ا . مارتيني (١٩٦٠) ـ مبادى في اللسانيات العامة (كولين) ـ الطبعة الاخيرة ١٩٧٤ .

وهو كتاب يخصص قسما كبيرا لعلم الاصوات (الفصل٢) وعلم وظائف الاصوات (الفصل ٣) .

ا . مارتيني (١٩٦٥)، اللسانيات الانية (المنشورات الجامعية الفرنسية) .

وهو مجموعة من المقالات المخصصة لعدد من الجوانب النظرية والمنهجية في علم وظائف الاصوات" وينظر في الفصل الخامس: "المادة الصوتية والصفات التمييزية" .

ن. تروتبسكوى (١٩٣٩). مبادى علم وظائف الاصوات (براغ) ثم الترجمة الفرنسية، كلينسيك، ١٩٤٩ ونشر في طبعات اخرى.

وهو كتاب رئيسي في علم وظائف الاصوات البنيوى المقام على عملية التقطيع ومع قدمه فهو دائما مفيد، على الاقل من حيث ثراءه الوثائقي.

III ـ التوزيعية :

يطلق هذا الاسم على اتجاه لساني ظهر في الولايات المتحدة (الامريكية) في حوالي سنة ١٩٣٠ عندما كان علم وظائف الاصوات في طور النشاة باروبا وهو مرتبط بتفكير سوسور وأوجه التماثل بين التوزيعية والاتجاهات الاروبية المعاصرة تسمح بوسمها على أنها جميعا من البدائل للبنيوية.

وأما أوجه الاختلاف سنراها فيما بعد فيمكن ربطها بظروف التطور المختلفة ففي الحين الذى أخذت فيه اللسانيات الجديدة باروبا شكل روءية نظرية انطلاقا من دراسة اللغات المعروفة سواء كانت قديمة أو حديثة (وسوسور نفسه من المختصين الاوائل في الهندية الاروبية ومن عمله كفقيه لغوى حصلنا على دروسه) كانت اللسانيات الامريكية في طور النشوء بعيدا عن المنوال الجامعي الاروبي من حيث اللاتينية أو الاغريقية وارتباطها الهام باللهجات الامريكية الهندية التي لم تعرف بعد ولم توصف، وهدفها الاول هو وصف لغات تختلف اختلافا كبيرا عن المنوال الهندى الاروبي وترمي النظرية فيها أساسا الى توفير منهاجيه لبلوغ ذلك الوصف وأما المشاغل النظرية فقد اختصرت في أدنى صورة يقتضيها العمل الوصفي.

١ ـ المقدمات النظرية :

وهذه المقدمات بينة كانت أو خفية (غالبا) تشبه الى حدّ كبير ما صاغه سوسور من مقدمات وسنتناولها واحدة واحدة.

ـ انّ موضوع الدرس هو اللغة مقابلة بالحديث. ويطلق على اللغة غالبا لفظ "القانون" وهي تسمية لها صدى عملي ملموس في درجة كبرى (واجمالا لا نجد في الانقليزية مقابلا دقيقا لهذه المصطلحات وهي "الكلام" و "اللغة" و "الحديث").

ـ هذا الدرس آني وجوبا (وهو طبيعي اذ نحن ازاء شغل بلغات منعدمة الكتابة وماضيها مجهول).

ـ تتألف اللغة من وحدات متفاصلة تفرزها عملية التقطيع ، ويقدم سوسور في هذا المجال روءية شاملة حول العلامة اللسانية وطبيعتها وعلة وجودها ولكن لا وجه للمقارنة مع ماللتوزيعيين فلا محل عندهم للبحث النظرى وانما لمعالجة شديدة الضبط للقضايا التي يوفرها الوصف (ولا يذكرها سوسور) اى كيف نبرز الكلم المميزة (المورفيمات) ، (وهي تقابل عندهم العلامات) ، وما هي المقاييس عند ظهور بعض الشك الخ... ويمكن أن نلاحظ اطراد المقابلة بين الدال والمدلول واعتبار المورفيم كوحدة دنيا تفيد دلالة يفردها التحليل لكن جميع ما يتعلق بالمعنى في شتى أشكاله يحذر فيه حذرا ثابتا ، وترجع المناقشات حول المورفيمات عادة الى قضايا تخص الشكل فالمعنى في حد ذاته لا يدرك موضعه ولا نحصل الا على معاينة أوجه التماثل وأوجه التباين الدلالية .

ملحـوظـة :

انّ مصطلح "المورفيم" هنا لفظ ترتيبي يشمل جميع الوحدات الدلالية وله في المدرسة الاروبية مفهوم أقل عموما اذ هو يدل على الوحدات النحوية مقابلة بالوحدات المعجمية (أو كلم معجمية) وهذا المفهوم الثاني الضيق هو الذى يتوخاه أمثال ا. مارتيـني الذى يستعمل في المعنى الشامل مصطلح "اللفظم" (المونيم) .

ـ توءلف كل لغة نظاما مخصوصا اعتباطـي عند سوسور) ، "فموضع الكلمة في البنية محدد بالعلاقة مع الكلـم الاخرى فلا وجود لعلاقة كلمة بكلمة في اللغات" (ديبوا ، ١٩٦٩ ، ص ٤٢) .

ـ انّ العناصر تتحدّد بعلاقاتها داخل النظام أى بعلاقاتها مع العناصر الاخرى ، ويوءكّد خاصة على العلاقات السياقية (التوزيع ومنه تسمية المدرسة) .

ومن الجوانب الهامة أن نذكر الصلات بين التوزيعية وعلم النفس السلوكي (طريقة السّلوك) الذى غلب في ذلك العصر على الولايات المتحدة ، ففي هذه النظرية يمكن وصف السلوك البشرى في جميع الميادين انطلاقا من العلاقة الاساسية وهي : منبّـه ــ ردّ ، فالحديث ضرب معيّن من السلوك وملكة اللغة تكمن في توفير ردّ معادل للمنبّه أو في اثار ردّ مقصود بتوخي منبّه موافق ، فاذا طلبت من شخص أن يغلق الباب مثلا فيجب على أن أعرف كيف أطلب ذلك باستعمال كلماتي (لنبقى في ميدان "السلوك اللغوى") . ويبرز السياق مدى النجاح أو

الاخفاق (في حالة يفتح فيها الشخص نافذة) ويذكرنا هذا السياق بمشاكل من يتعلم لغة أجنبية وأمامه مشاكل الدلالة للملفوظات في مفاهيم السلوك، فهذه الرؤية للغة ذاتها وهي باللغة الالية أصل للعديد من التجارب في "كلام الحيوانات" (فالقرد الذى يربى باستعمال بعض أشباه الجمل في بعض الظروف المعينة لا يكتسب الكلام وهو في أخص خصائصه نشاط رمزي. أنظر بانفينيست، ١٩٦٦ ص ٢٧ وص ٥٦ وما يليها) وكذلك شأن الاعمال في الطرق السمعية اللغوية (خاصة) أو السمعية البصرية (مع شيء من الاختلافات) التي تنتمي بوضوح الى التوزيعية والسلوكية

٢ ــ المنهاجيــة :

وقد وقع وصفها في تفاصيلها العامة في عدّة مصنفات (أنظر خاصة هاريس، ١٩٥١) تعلمنا كيف نصف بنية لغة من اللغات (وهو ما يطلق عليه تشومسكي "طريقة الاكتشاف" مبرزا مدى طموح هذه الطريقة وهي في الظاهر بسيطة وواقعية).

ــ والعمل الاول هو جمع مدونة أى مجموعة من الملفوظات ينظر اليها كعينة من اللغة ويجب أن تتصف المدونة بالانسجام و "التمثيل" وهو ليس من الامور الهينة التحقيق، ومن وجه آخر اذا كنا لا نرى كيف العمل بخلاف ذلك لتناول وصف اللغة المجهولة فمن البديهي أن الاشتغال بالمدونة يظهر سلبيات منذ البداية فمعطيات المدونة مشتتة ضرورة، ووضعت طرق تسمح بامتداد، مع حيطة خارج حدودها، والبديل الجذرى يتمثل في موقف النحو التوليدى فهو يرمي الى دراسة لغة معروفة بالرجوع الى الحدسية والسعي الى وصف "جميع" اللغة الى أن نبلغ الحدّ الذى يفصل الممكن عن المُجال في تلك اللغة (ولكن هل يوجد ذلك الحدّ ؟) والتوزيعية أيضا تربط طموحاتها بوصف مجموعة من المعطيات وبالخصوص المعطيات الملموسة.

ــ والمدونة بعد جمعها تقطع ، ولتحقيق ذلك العمل نسعى الى مقاربة قطع الملفوظات المتشابهة والتي تؤدى مقارنتها شيئا فشيئا الى تحديد المورفيمات، ولنقدم مثالا من اللغة السواحلية ولنضع أن المدونة تتضمن القطع التالية:

anonipenda ... atanipenda

anawapenda ... anakupenda ...

... ninakupenda ... alikupenda ...

وينشأ عن مقاربة القطع الثانية والثالثة والرابعة مجموعة هـــــي :

ana ni penda
ana ku penda
ana wa penda

ويمكن أن نفترض أنّ المقطع الثالث يمثل مورفيما منفصلا أو بالاحرى نقطة من السلسلة (السياقية) حيث يستعمل عضوا من قسم (جدولي) هو ni- ku و wa- وهذه القطع الثانية والثالثة والرابعة تختص بأوجه تشابه وأوجه تخالف في نفس الآن من حيث مستوى الدلالة، وفي نفس الظروف تبرز مقاربة القطع الاولى والثانية تغييرا يطرأ على المقطع الثاني. فهل أن هذا التغيير يقف عند الحركة (-t-/-n-) أو هو يخص جميع المقطع (-ta-/-na-) ويعسر القرار حسب هذه المعطيات القليلة، وتوفر مدونة كبرى يؤدي الى تغييرات تنشأ من المقارنة بين القطع الثالثة والخامسة لصالح الفرضية الثانية فنحصل على = -ta-/-na-/-li-

وفي آخر الوصف تسمح القطع الثالثة والسادسة بابراز تغيير يلحق المقطع الاول -a-/ni- وجميع هذه الافتراضات، وتبلورها الدراسة المعمقة، يمكن أن تقدم على النحو الاتي:

4	3	2	1
penda	- ni - - ku - - wa -	- ta - - na - - li -	a - ni -

وفي تحليلنا تقسم جميع القطع الاولى الى ٤ كسور وكل اختلاف في الشكل يتناسب مع اختلاف في الدلالة فهنالك في كل قطعة أولية ٤ مورفيمات والدلالة؟ فلنلاحظ قبل ذلك أننا استغنينا عنها ويكفي أن نجيب على السؤال هل هي نفس الدلالة أم لا ؟ ويمكن نظريا أن نقف عند هذا الحدّ وأما عمليا فان التوزيعيين لا يقلّون تطلعا عن غيرهم ولم نقف عند ضرب من عمليات الوصف ينعدم فيه الجهد لاخراج الدلالة لكل مورفيم من المورفيمات ومثال ذلك :

هو (هي) أنا	المستقبل الحاضر الماضي	(أنا) (أنت) (هم)	أحب

وعند توسيع التحليل الى المجموع في مدونة أهم نطمع الى تحديد "البنية التوزيعية" للغة وهو رأى هاريس (ومما يسلم به أن نفس الطريقة تتوخى في مستوى الصواتم).

– ومن المشاكل اننا نجد غالبا مقطوعات من المورفيمات تختص بنفس توزيع المورفيم المفرد مثل هو (il) مورفيم مفرد)، ومقطوعات من نوع mon camarade يمكن أن يلحقها نفس المورفيمات مثل (viendra demain) فهي متعادلة نسبيا، ونبلغ بذلك فرز المكونات التي تحتوى على مؤلفات هي المورفيمات المعزولة وتنظيم هذه المكونات في جملة وهو ما يقدم عادة في صورة صناديق يدخل بعضها في بعض، وهذا الضرب من الوصف المسمى بالتحليل الى مكونات مباشرة لم يدرك مستوى نظرية للمستويات التركيبية المصرح بها بحزم، فبقيت طريقة فيها شيء من الحدسية والاختبارية تتوخى لمرحلة أولى للاقتصاد، والتوزيعيون أكثر اطمئنانا في وصف الوحدات المعزولة وهو مالا يتوفر لهم في وصف الوظائف (وهنالك نظرية امريكية أخرى وهي "الترتيبية" لصاحبها ك . بايك الذى تسعى الى ربط دراسة التوزيع بالوظائف).

٣ – خاتمة: حدود التوزيعية وآفاقها:

ومهما يكن تعقد طرق اللسانيات التوزيعية وقد يكون شديدا، فانها تقوم أصلا على بعض الافكار البسيطة ويعسر الا نسلك مسلك التوزيعيين أمام لغة مجهولة، لكن حدود التوزيعية بينة للعيان فيكفي أن نحاول تقطيع نص فرنسي الى كلماته المباشرة (المورفيمات) لنتيقن منذ البداية أن الامر ليس يسير التناول والاشارة المطردة الى السواحلية لما تتميز به من بنية واضحة، وأما في الفرنسية فالوحدات أكثر تشابكا، ففي حالات "الدالات المنقطعة" (مثل ne ... pas) أو "المزج" (مثل au – à le) حسب عبارات ا . مارتيني يمكن أن نطمع في تشييد منهاجية متكافئة غير أن مفهوم المورفيم نفسه (أو العلامة) يكون مشكلا كما يشهد بذلك في المستوى الكتابي التقطيع التقليدى في شكل كلم وهي وحدات بلا اطار نظرى وهو تحدّ مستمر للسانيين.

ونرى أن التوزيعيين أنفسهم قد وضعوا حدودا لنظريتهم أو سعوا الى مدّ نطاقها واقترح هاريس بالخصوص مفهوما للتوزيع (للاطرادات) يسمح بربط الجمل بعضها ببعض وهو ما أدّى الى لفظ التحويل (وقد درس ذلك تشومسكي وغيره وهو من تلاميذ هاريس)، ومن هذا المنطلق أمكن تجاوز نطاق الجملة الى "تحليل الخطاب".

ـ المصادر والمراجع ـ

ـ ا . بانفينيست (١٩٦٦) قضايا من اللسانيات العامة ، الجزء الاول (قاليمار) وننظر بالخصوص في الفصلين الاول والثاني "نزعات حديثة في اللسانيات العامة" (وهو مقال كتب سنة ١٩٥٤) و "نظرة في تطور اللسانيات" (صدر سنة١٩٦٣)

ـ ل . بلومفيلد (١٩٣٣) ـ الكلام ـ (نيويورك) والترجمة الفرنسية (بيروت ١٩٧٠) وهو مرجع حول "سوسور الامريكي".

ـ ج. ديبوا (١٩٦٥) النحو البنيوي للفرنسية المجلد الاول : الاسم والضمير (لاروس) وهو تطبيق حول بعض جوانب الفرنسية (العدد والجنس) من حيث الطريقة التوزيعية.

ـ ج. ديبوا (١٩٦٩) ، "النحو التوزيعي" صدر في مجلة : اللغة الفرنسية ، العدد ١ (لاروس) من صفحة ٤١ الى صفحة ٤٨ ، وهي صفحات تاليفية.

ـ ز. هاريس (١٩٥١) مناهج في اللسانيات البنيوية (شيكاقو) ونشر في طبعة ثانية تحت عنوان اللسانيات البنيوية ، وهو عرض منهجي مفصل لطرق التحليل التوزيعية.

IV ـ الوظيفية عند مارتيني :

واسم الوظيفيين يطلق على مجموعة من اللسانيين (وزعيمهم ارمارتيني) تتوخى الطريقة السوسورية بالتأكيد على وظيفة الابلاغ للغة وتسعى الى تبيان آثار ظاهرة في الملفوظات تميز "الاختيارات" المختلفة لدى الناطقين. ومن الطبيعي أن تلقى وجهة النظر هذه صداها وخصوبتها البارزة في مجال علم وظائف الاصوات ـ وعرفه مارتيني باعتباره "علم اصوات وظيفي" ـ ونشير الى العودة الى الفصل الثاني السابق وأهم ماورد به ـ يمثل الطرق والمبادىء الوظيفية ونقدم طريقة الوظيفيين في معالجة الجوانب الاخرى للغات وستكون لنا رؤية حول الفرق بين مرحلة تشييد علم وظائف الاصوات الوظيفي ومستوى علم التركيب الوظيفي من خلال منتخبات من المقدمة في كتاب مبادىء في اللسانيات العامة لا ندرى مارتيني (وهي مقدمة وردت في طبعة ١٩٧٤) ويقول :

ـ"... انّ مبادىء التحليل الفنولوجي قد عرفها الناس عامة منذ زمن طويل ولكن ما قيل في التركيب جديد،وجدته تبلغ بعدا كبيرا في مثل هذا الكتاب، والحت علينا ضرورة تقديم منهاجيه وصفية تمسح بصورة منظمة مجموعة المعطيات اللغوية، أن نحرص على نتيجة الاجتهاد الجماعي وهو لما يتخلص من سوء التنسيق وهدفه افراز ما يمثله علم وظائف الاصوات في مستوى الوحدات التمييزية بالنسبة للوحدات الدالة" (مارتيني، ١٩٦٠، وطبعة ١٩٧٤،ص ٣) .

وأما الدلاليات فهي أصلا لا ترد في ذاتها في المبادىء فمما لا شك فيه أنه من الصعب جدا أن نجد أو نتوخى فيها نفس المبادىء الوصفية التي يتصف بها علم وظائف الاصوات وبدرجة أدنيا علم التركيب ولكن هنالك ايضا مجهود في اخراج مستوى ما هو لساني خاصة وهو ما يوءدى الى اعتبار مضمون الملفوظات ذاته خارج مشمولات اللساني، "فالدلالة" عند الوظيفيين ليست ميدانا مقدسا (من حيث أنه لا يرجع اليه البتة كما يلذ لبعض اللسانيين) و ليس موضوع درس مفضل، فعمليا، حسب مارتيني، على العالم اللساني ألا يتظاهر بعدم فهمه للغة التي يصفها بل عليه أن يعالج في حذر ميدان الدلاليات بنفي جميع أضرب

البحث الماقبلي ويجب الا ينسى أنه ما من حدث دلالي الا وهو يرتبط في اللسانيات بشكل.

وهذا البحث عن الموقف "الواقعي" المتصف بالحكمة تختص به الطريقة الوظيفية التي تدعو الى الخضوع الى المعطيات ورفض الشكلانية والماقبليات.

١ — في بعض التعريفات :

يرى اندرى مارتيني أن اللغة عبارة عن أداة ابلاغ ثنائية التقطيع يقابلها تنظيم مخصوص لمعطيات التجربة.

ولنعرض لمختلف عناصر هذا التعريف، فالتأكيد على الوظيفة الابلاغية للكلام هو قاعدة الروءية الوظيفية ويحدد السوءال الاساسي وهو: لاى شيء يصلح عنصر من العناصر من حيث الابلاغ أو بعبارة أخرى ما هي وظيفته؟ وما هي العناصر التي تلعب دورا من حيث الابلاغ؟ والاجابة على هذه الاسئلة التي تبدو سهلة تلوح غالبا عسيرة وقد نرى في هذا المجال أن مفهوم الابلاغ لم يتضح ولم يكن بديهيا كما يظهر لاول وهلة واذا كان من اليقيني أن الكلام يصلح للابلاغ فليس من اليقيني أن يصير هذا التعريف قاعدة لدراسة عميقة كما يبدو في هذا الميدان ولنا أن نتساءل عن العلاقات بين هذه الوظيفة والوظائف "المساعدة" للكلام التي تكمن في توفير "دعامة للتفكير" أو "طريقة للتعبير" وهو ما قد يوءدى الى بعض الشكوك حول قيمة عبارة "الكلام كأداة".

والقول بان الكلام مقطع يوءدى الى القول بانه يحلل في وحدات يمكن أن تتعاقد بعضها ببعض لتاليف التراكيب وبفضل هذه الامكانية نرى أن آلاف الوحدات فقط يمكن أن تقنع عند النظر في مجموعة كبرى هي الظروف المختلفة ومعطيات التجربة وهذه الوحدات (وهي العلامات عند سوسور والمورفيمات عند التوزيعيين) تسمى عند مارتيني "اللفاظم" أو وحدات "التقطيع الاول" ويمكن تحليلها في صورة وحدات التقطيع الثاني وهي "الصواتم".

فلكل لغة تنظيم مخصوص للواقع ولمعطيات التجربة وهذه الشكلنة التي ترجع (ضد الرأى البسيط الذى ينظر للغة كقائمة لفظية أو "نقلا حرفيا" للواقع) الى

نظرية الاعتباطية جعلت الوظيفيين يرفضون القواعد العالمية في الكلام وتبلورت بعد ذلك الخاصة التقطيعيــة المثناة وخاصة الشفوية في اللغات "فما من أمر لساني الا ويختلف من لغة الى أخرى" (مارتيني نفس المرجع المذكور، ص ٢١) .

وحسب هذه النظرة اللغوية يكمن الواقع اللساني في أبرز تميزه في الاختيارات التي تسمح اللغة بتوفيرها للفاعل المتحدث الناطق، وتجرى هذه الاختيارات على عناصر متفاصلة فيجب أن نختار بين كلمة وكلمة كما نختار بين صوتم وصوتم دون أن نعمد الى حل وسط ــ فظاهرة مثل التنغيم يعسر ادماجها ضمن هذه الرؤية العازلة جذريا للكلام ، فالتنغيم (الصاعد أو النازل في المنحنى الايقاعــي) قد يؤدى الى تنوعات متدرجة تلعب دورا في الابلاغ وتغير الدلالة العامة للملفوظ فمثل هذا الحدث التنغيمي المحلل في دال ومدلول يساهم في طبيعة العلامة غير أنّ مارتيني يعتبره هامشيا وليس من صلب اللسانيات اذ هو يخرج عن التقطيع الثنــائــي ولا يحــلل في شكل وحدات متفاصلة ويرى أن الانتقال من تركيب il pleut (اثبات) الى؟ il pleut ? (استفهام يوضحه التنغيم) يتم بطريقة بينة (وهو ما يسمح بفرز "منغم" متفاصل) وانما حسب سلسلة من المراحل الوسطية الممكنة بقدر ما يكون الاثبات أقل قطعا ويحمل شكــا الى أن يحصل الاستفهام .

٢ ــ "اللفاظــم" :

ولنذكر أن "اللفاظم" هي الوحدات الدلالية (من التقطيع الاول) الدنيا التي تحتوى على مدلول ودال، وتحليل الملفوظات المركبة الى لفاظم يعتمد الــطرق الــمــتوخاة فــي علــم وظائــف الاصــوات (مقــاربــة ومقارنــة بيــن المقــطوعــات) : "فــالقصــد فــي الحــالتيــن أن نحــدد القطــع الــتي ترجع الى الاختيار المخصوص لدى المتكلم ففي باب الصواتم يتعلق الامر بقطع يجب اختيارها للحصول على دال معين وأما هنا فالامر يتعلق بقطع اختارها المتكلم مباشرة بمقتضى القيمة التي يعطيها للبلاغ" (مارتيني نفس المرجع المذكور، ص ١٠٣) .

فأوجه الاختلاف بين المستويين تجعل من الصعب توفير وصف متماثل تماثلا تاما ففي مستوى الصواتم يسهل الظرف لانه لا يوجد الا ضرب من العلاقة بينهما ،

في سلسلة الكلام، وهي علاقة توافق محضة في حالة الالتصاق أو الابتعاد والمرتبة تصبح مميزة مباشرة: (mal) - / mal / مختلف مع : (lame) - / lam / .
وأما فيما يخص اللفاظم فوظيفة المرتبة لا يسهل تحديدها: demain, je partirai لها نفس معنى : je partirai demain وفي غير هذا يمكن تواجد عدة أضرب من العلاقات بين لفظمين متلاصقين وعامة بين مختلف اللفاظم التي تؤلف تركيبا معينا ودراستها هي موضوع علم التركيب — وبعد ذلك، فانه اذا كان من الصحيح أن مبدأ التقابلية صالح في معالجة اللفاظم والصواتم فهن العسير وضع أقسام جداولية مرضية ففي تركيب : je partirai demain يمكن تعويض demain بلفظ en voiture فلا مقابلة بين الاثنين اذ لا يتنافيان .

نلاحظ اذن أنّ تعاملية اللفاظم تختلف عن تعاملية الصواتم وتدخل في ذلك عوامل أخرى تعقد التحليل وهي تقضي بان اللفاظم ليست دائما بينة التراتيب الواحد تلو الاخر في التركيب مثلما هو شان الصواتم . فاللفاظم متشابكة بحيث يصعب تمايزها وهو حال الفرنسية بصفة مطردة ولنقنع بذلك .يكفي أن نسعى الى التمييز في تصريف "الافعال بين ما يحدد الجذر والحدث والزمان والعدد (مفرد أو جمع) والجنس — فنرى أنه اذا كانت المدلولات المناسبة متمايزة دائما فان الدالات متمازجة نسبيا ، فمثال (au) - / o / الذي يمزج الدالات المقابلة للحرف à والاداة le ، ونقدم مثالا آخر من التحليل أورده مارتيني (أنظر المرجع المذكور ص ١٠٢) ونلحظ من خلاله المجال المتوفر لعمل الواصف :
"ففي مثال من اللغة الالمانية كعبارة sang وهو الماضي من singen وليس الهام أن نختار الوصف فقف صورة دال منقطع / z ... y / الموافق للمدلـــول chanter ودال / ... a ... / ر يوافق المدلول "الماضي" أو تاويل / zay / كمزج يقابل مدلولين مختلفين .

ونجد الى جانب المزج (استعمال دال لا يحلل الى عدة مدلولات) حالة معاكسة تتمثل في الدالات المنقطعة أن تستعمل عدة "قطع من الدال" لمدلول واحد كشان النفي في ne...pas ، أو الافعال المصاحبة للحرف المنفصل في الانقليزية والالمانية .

واذا كان الصوتم يمكن وصفه في صورة بدائل مختلفة حسب السياق فان اللفظم أيضا قد يبرز في صور مختلفة كمثال اللفظم الفرنسي ومدلوله aller

وداله / al / أو / va / أو / i / (ira) و / aj / (aille) وكذلك مثال اللفظم الذى يكون مدلوله هو "الجمع وداله يكتسى صوراً شديدة الاختلاف وغالبا ما تكون منقطعة فنقارن بين = / lez a fa ekriv / - (les enfants écrivent) و / la fa ekri / (l'enfant écrit). وننظر أيضا الممازجات في مثل : / zurno / (journaux) وهو جمع / zurnal / (journal). فدراسة اختلافات الدال للمدلول الواحد هي علم الصرف (واللفظ يفهم منه معنى مخالف للمفهوم التقليدى) .

وفيما يتعلق بجميع هذه الصعوبات في التحليل نلاحظ أنها تجرى في مستوى الدال والمسألة هي البحث عن القطعة الملموسة التي تبرز المدلول لكن التقطيع للمدلولات (ويفترض أنه متوفر الحل أو اشكالي فيما سنرى) أيضا هو مصدر الصعوبات التي تتجاوز ما نراه منها في تقطيع الدالات — ولا يخوض التحليل الوظيفي في هذا الميدان الا بالحذر الكبير ويقف عند مفهوم "الاختيار المفرد" ولا نخفي مدى صعوبة فرز وحدات الاختيارات الدلالية ومما لاشك فيه أنه يوجد اختيار مفرد في مثال pomme de terre ولكن من العسير أن نقطع بالحكم في حالة chambre à coucher ولعل مفهوم " الكلمة "المركبة" (synthème) (وهو مصطلح جديد) يرمي الى تقديم قسم وسط بين اللفظم والتركيب في حدّ ذاته وهو نتيجة لاختيارات متعددة مثل (avec les valises) (donnerions) : فلفظ "الكلمة المركبة" يفيد المشتقات (vivement) والمركبات (vide-poche) وهي تحدد بخاصية وظيفية أكثر مما تتميز بوحدتها الدلالية فهذه التعاملات اللفظمية تجرى مجرى اللفاظم البسيطة وتعترضنا هنا المصاعب في مفهوم الاختيار فاللفظم يعرف باعتباره نتيجة اختيار ولكن "الكلمة المركبة" انما تعرف كتعامل بين لفاظم مستخرجة هي أيضا من اختيار مفرد (مارتيني نفس الكتاب ، ص ١٣٣) .

٣ — "نحو تركيبية وظيفية" :

(وهو عنوان مأخوذ عن مارتيني ، ١٩٦٢) :

— مختلف الاقسام في اللفاظم وبنية التراكيب .

وبعد استقراء مجرى اللفاظم الوظيفي في سياق معين يورد مارتيني تقسيمات للفاظم وهي التالية :

ـ اللفاظم الحرة (مثل hier في (hier, il y a fête au village) وهي التي تتضمن في) بنيتها دليل وظيفتها .

ـ اللفاظم الوظيفية (مثل a) وهي تستعمل لتعيين وظيفية لفظم آخر ـ
ـ اللفاظم المرتبطة "اذهبي ترتبط لتحديد علاقتها ببقية التركيب بلفظم وظيفي أو بمرتبتها بالنسبة للعناصر الاخرى في ذلك التركيب" " (مارتيني ١٩٦٠ ، طبعة ١٩٧٤ ، ص ١١٨) ، وفي الجملة المذكورة سابقا توءلف كلمة village لفظما مرتبطا (والتركيب au village يعتبر تركيبا حرا)ـ

وبقي في هذا المثال التركيب il y avait fête وهو ليس فقط حرا بل أيضا مرتبطا ويكفي ليركّب ملفوظا تاما فهو المسمى ـ بالتركيب الاسنادى ـ فحول هذا المفهوم للمسند وهو تديم تدور النظرية التركيبية عند مارتيني فلاربط هنا مع علم وظائف الاصوات الذى ينعدم فيه ما يشبه المسند ،فالمقصد هو اقامة نظرية في الابنية التركيبية البسيطة ونلاحظ أنّ مارتيني لم يعتمد اعتمادا الشكل المتمثل في المسند اليه والمسند وهو يعود الى اعتبارات منطقية فلسلفية ينقدها لما يشوبها من ماقبلية،فدراسة للمسند هي تقديم العنصر الذى نشهد اختباريا ضرورة استعماله في جميع التراكيب (ليقوم التركيب) وهذا المسند في حاجة الى التحقيق أى أن يرجع الى منزلة ملموسة ففي : il y avait fête يميز مارتيني بين اللفظم الانسادى القائم بنفسه (fête) والعنصر الذى يحققه (il y avait) وفي بعض اللغات الاخرى يكفي التركيب الموافق للفظم fête بان تكون له قيمة تحقيقية ، وفي مختلف الحالات لا حاجة لنا بالفاعل (المسند اليه) ـ وهذا لم يمنع مارتيني من أن يشهد التواتر الكبير للتراكيب التى يتحقق فيها المسند بمقتضى العنصر الذى نسميه بالفاعل كما نلاحظ ذلك في : le chien court ولكن من الاساسي ألا نسرع ـ في نظره ـ الى القول بان هذا التواتر هو للخاصة العامة أو الضرورية لحضور الفاعل أو هو يتصل بمنزلة غالبة للبنية المركبة من الفاعل والخبر.

فيمكن أن نميز النواة الضرورية في التركيب وهو موءلف من خبر (مسند) ومجموعة من العناصر تحققه (ومنها حالة الفاعل (المسند اليه) والبقية هي توسع ـ ونجد به كل ما يقابل المفاعيل التقليدية المختلفة، وضمنها يسعى التحليل الوظيفي الى تشييد نظام متناسق) فمارتيني وهو يبرز أن "الوظائف ليست متماثلة بين اللغات"

(۲۹۷۲ ، ص ۲۱) يقيم مقدمة لمختلف أنواع التقسيمات للوظائف (نفس الكتاب صص ۲۲ — ۲۳) وهي :

— قسم للوظائف الاولى مقابلة بالوظائف غير الاولى "حسب العلاقة التي توفرها بين تركيب غير اسنادى والنواة الاسنادية (...) أو بين تراكيب غير اسنادية".

— وفي ضوء "الشكل في التدليل للوظائف" ندرك المبادىء التي تبلغ تقسيم اللفاظم.

— وبمقتضى "ظروف ظهور الوظائف وهو ما يؤدى بالخصوص الى وضع خاصيتها الضرورية أو غير الضرورية وحدود استعمالاتها في مثال بعض الانواع من الاخبار (المسانيد).

— وحسب "درجة التشارك في الحدث" لكن مارتيني يقول "انه لمن العسير أن نحصل على مقاييس يقينية في هذا النطاق".

ويضيف فيما بعد انه في هذا الاجتهاد في التقسيم يرمي " الى التدليل المجرد على الطرق التي يمكن على ضوئها التنظيم النسبي في خضم تراكم الوظائف التي تعترض سبيل من يبحث عن ابراز صفات للبنية التركيبية" : فالتركيبية الوظيفية ليست نظاما متكافئا.

ـ المصادر والمراجع ـ

ـ ا . مارتيني (١٩٦٠) ـ مبادئ في اللسانيات العامة (كولين) . الطبعة الاخيرة ١٩٧٤ .

وهو عرض شامل للسانيات الوظيفية ونقرا بالخصوص الفصل ٤ "الوحدات الدلالية" والفصل الاول: "اللسانيات والكلام واللغة" .

ـ ا . مارتيني (١٩٦٢) ـ رؤية وظيفية في الكلام (اكسفورد ، كلارندن) والترجمة الفرنسية تحت عنوان: اللغة والوظيفة (باريس) ، ١٩٦٩

وهو مجموعة من المحاضرات تحدد وجهة نظر مارتيني وتكملها .

ـ ا . مارتيني (١٩٦٥) ـ اللسانيات الانية (المطبوعات الجامعية الفرنسية) .

وينظر بالخصوص في المقالات المؤلفة للفصل الاول ("التقطيع الثنائي للكلام") والفصل ١٠ ("الابنية الاولية في التركيب") .

ـ ا . مارتيني (١٩٧٢) ، "الاعراب أو الوظائف؟" ضمن مجلة: اللسانيات ، ١٩٧٢ / ٢ ، عدد ٨ (المطبوعات الجامعية الفرنسية) .

وهو مقال يعمق مفهوم الوظيفة بالرجوع الى نظرية لسانية يعارضها مارتيني .

ولتوفير مساهمة في الوصف الوظيفي التركيبي المستنبط مباشرة من علم وظائف الاصوات يمكن النظر في:

ـ ج . قوقنهايم (١٩٣٨) ، النظام النحوى للغة الفرنسية (باريس) .

٧ـ تنيـــــار :

ومع لوسيان تنيار نبقى في الاتجاه البنيوى كما يشير اليه عنوان كتابه الرئيسي مبادئ في التركيبية البنيوية (١٩٥٩) .

فاذا كان تنيار يبحث ، كشأن سوسور ، عن بناء نظرية عامة للكلام وبصورة دقيقة عن دراسة النحو باعتباره نظاما بفرز قوانين تنظيمه وعملية فانه يقدم بالنسبة لسوسور والاتجاه البنيوى عامة مجددا من الخصائص وهي :

ـ ففي المقام الاول، وفيه دون غيره ، يعتمد تنيار على تطبيقه الخاص (ملاحظة المعطيات النحوية في عدّة لغات) لصياغة عمل نظرى متين الصلة بجانبين وهما التطبيق الجديد (دراسة خافية للظواهر الملاحظة) وتوخي تطبيقات عملية (مثلا بيداغوجية) ـ

ـ وهو ما يؤدى الى اقتراح مقاييس عملية لتأسيس النحوا ى صوغ مستويات التحليل ووحداته وليس من قبيل الصدف أن تعود الابحاث في اللسانيات التطبيقية (مركز قرينوبل للدراسات التطبيقية) الى توخي مقترحات تنيار لوضع بعض المستويات في تحليل منوالها .

ـ فيؤكد تنيار خاصة على أهمية مفهوم "الوظيفة" في علم التركيب وهو مالا يعتبره سوسور مركزيا فهذا المفهوم يمكن أن يدرك كاثراء لهذا الشكل فيحصل لنا تمييز بين التركيبية السكونية (الاقسام) والتركيبية الحركية (الوظائف) وترتبط الاولى نظريا بالثانية (ونلاحظ الاختلافات مع ما يذهب اليه مارتيني في لفظ "الوظيفة" أنظر الفصل السابق) .

فالتركيبية السكونية ميدان التحليل، وفيها الترتيب الخطي المقطوعي السطحي ، وأما التركيبية الحركية فتنظر في الترتيب "البنيوى" حيث تحدّد الوظائف (تنيار، ١٩٥٩ ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ ص ٥٠ ومايليها) ففي هذه النقطة في حدّ

ذاتها وهي المتنافية مع توخي المظهر السطحي عند التوزيعيين يمكن مقارنة موقف تنيار بموقف النحو التوليدى التحويلي: "يوجد تعارض بين الترتيب البنيوى وله ابعاد عديدة والترتيب الخطي وله بعد واحد وهذه المقابلة هي "رباعية الحلقة) في الكلام وحلها شرط قاعدى للحديث" (نفس المرجع ص٢١)٠ (وبهذا المصطلح يتميز تنيار عن النحو التوليدى)٠

ـ فما يقترحه تنيار من تحليل في تركيبيته الحركية يرمي الى النظر في "نشاط التحادث" (أو الحديث) مقابلة باللغة (نفس المرجع ص١٦) ومشغله لوصف العمليتين في عبارة النشاط اللغوى بين "الحديث" و "الفهم" يجعله من المعاصرين للابحاث المتقدمة في اللسانيات ـ "ان عملية الحديث هي اقامة مجموعة من المعاقدات بين الكلم٠٠٠ وعملية الفهم تتمثل في ادارك مجموعة المعاقدات التي تربط الكلم بعضها ببعض" (نفس المرجع ، ص١٢) أو "التحدث باللغة عبارة عن تحويل الترتيب البنيوى الى ترتيب خطي وعكسا فان فهم اللغة يكمن في تحويل الترتيب الخطي الى ترتيب بنيوى" (نفس المرجع ، ص ١٩)٠

ـ ولتقديم المعاقدات البنيوية في البنيوية الحركية يعتمد تنيار طريقة يسميها "المجموعية" (نفس المرجع صص ١٥ ـ ١٧) فهذا الضرب من التقديم عبارة عن اكتشاف جديد بالنسبة للبنيويين الاروبيين وهو ما يوحي بمحاولة مثل دراسات النحو التوليدى ، فمن الناحية الشكلية تعتبر "المجموعية" عملية شجرية ليست ضرورة أن تكون ثنائية وانما هي "تجرى في فضاء له بعدان" وبالاضافة الى هذه الخصائص الشكلية (وصفاتها البيداغوجية عند تحليل الابنية) فان "المجموعية" توفر صياغة نظرية مختلفة عن رؤية تشومسكي كما سنحاول بيانه فيما بعد ـ

ويمكن وصف هذه الصياغة النظرية حسب النقاط الثلاث التالية وهي تؤلف تخطيط عرضنا :

ـ اعادة تعريف لمستويات التحليل : طريقة التقاطع بين علم الصيغ والتركيبية والدلاليات ،
ـ التركيبية السكونية ،
ـ التركيبية الحركية ،

١ ــ تعريف آخر لمستويات التحليل :

وينطلق تنيار من التفريق بين : ــ مستوى الفكرة ("مجرد" أو مستوى المضمون) وهو من التنظيم "السيكولوجي والمنطقي" واقسامها عالمية :

ــ ومستوى اللغة (أو الشكل) وهو من التنظيم اللساني حيث تختلف الاقسام .

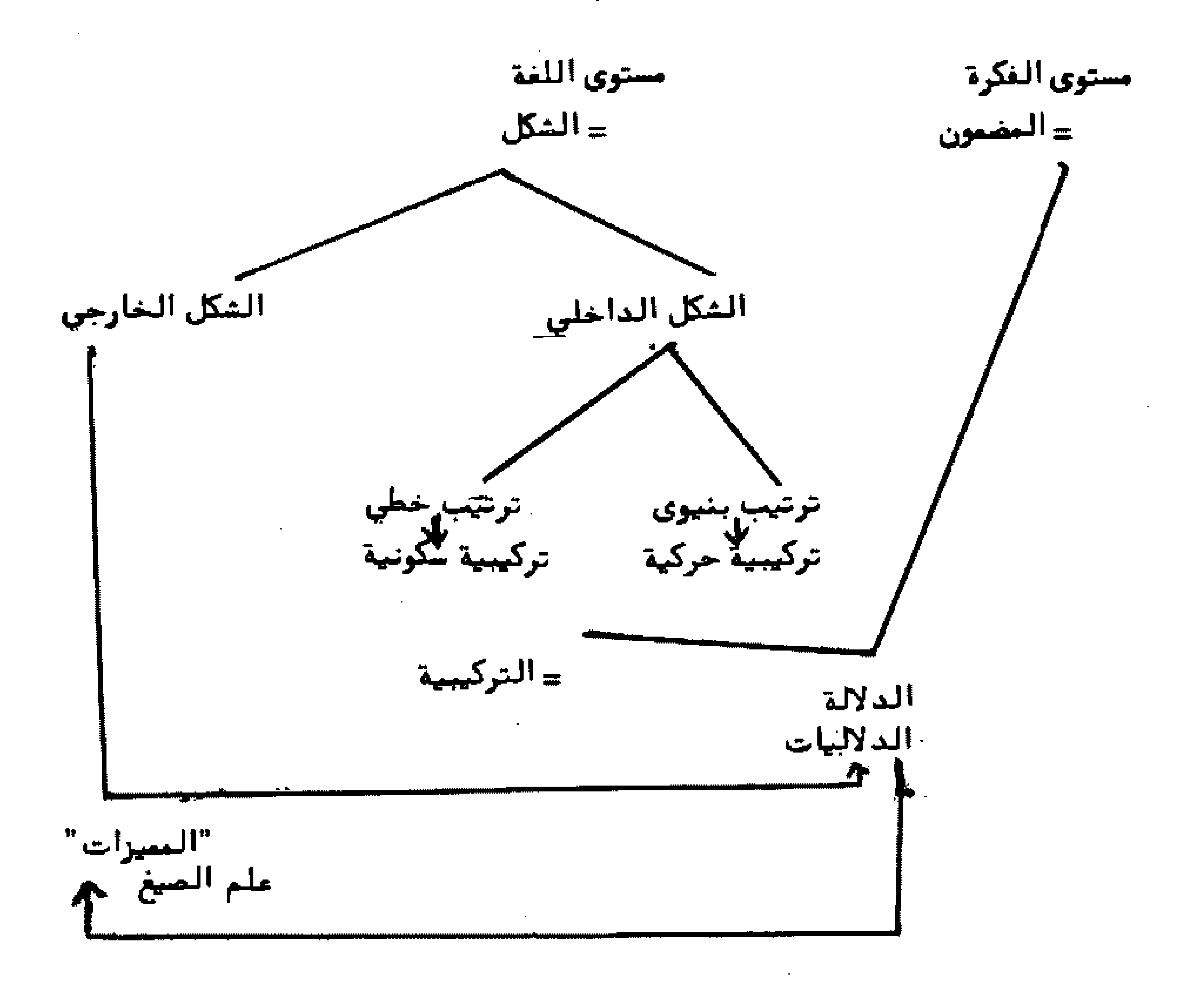
واللغة في حدّ ذاتها تقسم الى :

ــ الشكل الداخلي ("تجريدي") ،
ــ والشكل الخارجي ("غطاء صوتي مجرد") ،

وهذا التقطيع الذى توخاه همبولدت (وهو لساني الماني من القرن التاسع عشر) يعتبر مرجعا لتشومسكي الذى يرى فيه تصويرا للتمييز الذى يقيمه بين "الابنية العميقة" و "الابنية السطحية" .

فالشكل الداخلي هو موضوع الدراسة في التركيبية (نفس المرجع المذكور، ص ٣٥ وما يليها) ، وأما المضمون (الدلالي) والشكل الداخلي الحركي (التركيبية البنيوية) فيؤلفان مستويين مستقلين (نفس المرجع ص ٤١) لكنهما متوازيان ، ويسبق تصوير تنيار العلمي في ذلك نظرية تشومسكي : "ان الجملة يمكن أن تكون غير مفيدة دلاليا وتكون في نفس الوقت صحيحة بنيويا" ويدعم تنيار هذه الملاحظة بمثال (غير مفيد دلاليا = la voile licite ، le silence vertébral indispose
وهو معادل بنيويا للجملة (المقبولة دلاليا le signal vert la voie libre
لكن تنيار عكس تشومسكي يجعل من المستوى الدلالي البعد الذى يؤسس، في آخر المطاف، التركيبية : فالبنيوى لا يسوغ وجوده الا بالدلالي" (نفس المرجع المذكور، ص ٤٦) ، ويستعمل تنيار عبارة "المعرَّف به" / "المعرِّف" للحديث عن العلاقات الدلالية في حين يستعمل مصطلح "المرتبط / "الاعراب" للاشارة الى العلاقات في التركيبية البنيوية .

ونلخص هذه المعطيات في الجدول التالي :



٢ ــ التركيبية السكونيــة :

وتخص أساسا صياغة جديدة للاقسام التقليدية (أقسام الكلام) التي يعتبرها تنيار عن وجاهة متمازجة اذ هي تخلط بين عدّة مستويات من المقاييس (نفس المرجع المذكور ص٥١ وما بعدها)، وهى لا تذكر ما فى اللغات من استعمال "المميزات الصفر" (نفس الكتاب المشار اليه، ص ٣٦ وما بعدها)ــ

ويفرق تنيار في تقسيمه للكلم الى أجزاء بين الكلمات المجردة والكلمات المضمونة (نفس الكتاب ص ٥٣ وما يليها) فالكلمات المضمونة هي الفعل والمصدر والصفة والظرف (نفس المرجع صص ٥٩ ــ ٧٩) ويبدو هذا اعتياديا جدا اذا نحن لم نوءكد أن تنيار يفهم من هذه الانواع غير الاقسام في النحو المدرسي

مثل أسماء الاستفهام والضمائر، وتجمع بعض النكرات تحت باب "الاسماء" والبعض الاخر منها مع اضافة أسماء الاشارة يصير الى باب "الصفات" ـ

وأما الكلمات المجردة فهي أدوات الربط (مثل حروف العطف) والادلة النحوية (المحولة)، (الحروف والعطف النحوى والحروف في بداية التركيب والموصولات) والامارات (مثل الجنس،أداة التعريف) والوسائل الاسلوبية (نفس المرجع المذكور، صص ٨٠ ـ ٩١)، ونشهد في ذلك توزيعا جديدا للاقسام التقليدية اذ أن مجموعة أدوات الربط تفجرت الى جزئين يتضمـن كل جزء فيها الموصولات.

فهذا العرض بالاضافة الى تشاكل مصطلحاته،النظرى له الفضل في بناء بيّن للتقسيم على أساس مقاييس تركيبية بالمحافظة على التفريق بين الاقسام والوظائف فنفس القسم يقوم بوظائف عديدة، وبهذه النظرة يختلف تنيار عن تشومسكي الذى يقوم بانزياح متواصل بين الاقسام والوظائف.

٣ ـ التركيبية الحركيـة:

وهي تعالج ثلاثة أصناف من الظواهر هي العقد والربط والتحويل وهي "الابواب الرئيسية الكبرى الثلاثة التي تنطوى تحتها جميع المعطيات في التركيبية البنيوية" (نفس المرجع المشار اليه سابقا ص ٣٢٣) فلنا تمييز بين الجملة البسيطة (وهي لا تتضمن الا العقد) والجملة المركبة (حيث يستعمل الربط و/أو التحويل).

٣ ـ ١ ـ العقد والجملة البسيطة:

ان مجموعة العقد (أو علاقات التلازم بين عناصر الجملة البسيطة) تجمع في الخط العمودى ضمن المجموعية، كلمة كبرى (تسمى الاعراب) وكلمة صغرى (تسمى المرتبطة) فالكلمة تكون في نفس الان مرتبطة نحويا بكلمة كبرى ومحولا اعرابها لكلمة صغرى.

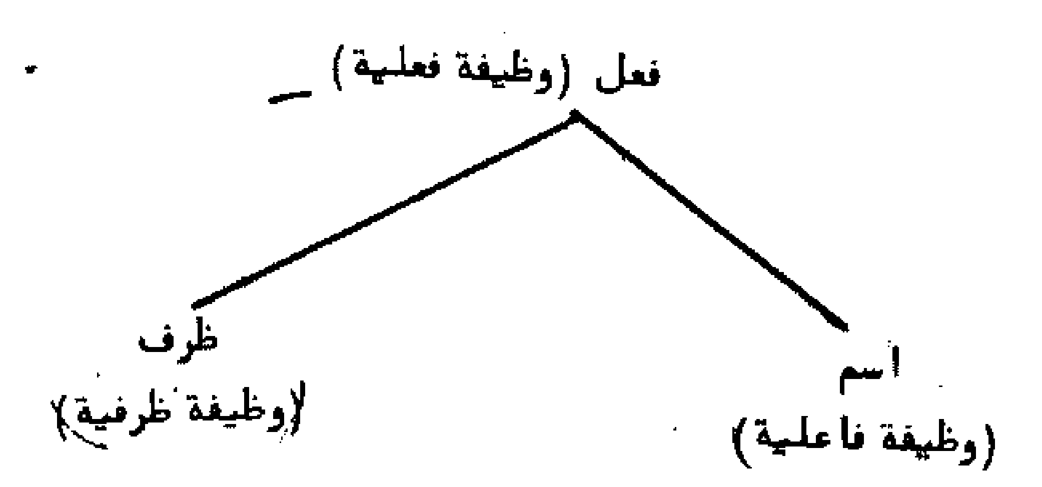
وكل اعراب يوجه كلمة مرتبطة أو أكثر يسمى عقدة (نفس المرجع ص ١٣ وما يليها) وبقدر ما يكون لنا من أصناف العقد تكون لنا أقسام الكلم الوظيفي

وما من جملة الا وهي عبارة عن ترتيب بين عقدة أو مجموعة من العقد تسمى فيها العقدة الغالبة للبقية "بالعقدة المركزية" وهو ما يوءدي الى نمطية للجمل بمقتضى طبيعة عقدتها المركزية فنحصل على الجملة الفعلية والجملة الاسمية والجملة النعتية والجملة الظرفية (نفس المرجع المذكور صص ٩٠ — ١٠١) ٠ وهذه الروءية التي تصور طريقة تنيار في دراسة العديد من اللغات تبدو لنا محورية فعدم اعتبار الفعل بالضرورة المركز المنظم للجملة يجعل تنيار ينفصل عن الروءية التقليدية (وقد عاد اليها تشومسكي) التي (وهي تعتمد مقياس الجمل المكتوبة في بعض اللغات الاروبية) تعمم هذا الشكل من التحليل ٠

وتنتمي الجملة البسيطة الى أحد الاصناف المعرفة أعلاه ونتخير في شأنها النقاط التالية (نفس المرجع صص ١٠٢ — ١٩٠) ٠

أ — "لا توجد البتة بنية الا بوجود الوظيفة" (نفس المرجع ص ٣٩) وهو ما يعارض مفهوم تشومسكي ومحتواه ان الابنية العميقة هي التي تحدد العلاقات والوظائف النحوية ٠

ب — ففي الجملة الفعلية من صنف :

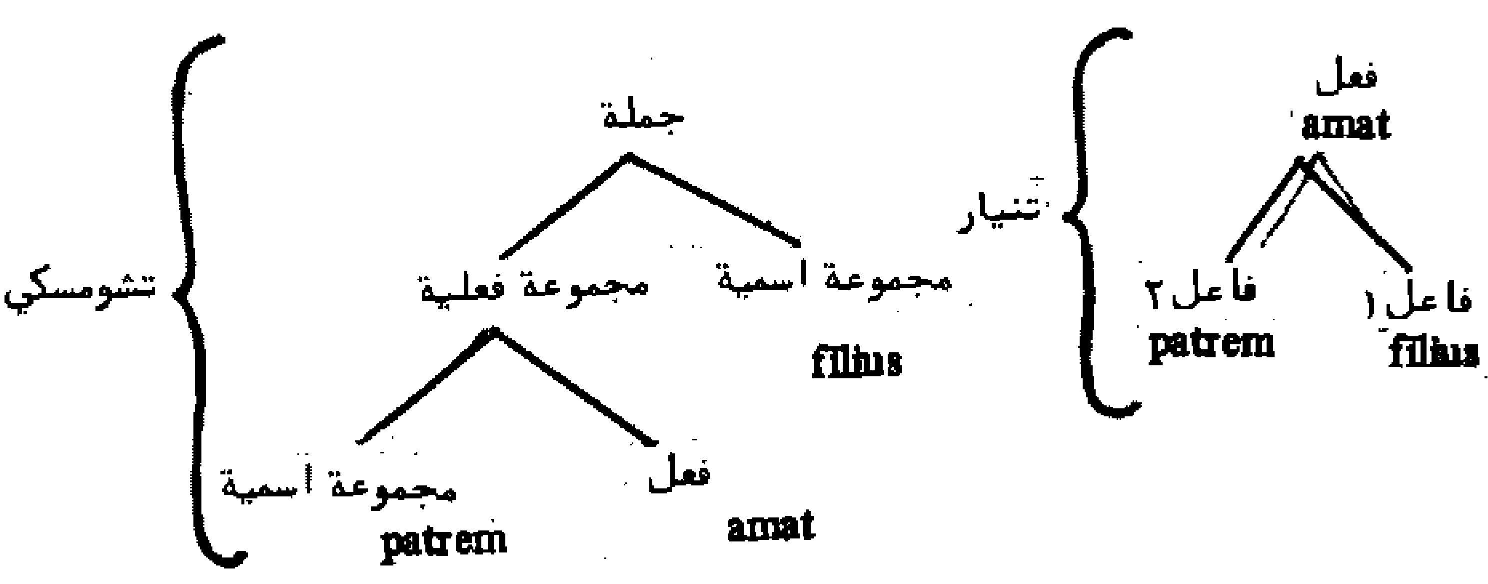


وهي مجموعية تلتصق بها ارتباطات أخرى مثل الصفة المرتبطة بالاسم والظرف المرتبط بالصفة أو بالظرف، ويحدد تنيار عددا يسيرا من الوظائف المترابطة (الفاعل والظرف والمنعوت بالنسبة للروابط غير الاساسية) وهو عكس تعداد السمات الدلالية المطردة في النحو المدرسي (ولننظر في مفاعيل السعر والوزن (التمييز) الخ٠٠٠)، ومن المفروغ منه أن وظيفة مثل "الوظيفة الظرفية" يمكن أن يوءديها عنصر غير القسم التقليدى وهو "الظرف" أو مجموعة حرفية مثلا في : dans la maison (في الدار) ٠

ج — وفي نفس المجموعية يبرز تنيار الخاصة المزدوجة للفعل وهي قيامه بالقسم والوظيفة في نفس الوقت وهو جانب يغلب جهله في حين أنه يقع التمييز بين قسم الاسم ووظيفة المفعولية (هنا الفاعلية)ـ

د — وقضية الفاعلين تطرح عدّة صعوبات عملية مثل عددها وتعريفها (نفس المرجع ص ص ١٠٧ — ١١٥) وقضية التفريق بين الفاعلين والظروف (نفس المرجع ، ص ١٢٧ وما يليها)ـ

هـ— ولنقدم الجملة الموالية: (الابـــن يحـب ا بـــاه) filius amat patrem
فاذا قارنا شكليا بين مجموعية تنيار والبنية العميقة عند تشومسكي نحصل على الشكلين:



ولقد وقع بيان صلاحية منوالي تنيار وتشومسكي لوصف نفس الجمل فلهما من الوجهة الشكلية نفس "القوة"ـ ويبدو لنا من الهام أن نسوءكد على أنّ هذا الضرب من التعليل وهو مفيد لتقييم قوّة المنوالين لا يوفر قط معرفة حول نوع الوصف المتوخي في كل منوال (أى حول النظرية اللسانية التي تنظر فيهما) وفي عبارة أخرى ومع التساوى في القوة (تنيار وتشومسكي ينظران في نفس الظواهر) لا شيء يحول دون أن نرى أنّ ما يقترحه تنيار من حلول في الوصف أفضل مما يذهب اليه تشومسكي، من حيث التناسق مع الواقع اللساني الموصوف، فوصف تنيار للجملة الفعلية يضع في نفس الباب الفاعل والمفعول في حين يرتبهما تشومسكي ترتيبا مستقلا فيكتشف المقابلة التقليدية بين الفاعل والخبر (المجموعة الفعلية)، ويرفض تنيار اعتبار هذه النظرة "بقاءً لمّا ينتيف للعصر الممتدّ من أرسطو الى "بور رواايال" حيث أقيم كلّ النحو على المنطق" (نفس المرجع المذكور ص ١٠٣) ويضيف: "انّ جميع الحجج المقدمة تعود

الى المنطق الشكلي الماقبلي وهو لا علاقة له باللسانيات (...) فليس في اللغة مهما كانت اللغة ما هو لساني يدعو الى مقابلة الفاعل، بالخبر (...) ومن العسير وضع الفاعل والخبر على قدم المساواة اذ لابد من التلفظ بهما (...) ويمكن للخبر أن يتضمن عناصر لها طبيعة وبنية متشابهتان للفاعل (...)، والمقابلة بين الفاعل والخبر تمنع من ادراك التوازن البنيوى للجملة اذ تدفع الى اعتبار الفاعل أحد العاملين دون غيره من الفاعلين والجملة ترتب في الخبر والفعل وجميع الظروف، وتخفي هذه المقابلة الخاصية التبادلية بين الفاعلين وهي قاعدة اجراء الفعلية بين الفاعلية والحالية وكما، تجرّ الى غموض تام لنظرية الفاعلين وقيمة الافعال وتحول دون اجلاء ظواهر الترابط والتحويل" (نفس المرجع ص ص ١٠٣ — ١٠٥). فالجدل مزدوج فهو نظرى (رفض مسلمة منطقية في المنطلق) وفي مستوى التحليل للظواهر (أنّ البنية من فاعلين متساوية تسمح بتوضيح عدد من القرابات بين الابنية).

٣ — الربط والتحويل والجملة المركبة:

تتوخى الجملة المركبة، عكس الجملة البسيطة، ادخال ظاهرتي الربط و/ أو التحويل: "فمن النادر أن تخلو جملة من ظاهرة الربط أو التحويل فلذلك تفوق الجمل المركبة الجمل البسيطة من حيث العدد" (نفس المرجع، ص ١٠١)— فالربط والتحويل يتحققان، كلّ على حدة، باستعمال الادوات والمحولات (أنظر أقسام الكلم المجردة في التركيبية البنيوية)—

— فعملية الربط تنظر فيما يسمى تقليديا بالعطف بين الكلم أو الجمل (نفس المرجع ص ص ٣٢٥ — ٣٥٨) ونلاحظ وجود روابط صفر (مثال: الاتباع)، والربط يغطي مختلف الفروق الدلالية (الاستدراكية مثل: (حسن، لكن غـــال) bon, mais cher والسببية مثل (يمكنه أن يدفع لانه غنيّ) il peut payer, car il est riche والنتيجة مثل (هو غنيّ اذن يمكنه أن يدفع) (Il est riche donc il peut payer) ويجرى الربط في ثلاث صور بنوية هي تضعيف العقدة المربوطة في مثل: un chat gras et dodu أو تضعيف العقدة الاعرابية في les enfants jouent et rient أو موازاة بين الحالتين السابقتين في مثل: Alfred achète des livres et des cahiers neufs وقد يكون الربط صورة بلاغية (عقد دلالي محض) أو نتيجة عقد بنيوى.

– وعملية التحويل تشمل من بين ما تشمـله حالات الربط لكنها تتضمن ظواهر مثل المفعول به (le livre de Pierre) او تركيب اسم فاعل (chanteur) – وهي حالة الاشتقاق المعجمي.

والتحويل يتمثل في "نقل كلمة وظيفية من قسم نحوى الى قسم نحوى آخر" (نفس المرجع المذكور ص ٣٦٤) (مـثـال بـ اسم Pierre في le livre de Pierre وهو بمفعول الحرف de انتقل من قسم "الاسمية" الى "الصفة" وهو ما يؤدى الى مقارنة ممكنة مع (le livre rouge). وينتج عن التغيير في القسم النحوى تغيير وظيفي (هنا Pierre يحول من وظيفة "الفاعل" الى وظيفة "المنعوت") ، و Pierre قبل عملية التحويل يسمى "المتحوِّل": (transférende) ، و Pierre بعد عملية التحويل يسمى " المحول (transféré) ؟ وأما الحرف وهو مميز صياغي للتحويل فيسمى "المحوِّل" (translatif).

وتتوفر أربع حالات ممكنة: التحويلات الاسمية والنعتية والفعلية والظرفية (وهي محددة على أساس القسم النهائي للتحويل) ، وتقابل هذه الحالات في اتجاه معاكس: التحويلات غير الاسمية وغير النعتية وغير الفعلية وغير الظرفية (وهي محددة على أساس القسم الاول للتحويل).

مثال عن بيان تحويل نعتي (غير اسمي):

le livre de Pierre (كتاب بيار)

(كتاب) le livre

(صفة). adjectif = transféré (المحول).

– بيار = (المتحول) de Pierre = transférendé

= translatif
(المحول)

– (شكل "T" يشير الى تاء كبرى للدلالة على التحويل في الفرنسية) –

والتحويلات عديدة، مثل الاسم: le soupirant الذى يستخرج من تحويل مضاعف فهو من الفعل soupirer الى النعت (زمان الحاضر) soupirant والى الاسم المذكور (نفس الكتاب ص ٣٨٧)-

ويميّز تنيار الى جانب ذلك بين تحويلات الدرجة الاولى (وهي حالات وصفناها الى هذا الحدّ من الدرس) وتحويلات الدرجة الثانية حيث يكون المتحول عقدة اعرابية في جملة تامة) ـ ففي هذه الحالة الثانية تصبح الجملة ذاتها عنصرا مرتبطا بجملة أخرى وهي الحالة التي تسمى عادة بحالة "الربط" (نفس المرجع المشار اليه ص ٣٨٦ وص ٥٤٣ وما بعدها)، (مثال: المفعولية والاستفهامية غير المباشرة والموصولة والظرفية والشرطية الخ. حيث المتحول هو الفعل وهي تتخالف حسب قسم المحول: الاسم والصفة أو الظرف)، وهنا أيضا توجد عدّة تحويلات بجانب التحويلات البسيطة، فمثال aux dépens de celui qui l'a écouté نتيجة تحويل رباعي (نفس الكتاب ص ١٢٧). فمفهوم عملية التحويل يمكن أن يقصده تشومسكي (أنظر الفصلين ٧ و ٩) من لفظ "التحويل" فهذان المفهومان يختصان بنفس الصفة وهي تحليل الانتقال من الجملة البسيطة الى الجملة المركبة بالرغم من تخالفهما في هذه الجوانب:

ـ ان حقل الظواهر الموصوفة حسب عبارة التحويل (عنه تنيار) يبدو أكثر شمولا (اختبار تنظيمي للصوغ والاشتقاق المعجمي) وأشدّ اقتضابا (لا يدخل فيه الربط) مما هو الحال في التحويلات (عند تشومسكي).

ـ لا يوجد لدى تنيار ما يعادل مستوى الابنية العميقة كما هو الشأن عند تشومسكي.

٤ ـ خاتمة:

انّ كتاب تنيار يقرأ بيسر وامتاع فهو حسن التأليف واضح وتربوى والنظرية فيه منسجمة ويعتمد العديد من النماذج المأخوذة من عدد كبير من اللغات ولم يقنع تنيار بالابنية البسيطة والنماذج المتداولة بين اللسانيين (وهي عموما ضعيفة جدّا بحيث يسهل تجسيدها في شكل مبسّط مثل: اسم فعل، اسم !) ويقبل تنيار مقارعة نظريته بظواهر معقدة وهو يستنبط منطلقه المبدئي من عمله التطبيقي

على اللغات وهو مسلمة ترى ان الكلام لا يقولب في أوعية منطقية لكنه يختص بقوانينه التنظيمية المخصوصة وهي المقصودة في الاكتشاف ، وتتميز طريقته بالاضافة الى ذلك بحرص دائم على توفير مصطلحية متناسقة ومقاييس تحليلية لسانية محضة (في باب التركيبية) فهو في عدد كبير من الجوانب يعلن الابحاث الحديثة دون السقوط في نقائص من جاء بعده من الذين انطلقوا من نظرة متقاربة مع روءيته (وحرصه على التطبيقات البيداغوجية لا يوءدى الى صياغة نظرية اختصارية ، واشكاله المجموعية لم تقم على أساس شكلانية ماقبلية) . وفي آخر الامر/لتنيار الفضل في كونه سعى الى تشييد نظرية عامة لمجموعة الاجهزة التركيبية ولم يقف عند عمليات الوصف المشتتة .

ولعل النقطة التي تبدو فيها نظريته محل نقد تكمن في مفهومه لمستوى الفكرة "بقطع النظر عن العبارة اللسانية" وهو مستوى يعتبر فيه "انّ الفاعل المتكلم ـ بالموضوعية والوعي ـ يختار الافكار التي يريد التعبير عنها" وفي هذا المجال يعارض سوسور الذى يقول : "لا توجد أفكار سابقة الوضع ولا شيء يتميز قبل ظهور اللغة" (سوسور ، ١٩١٦ ، والطبعة الحديدة ١٩٧٤ ، ص ١٥٥) ، ويقابل تنيار ذلك بالعلاقة التي يضعها بين مستوى التفكير ومستوى اللغة ("وهو نشاط عقلي ذاتي غير شعورى")ـ

ففي الميدان العملي يفسّر ذلك بالاهمية التي يوليها تنيار الى الطريقة الباطنية (ويوءكد تنيار على خصائصها التجريبية والموضوعية .نفس المرجع ص ٣٨) التي تدعو الى اعتبار حدسية المتكلمين في النحو التوليدى ـ

وبالرغم من النظرة المثالية التي تكمن وراء هذه الاراء ("انّ أقسام التفكير عالمية") فانه من الضرورى الاعتراف ، وهو نقيض ، بانّ النظرية التركيبية عند تنيار تتسم بخاصية يمكن وصفها "بالواقعية" فالمفاهيم والمستويات في التحليل تسمح بسيطرة شديدة على المعطيات التركيبية .

ــ المصادر والمراجع ــ

موءلفات مرجعية :

ــ لوسيان تنيار (١٩٥٩) ــ مبادیء في التركيبية البنيوية (كلينسيك)ــ طبعة ١٩٦٩

وهو كتاب صدر بعد وفاة الموءلف (وفاة تنيار سنة ١٩٥٤) وهو يجمع أبحاث الموءلف ويجب قراءته والاطلاع عليه بأكمله.

وللمقارنة، يمكن الرجوع خاصة الى :

ــ ن ــ تشومسكي ــ آنظر المراجع والمصادر في الفصول ٧ و ٩ وما بعدها.
ــ ف ــ دی سوسور (١٩١٦) ــ أنظر ماسبق ــ الفصل الاول ــ

VI ـ من قيوم الى بوتيـي :

القسم الاول
قيـــــــــــوم

انّ مؤلفات ج. قيوم تمتدّ بين ١٩١٩ و ١٩٥٨ وتتنزل بوضوح ضمن المنهج البنيوى فبالاضافة الى كثرة الرجوع الى سوسور نجد في أعمال قيوم أغلب المفاهيم البنيوية مثل المقابلة بين الدال والمدلول والمقابلة بين اللغة والحديث (في صورة مختلفة نحددها فيما بعد) والتمييز بين الانية والزمانية.

١ ـ المنهـاجيـة :

من بين المفاهيم المفاتيح لدى قيوم مفهوم النظام فالنظام عملية تجريدية تقوم على تاليف عقلاني فهو ليس معطي يدرك مباشرة بملاحظة يسيرة وبهذا الاعتبار يتعارض بحث قيوم جذريا مع أعمال التوزيعيين الذين يسعون الى وصف تنظيم الظواهر السطحية. فعمل اللساني عند قيوم يتمثل بالعكس في تجاوز الاطار الضيق للملاحظة الاختبارية (واقع مصطنع للظواهر الملموسة الملاحظة مباشرة) في تاليف الموضوع. ونلاحظ لدى قيوم نقدا قارّا للوضعية: "فعلوم الملاحظة تقوم في العلوم النظرية عندما تقبل اعتبار الواقع شيئا آخر، واكثر من ذلك، غير ما توحي به المظاهر المحسوسة" (١٩٧١، ا ـ ص ١٠) أو يقول أيضا: "انّ النظام لا يلاحظ الا بعد نشاط ذهني في التاليف وهو نشاط مخصوص يسبق أو يتجاوز معطيات الملاحظة المباشرة وبذلك يثير التحدى غير المشروع للفكر المنتبه المتشبع بالوضعية المبالغ فيها وقد تليت وهي التي ابتعدت عنها شيئا فشيئا العلوم الكبرى الاخرى في ميدان العلوم النظرية وانفصلت عنها" (نفس الكتاب. ص ١٥).

٢ ـ الموضوع : "الالية النفسية" :

تجاوز قيوم المفهوم البنيوى للغة باعتبارها نظاما من العلاقات خاليا من المضمون فهو يعتني بأحد القضايا المركزية في اللسانيات وهي مسألة العلاقات

بين الشكل والمعنى ، وترتكز مسلمته النظرية على استقلال الشكل (الدال) عن المادة (المدلول)، فالمادة موضع الدراسة المتميزة أو بصورة أدق عمليات التفكير التي تؤلف المدلولات كما يحرص قيوم على القيام بذلك.ويطلق على هذه الدراسة اسم "التنظيمية النفسية" أو "الالية النفسية" : ـ "انّ التنظيمية النفسية جميعها هي دراسة التقسيمات التي تحدد بها عملية التفكير في صلب ذاتها وفي مسار نشاطها بعض الاحداث الكبرى وهي تتقاطع فيما بعد اختراقا مع هذه الاحداث بواسطة تقسيمات أفقية ،وهي عندما تكون متسارعة أو متباطئة في الحركة التي تدفعها تكسب العلامة الممثلة للحركة قيمة تخالفية" ـ (١٩٧١ ـ ا ـ ص ٢٠٩) ٠

وسنقدم هنا على محاولة تبيان هذا التعريف فالتفكير نشاط وحركة ومدّ متواصل دون تصويره في التعبير، ولادائه ـ وذلك هو الكلام ـ فمن الضروري تحديد هذا المدّ واثباته وايقافه كالصورة السريعة التي تمثل الحركة أو كالسينما وهو تتابع من الصور المنفصلة ،وذلك لتشييد الحركة المتواصلة وهذا الضرب من الحركة هو ما يسميه قيوم بلفظ "التقسيمات" ، ويميز فيها نوعين :

الضرب الاول من التقسيمات هو الذى بفضله "يحدد التفكير في جوهر ذاته وفي نطاق نشاطه بعض الاحداث الكبرى" كالحركة من العام الى الخاص، فالامر يتعلق بحركة (لا بتقسيم معين للواقع الى أجزاء ثابتة) لها قيمة شكل تفسيرى خصيب سواء بالنسبة للمعرفة أو نظام الهيئة والزمان الخ٠٠٠ ومجموع الحركات من هذا النوع تؤلف نظاما في مفهوم سوسور وتؤسس ما يطلق عليه قيوم اسم "اللغة" (وهي هنا ليست ثبتا من العناصر وانما نظاما من الاشكال الحركية ـ "المتنقلة" ـ أى هي في حركة) ٠ فنحن في مستوى تجريدى هو غير مستوى "الخطاب" ٠

وأما الانتقال الى "الخطاب" فيتم بسلسلة أخرى من "التقسيمات" التي تهجم على الحركة "وتتمكن بها وتتلاقى معها في نقطة معينة من تناميها ، وخاصة هذا التقسيم" :المتسارعة أو المتباطئة "في صورة الخطاب هي التي" تكسب العلامة الممثلة للحركة قيمة تخالفية" ٠

٣ ـ مثـــال :

ونورد هنا لبيان مجموعة هذا الجهاز المثال الذى قدّمه قيوم نفسه (١٩٧١ ، I ص ٢٠٩) : "نعرف أنّ الاداة (un) انما هي توتر متنقل من العام الخـــاص

اي يتنزل بين تقسيمين عموديين للنشاط الفكري المبثوث من المتسع الى الضيق وهذا التوتر في مستوى الكلام هو موضوع تقسيم افقي متسارع أو متباطيء يصبغ على الاداة قيمتها في الاستعمال. وهو ما من شأنه أن يجعل التوتر الحركي الذي تمثله الاداة un إذا اخترقت بالضد مبكرا أو موءخرا في تناميها يمدّنا بأداة تعمم أو تخصص، فيوجد اختراق متسارع في تركيب un
un enfant est toujours l'ournage de sa mère

واختراق متباطيء في تركيب un enfant entra

"ونعرف، في درجة دنيا، أن الاداة le هي حركة الفكر وتوتر ينتقل من الخاص الى العام اي انها تتنزل في نفس الحدّين مع الاداة un لكنها تعود الى ترتيب معاكس ـ ليس عاما أولا ثم خاصا بعد ذلك ولكن هو خاص أولا ثم عام بعد ذلك بحيث أنّ حدث التعميم يستخرج من التقسيم المخترق المتباطيء وحدث التخصيص يستخرج من التقسيم المخترق المتسارع ومثال التقسيم المتسارع هو l'homme entra والتقسيم المتباطيء «l'homme est mortel .

ويستدعي هذا المثال عدّة ملاحظات:

٣ ـ ١ ـ انّ ما يقدمه قيوم من نظرات لها فضل ابراز ما يوحد العلامة الواحدة وما يفرقها في نفس الان (وهنا مثال كل اداة) فالوحدة تكمن في الحركة في "مستوى اللغة" (وهو ما يوءلف "المعنى") والفرق يتأتى من اختلافات "التقسيمات المخترقة" في مستوى الخطاب (وهي تنتج بنفس القدر "احداث المعنى")، واذا كان من العسير القطع بمدى "صحّة" هذا التمثيل فمن اليقيني انّه يقدّم تركيبا للظواهر التي تبدو متناقضة في الكلام وبذلك يطرح أحد المشاكل المفاتيح في اللسانيات.

٣ ـ ٢ ـ انّ "اللغة" و "الخطاب" ـ لا يوءولان الى تقسيمات أو مجرّد تعاقدات بين الكلم ـ عند قيوم عبارة عن نشاط أهمّ مضامينه تحقق في الانتقال من الحركة المتواصلة الى اللفظ وهو ضرورة منقطع بتوخي سلسلة من "التقسيمات"، وفي تعبير آخر يكون المتساهمون في العمل الكلامي ضرورة ضمن دراسة الكلام، وبهذا يرتبط قيوم بالبنويين الاعتياديين أقل منه باللسانيين في ظاهرة التلفظ (انظر فيما بعد الفصلين ١٢ و ١٣) الذين يعالجون هم ايضا قضية التركيب (أو التأويل) في الملفوظ الذي ينظر اليه من زاوية الفاعل المتلفظ (أو المتقبل) ويلوح موقف قيوم بالفعل وسطيا اذ هو، عكس بعض اللسانيين في ظاهرة التلفظ، يتمسك تمسّكا شديدا بالمقابلة بين اللغة والخطاب (فيفرق مثلا في مسألة الزمان بين

"صورته في اللغة" و "عبارته في الخطاب") ، وهو يسعى الى ربطهما حركيا ليبين ما تتسم به "التقسيمات" التي تحقق الانتقال من اللغة الى الخطاب،من خصائص تدخل في النشاط الكلامي في مجموعه.

٣ ــ ٣ ــ وطريقة قيوم الخاصة التي ينظر منها عبر زمانية مخصوصة الى سير العمليات التي تؤدي الى تأليف ملفوظ انّما تستحق العرض،فعباراته من "تقسيم متسارع أو متباطيء" ترجع الى "الزمان العلمي، الحامل للانتقال بين اللغة والخطاب" (نفس المرجع ، ص ١٦٣) : "فالظاهرة اللسانية في شتى حالاتها تعود الى خط مسير يمثّل فيها الزمان العملي،وتتوفر تقسيمات بواسطة ذلك الزمان العملي تصور الفترات المختلفة في تتابعها" (نفس المرجع ص ١٥٠) . فقيوم يخوض هنا في مجال الفرضيات التي تخص ما يمكن تنميته بزمان الفكرة ــ ـالكلام ، وتوجد صعوبة في كونه يتردد في تمثل ترتيب العمليات وتتابعها سواء في تتابع ملموس عبر الزمان أو كهدف منطقي في سير النظام ، ونعثر في هذا الجانب على عبارات تبدو متضاربة: "ان صورة الزمان فى الفرنسية هي نتيجة عملية عقلية قصيرة دنيا يكررها الفاعل المتكلم بفكره في كل مرة يجب فيها الدلالة على الـزمـان فبقدر قصر هذه العملية التصويرية ــ وهي تتجدد تبـاعـاد ومتماثلة في ذاتها ــ يكون لها أساس هو الزمان الحقيقي الملموس" (١٩٦٤، ص ١٨٥ ونحن نؤكد على ذلك) ، "فالقضايا المتعلقة بالزمان لقيت حلها في اللغة ،منـذ منطلق اللغة وقبل تدخل الخطاب (...) فليس القصد هنا هو الاولوية التاريخية وانما شيء آخر هو الاسبقية التنظيمية" (نفس المرجع ص ٢٠٩ ، ونحن نؤكد ذلك) .

٣ ــ ٤ ــ وبصفة عامة يمكن أن نرجع مالقيوم من مفهوم "للتقسيمات" المجراة في اللغة في النشاط الفكرى الى معطيات الحركة المزدوجة من العام (المتسع ، غير المحدود) الى الخاص (الضيق النهائي) وبالعكس، لكن الحركة الثانية لا تزيل الاولى: "نلاحظ في اللغة أحداثا معاكسة تتابع ولا ترجع الى الورى" (١٩٧١ ، أ ، ص ٢١٠) . وهذه الحركة المزدوجة تتجلى سواء في الميدان الزماني (مما يؤدى الى نظرية الاقسام الفعلية في المعنى الشامل والتي تتضمن أدوات الربط والحروف والصفات والازمنة والاحداث والهيئات...) أو في الميدان المكاني (مما يؤدى الى نظرية الاقسام الاسمية في المعنى العام) : "فالفكـر الا نساني في حركة مسترسلة بين تمثل النهائي واللانهائي،وتتداخل الصورتان بعضها ببعض بحيث يكون لرؤية اللانهائية صدى لرؤية النهائية ولرؤية النهائية صدى لرؤية اللانهائية ففي عمل هذا التداخل المشترك ــ عمل جهاز

من المقابلات لا تتراجع الى الورى ـ تتكون مفاهيم الزمان والمكان وهي تصور في اللغات المتطورة في أقسام الفعل والاسم" (١٩٧١، أ، ص ص ١٩٩ ـ ٢٠٠).

٤ ـ خـاتـمـة:

يبدو أنّ قيوم من الشخصيات التي يعسر ترتيبها بين الاتجاهات الكبرى في اللسانيات فهو، كما حاولنا بيانه، باتصال وقطيعة في نفس الان مع البنيوية، وهو في عدّة ملاحظات يوحي، بالمفاهيم التي نجدها في الصوغ التشومسكي وبالخصوص المقابلتين بين السطحية والعميقة من ناحية وبين جهاز نهائي وتعاملات لانهائية من ناحية أخرى: "فاللغة تجمع في نفسها عددا نهائيا من الظواهر، والخطاب ينمـي بنفسه ـ دون وجود مجموعة ـ السلسلة غير المنغلقة من أعمال التعبير(...) فالنهائية تكمن في جانب اللغة واللانهائية في جانب الخطاب" (١٩٦٤ ،ص ١٨٥ ونحن نؤكد ذلك) أو أيضا: "انّ أعمال التمثل الفكرى تنتمي الى المستوى العميق في الفكر ولها طبيعة مغايرة لاعمال التعبير وهي سطحية وتؤلف الخطاب" (نفس المرجع ،ص ٢٠٦ وهو ما نؤكده نحن)، ولقيوم بعض المظاهر، وهو ما تعرضنا اليه، تنبىء بلساني عملية التلفظ.

ولعل هذه الصفة، وهي انعدام ترتيب قيـوم، مـن الاسباب التي ولدت العداوة التي واجهها في حياته والنسيان الذى آل اليه فيما بعد، فمثل ما هو الشأن بالاعجاب، غير المشروط يبدو هذا الرفض الشامل مبالغا فيه.

ونعرف أنّ طريقة قيوم قد وصفت "بالنفسية الغيبية" وانّ أمر "اللسانيات الحدسية" (وهي عبارة قيوم) يبدو محل شكل ومن البديهي أيضا أن بعض مصادرات قيوم في موضوع أصل اللغات وتطورها قد تبدو اليوم مرفوضة، وهذه المصادرات التي تؤسس نمطية الغات هي كذلك تناقش. وتصحبها اعتبارات تقعيدية أو تنحصر فى التمييز العنصرى حول الخاصية "البدائية أو المتطورة نسبيا للغات".

وبقي أن قراءة قيوم تؤدى الى شعور بآراء يعسر مراقبتها وهو شعور تقوية صعوبة القراءة ومن بين أسبابها المصطلحات الابهامية مما جعل بوتيي يدلـي بملاحظة صحيحة: "انه من المؤسف أن نرى بلاغة لفظية ترد لتدخل الضيم والخلـل قصدا علـى بحـث لوضيـع في شكل مغاير نشـأت عنه رؤى شديـدة الخصب" (بوتيي، ١٩٦٢، ص ٦).

القسم الثاني

بوتي

يرجع بوتي بوضوح الى قيوم في موءلفاته، وعمله :في تقديم اللسانيات (١٩٦٧)، كما يشير اليه العنوان، عبارة عن "مقدمة لنظرية" في الكلام مستوحاة من منهاجية قيوم لغاية تشييد بناء نظرى عام، فنجد بها المقابلة بين الدال (العبارة) والمدلول (المضمون) وهي مقابلة تتميز بالتفريق داخل المدلول بين شكل المضمون (الابنية التركيبية) ومادة المضمون (الابنية الدلالية) فالفعل الكلامي في مجموعة عبارة عن حركة مثناة موءلفة من علم المدلولات (من وجهة نظر المتقبل انطلاقا من الدالات والابنية التركيبية حتى تدرك الابنية الدلالية) وعلم الدوال (من وجهة نظر الباث عكس ما سبق) .

١ ـ تحليل الابنية التركيبية :

فبعد تقسيم الوحدات القاعدية لنا نظرية في مستوى التحليل التركيبي ويقدم هذا الترتيب كما يلي :

ـ التركيب (وحدة عمل) ويوءلف من قاعدة (اسمية أو فعلية) واضافات (وهي توءلف عددا من تحديدات القاعدة) .

مثال : (= اضافة) le
(= قاعدة اسمية) chat
noir / de ta mère
(= اضافات) que j'ai acheté
(قط امك الاسود الذى اشتريته)

ـ العقدة (وحدة دنيا للابلاغ) وهي تتركب من أداة حاملة (الفاعل ، مثال التركيب الاسمي) ومحمول الخبر ، مثال التركيب الفعلي أو التركيب الفعلي + التركيب الاسمي) . والعبارتان "حامل" و "محمول" مقتبستان عن قيوم .

ـ الملفوظ (وحدة تلفظية) تتركب من عمدة واحدة أو مجموعة من العقد
مثال : il pleut, donc je ne sors pas = المطر ينهمر فلا أخرج)

ـ المقطوعة النصّية (فقرة، فصل ...) وهذه الوحدات كلها (وكذلك الوحدات القاعدية) تتصل فيما بينها بمقتضى علاقات ترتيبية.

٢ ـ تحليل الابنية الدلالية :

٢ ـ ١ ـ الوحدات :

"امام لا نهائية الكون ابدع الانسان من خلال اللغة مجموعات مميِّزًا بين مدارك متخالفة فوصل بذلك الى مجموعات مقسمة" (أي منظمة حسب الترتيب)، "نهائية = مثال = مذكر/ مؤنث/ غير مجنس ـ أو لا نهائية ـ مثال: (أشار، دل، سمّى) : montrer, désigneré dénommer ...» (نفس المرجع، ص ٢٣).

والوحدات التي تنتمي الى مجموعة نهائية تسمى التعيينات.

مثال : (قط، ذهب، باريس) chat ; partir ; Paris

والوحدات التي تنتمي الى مجموعة نهائية تتوزع الى ثلاثة أقسام :

ـ التعريفات ولها "تسامت" (عبارة قيوم) بسيط أي أنها تنطبق على تعيين واحد.
مثال : "مذكر"، "معرفة" و "مفرد" وهي تؤلف ثلاثة تعريفات متسامتة،
مثال : تعيين كلمة (قط) ؛ chat

ـ العلاقات ولها تسامت مضعف، (فهي تربط بين ضربين من التعيينات).
مثال : de وهي علاقة متسامتة للفظين هما : ذهب و باريس (Partir, Paris)

ـ التشكيلات وهي ترتبط بظرف التلفظ.
مثال : الجنس والاشارات:(ذا، هنا) ce, ... ici

٢ ـ ٢ ـ التحليل الدلالي لهذه الوحدات :

انّ المنطلق النظرى الذى يقوم عليه التحليل هو الذى يستخرج مباشرة من البنيوية وعلم وظائف الاصوات وهو فكرة أنظمة المقابلات الثنائية حيث يتقابل لفظ سلبي بلفظ ايجابي. مثال: النفـي المقابل للاثبات، والمضارع المقابل للماضي والجمع المقابل للمفرد... وأما التمييزات الثلاثية فهي تعتبر من الاعواض المستخرجة من النظام الثنائي: فعلامة + أو ـ (تمييز موضوع) تقابلا هما Ø (وهو تمييز غير موضوع).

٢ ـ ٢ ـ ١ ـ فالمضمون الدلالي للتعيين هو الدليلم (أو الدليل الجامع وهو عبارة عن مجموعة من "الادلة" (صفات تمييزية للدلالة يتم كشفها بالتقابل ضمن مجموعة معجمية).

مثال: ٥ تعيينات تشترك في "الحقل الدلالي للكـراسـي" وهـي «chaise, fauteuil, tabouret, banquette, canapé» فكل تعيين يعرف دلاليا في ضوء "دليل جامع" هو مجموعة الادلة الايجابية أو السلبية التي تتناسب معه.
ونقدم على سبيل المثال الجدول الجزئي الموالي وهو يصور بعض المقابلات:

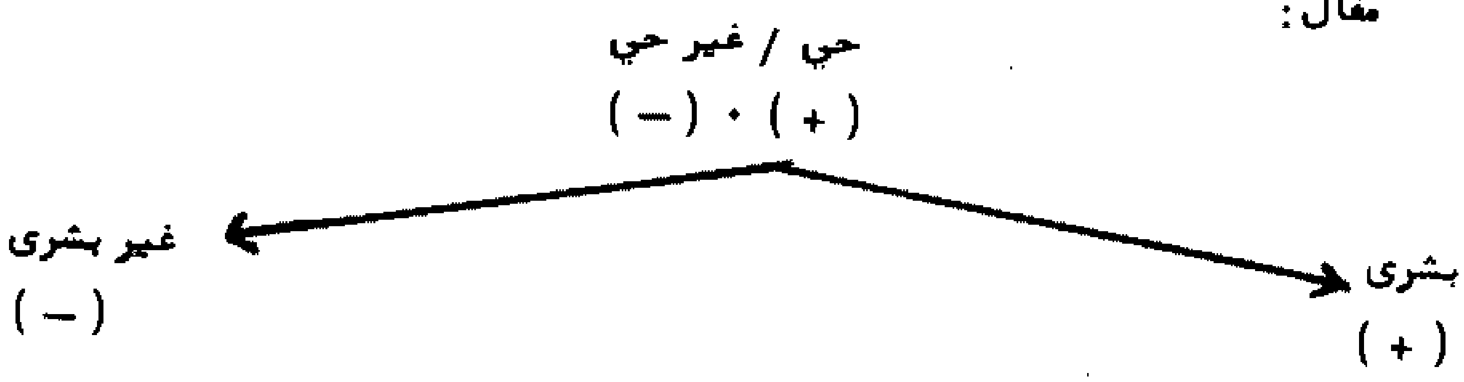
دليلم / تعيين	دليلم ١ ذراع (bras)	دليلم ٢ (مسند) dossier	دليلم ٣ عدد الجالسين
كرسي chaise	ـ (دون)	+ (مع)	+ (واحد)
أريكة fauteuil	+ (مع)	+ (مع)	+ (واحدة)
مقعد صغير tabouret	ـ (دون)	ـ (دون)	+ (واحد)
(بنك) banquette	Ø (خارج)	(المقابلة)	(كثرة)
مقام canapé	+ (مع)	+ (مع)	ـ (كثرة)

ومبدأ مثل هذا التحليل متواجد عند كاتز وفودور (أنظر فيما يلي الفصل ٨) ٠
وأدت الدراسات الدلالية مع بوتيي الى التمييز بين "السيّمات المتغيرة" ("دلالية سياقية" تحقق حسب ظرف الخطاب، مثال الاحمر الذى يشير الى الخطر) و "السيّمات القارة" ("دلالات معجمية") ونجد هنا المقابلة بين اللغة والخطاب، ومن بين السيّمات القارة يميز بوتيي أيضا السيمات المخصوصة (كسيمات الجدول أعلاه) والسيمات النوعية (مثال: صفات "المجرد"، "المنقطع"...) ٠

٢ ـ ٢ ـ ٢ ـ المضمون الدلالي للتعاريف والعلاقات والتشكيلات:

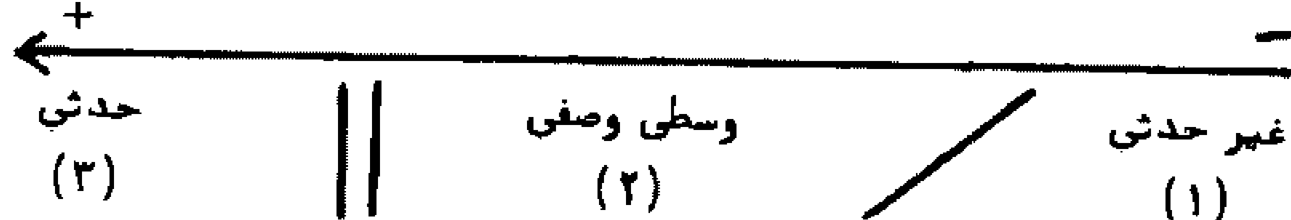
ويحاول بوتـيي الالمام بمختلف الصفات النحوية ("كلم/نحوية") المستعملة في مختلف اللغات، فالدليلمات توصف هذه الكلم النحوية بمقتضى العلاقات الثنائية (أو الثلاثية) ٠

مثال:



وكما هو الشان في دراسة قيوم فهذه التقاطيع المتفاصلة بالضرورة تتنزل في مستوى المحور الدلالي المتصل٠

مثال: الدرجات التي يفرزها بوتـيي في "صيغة الحدث" (١٩٦٧، ص٤٢) ٠



(١) ـ هذا المشكل حلّة سهل — ce poblème se résout facilement

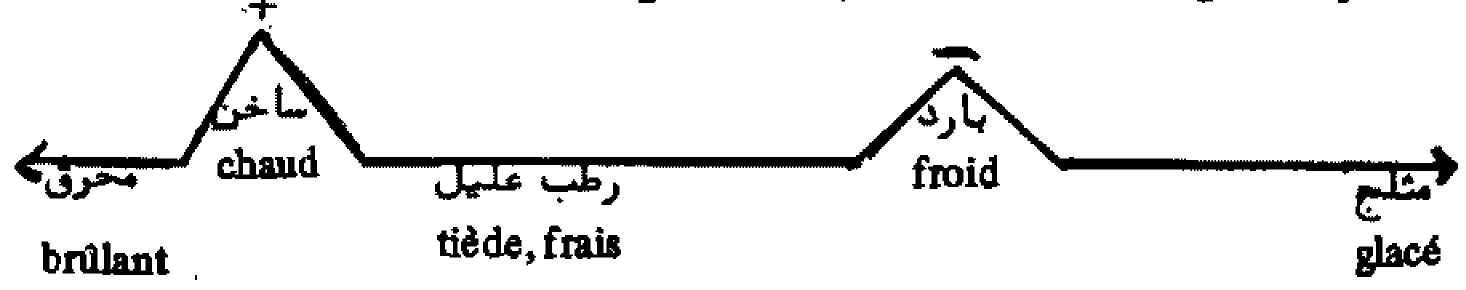
(٢) ـ مات فى حادث سيارة — il s'est tué dans un accident d'auto

(٣) ـ قتل نفسه بمسدسه، نظر الواحد الى الاخر، شاهد الفيلم كله٠ — il s'est tué avec son propre fusil ils se sont regardés ; il a vu le film en entier.

فطرافة هذه المحاولة تكمن في المجهود المبذول للتاليفية والدقة وهي تروم ابراز الاقسام الاكثر عمومية والتى تتوخى في اللغات المختلفة في صور متغايرة٠

٢ ـ ٣ ـ التعاملية الدلالية :

وينظر بوتـي بعد ذلك في كيفية تنظيم اللغة لمختلف الادلة والصفات النحوية فيبين مثلا بناء السلاسل (نفس المرجع ص ٥١) :



ويدرس بوتيي مختلف العلاقات الممكنة بين الدوال الجامعة : علاقة تقابل (مثال : الاثنين / الثلاثاء / الاربعاء / ...) وعلاقة التضمين (مثال : معلم وأستاذ المتضمنان في كلمة مدرّس) ، الخ...

ويعالج في آخر الامر قضايا ترتبط بالسياق أى التحقيق في الخطاب (مثال : مختلف القيم لفعل ("فتح") ouvrir في تراكيب :

(فتح كرسيا) = ouvrir une chaise
(فتح منفذا) = ouvrir un tunnel
(فتح جلسة) = ouvrir une séance

أو كذلك تاليف المجالات الدلالية أى الانظمة الصغرى التي تجرى في ظرف معين ، مثال ، الالفاظ التي تحدد أنواع المسكن عند الباريسيين من ١٥ الى ٥ ر٣ سنة) .

٣ خـاتـمـة :

انّ بوتـيي يعتبر من الممثلين القلائل للبنيوية اللسانية في الدلاليات ، و اذا كانت منهاجيته تتوخى الطرق التي وضعت في علم وظائف الاصوات (التسميات متينة الاتصال بالصفات التمييزية الفنولوجية) فانها لا تنحصر في هذا الميدان ، ويحرص بوتـيي راجعا الى قيوم في هذا الشأن ، على تقطيع المتفاصل والمتواصل وتصوير الحركة وتيسير شكل شامل يبلغ حدّ العالمية والوصف التفصيلي لمعطيات الخطاب في كل لغة دون التفريق الجذرى بين المعجم والنحو.

وبالرغم من أنّ بوتـيي بقي منفصلا عن اتجاهات التوليديين التحويليين وهو يحتل مرتبة مفردة ضمن البنيويين الكلاسيكيين فهو يمثّل منهجا طريفا له جوانب عديدة متنامية تدنية من الابحاث التي نشأت في اطار بنيوى حديث .

ـ المصادر والمراجع ـ

ـ ج٠ قيوم (١٩٤٨ ـ ١٩٤٩) ـدروس في اللسانيات مجموعة من المحاضرات ألقيت في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ـ ونرجع هنا الى المجلد الاول ("مبادىء ومناهج وتطبيقات") سلسلة ـ ب ـ ("التنظيمية النفسية في الكلام") في الدروس (طبعة ١٩٧١ مطبوعات جامعة لافال، كيباك) ٠

ـ ج ٠ قيوم (١٩٦٤) ـ الكلام وعلم الكلام: (كيباك، مطبوعات جامعة لافال وباريس نيزيت، الطبعة الثانية ١٩٦٩) ٠ مجموعة من المقالات ظهرت بين ١٩٣٣ و ١٩٥٨ ونشرت بعد وفاته٠
قراءة صعبة وغالبا محيرة لكنها ليست غريبة٠

ـ ب ٠ بوتيي (١٩٦٢) ـ تنظيمية العناصر في العلاقة (كلينسيك) وهو عمل يؤلف بين مكتسبات قيوم والبنيوية٠

ـ ب ٠٠ بوتيي (١٩٦٧) ـ تقديم اللسانيات (كلينسيك) ٠

ـ وهو كتاب قليل الصفحات جامع في عرض شديد التأليف لاهم المفاهيم عند المؤلف (وهذا التقديم قد توخيناه في أهم جوانبه) ٠

ـ ب٠ بوتيي (٢٩٧٤) ـ اللسانيات العامة، بين النظرية والوصف (كلينسك) وهي مرحلة جديدة في الصوغ النظرى (ظهرت متأخرة جدّا فلم نستعملها) ٠

الجزء الثاني

النحو التوليدي وتطوره

٧ ـ المنوال الاول عند تشومسكي ("الابنية التركيبية") :

لقد أصبح من العادة مقابلة الاتجاه البنيوى (الاروبي من ناحية بعد سوسور والامريكي من ناحية أخرى، مع التوزيعيين) باتجاه النحو التوليدى (انشاء تشومسكي). وسنحاول في قسم أول أن نقدم ببعض الفويرقات هذه الرؤية اعتمادا على الكتاب الاول الذى نشره تشومسكي وهو تحت عنوان، الابنية التركيبية (١٩٥٧ والترجمة الفرنسية ١٩٦٩).

١ ـ النحو التوليدى والبنيوية :

ـ مجال الدراسة والمنهاجية ومفاهيم التحليل.

حصر تشومسكي في ١٩٥٧ مجال الدراسة في التركيبية وهو يبحث عن بناء "نظرية للابنية اللسانية دون الرجوع الى لغة مخصوصة" يطلق عليها اسم النحو وأهم أقسامها يتالف من التركيبية.

فالظواهر التركيبية عنده تنتمي الى مستوى مخصوص مستقل يتميز عن علم الصيغ وعلم وظائف الاصوات والدلاليات (فالجملة قد تكون حسنة التكوين تركيبيا لكن خالية من الدلالة مثل الجملة التي يوردها الافكار الخضراء لا لون لها تنام بعنف) وهذه النظرة تعالج في الفصلين ٢ و ٩ من كتابه.

وهدف النحو أن ينظر في جميع الجمل النحوية وفيها دون غيرها. فما هو شكل النحو؟ هو شكل "جهاز توليدى"؛ ويقصد من ذلك أن المعطيات التركيبية يمكن وصفها بفضل روءية بديهية ونظام من القواعد (في صورة نظام شكلاني)

– وهو ما جعل تشومسكي يؤكد دائما على قضايا شكل النحو والصبغة الشكلانية للقواعد – ومن ناحية أخرى لا تؤول النظرة الى الكلام (وهنا بالخصوص الابنية التركيبية) الى مدونة نهائية مهما كان مداه) ولكن بالعكس توجد بالكلام اجهزة (صفتها شكلية) تنطلق من مجموعة نهائية من القواعد والرموز لتوفر خلق عدد غير متناه من الجمل (لكل جملة طول محدد) وهذه الخاصية وتسمى الابداعية يقع تعريفها شكليابخاصية التواردية ويمكن ابرازها كما يلي: فهب لنا هذه الجملة: (الرجل الذى قابلته يلبس قبعة) l'homme que j'ai rencontré portait un chapeau. (وهي جملة تتضمن قاعدة تتعامل فيها جملة مع جملة) فمن الممكن نظريا أن نطبق هذه القاعدة في عدد لا متناه من النماذج مثل: (الرجل الذى قابلته يلبس قبعة لها ريشة وأسفلها شدّ بشريط هو ...) . l'homme que j'ai rencontré portait un chapeau, qui avait une plume, dont le bas était attaché par un ruban, qui وهو مالا يقوم به التوزيعيون، فتشومسكي يرى أن موضوع الدراسة ليس مدونة معروفة (هي متناهية ضرورة) وانما الموضوع هو لا نهائية النماذج الممكنة مع اعتبار التحقيقات التي لم ينطق بها ولم تسمع قبل ذلك فالموضوع لا يلاحظ اختباريا، والمنهاجية تختلف بالضرورة فيجب أن تقام على ما للمتكلم من حدسية في لغته.

وعكس التوزيعيين الذين ينطلقون من مدونات للغات مجهولة ويرومون أن تمدهم نظريتهم بالوسائل لتشييد نحو تلك اللغات (أى في صورة مجازية اشتقاق موضوع "اللغة" أحسن "الادوات" النحوية المتكافئة لدراسة اللغة وهو ما يسمى بطريقة الاكتشاف) نرى تشومسكي يؤكد (نفس المرجع، الفصل ٦) استحالة هذا العمل ويذهب أيضا الى أن النظرية لا تدرك حدّ التقرير في شأن نجاعة النحو المعين لمعالجة اللغة (ولا نقدر على مقارنة الاداة والموضوع وهو ما يكوّن مطلبا أقل حدّة ويسمى بعبارة طريقة التقرير). والدور الوحيد للنظرية حسب تشومسكي يكمن في مقارنة أداتين الواحدة بالاخرى أى مقارنة نحوين لاستخلاص حكم أنجعهما في دراسة اللغة (طريقة التقييم). فالنحو يجب أن يولد مجموع الجمل النحوية دون غيرها وأن يلحقها بوصف معين.

وهذه الاعمال جميعا تصور مقابلة بين البنيوية والنحو التوليدي ومع هذا نتساءل هل أن الاتجاهين لا يتقاسمان عددا معينا من المسلمات النظرية المشتركة ومنها التأكيد على قضايا الشكل (وصار عند تشومسكي مشغلا شكلانيا محضا) ونتيجة لذلك رفض الدلالة على الاقل فى البداية.

ـ المقدمة والمقارنة في ثلاثة أصناف من النحو الشكلي مختلفة :

(وفي هذا الجانب نرجع الى تشومسكي فيما ذكر من مصنفاته وكذلك كتابه في ١٩٥٦)٠

وانطلاقا من أهداف نظرية حددت سابقا، يبحث تشومسكي من بين اللغات الشكلية عن الانظمة التي قد تشبه تمام الشبه الابنية التركيبية في اللغات الطبيعية أو في تعبير آخر هو يسعى الى بيان أنواع الاجهزة الشكلية التي تخلقها (أو توماتية آلية ونظام شكلي) والتي قد تؤلف منوالا للكلام ونحوا يولد جميع المتتاليات الصحيحة نحويا دون غيرها مع وصفها ٠

وعلى هذا الاجراء يعالج تشومسكي تباعا نوعين من النحو الشكلاني (المنوالان المذكوران فيما بعد) ، ثم يضع وجوبا مقتضيات لسانية جديدة أكثر نجاعة للدراسة النحوية ويقترح أن يضيف الى المنوال الثاني (الذى يدرك غاية توليد المتتاليات النحوية دون غيرها) منوالا ثالثا من النحو (يصف بنجاح طريقة تأسيس الابنية التركيبية) ٠

٢ ـ ١ ـ النحو: عدد متناه من المنازل (وهو شكلانيا منهج ماركوف) :

ونحن لن نصف هنا هذا الضرب من النحو الذى يقدمه تشومسكي (١٩٥٧، الفصل ٣) اذ هو يؤلف منوالا بسيطا وأصح العجز عن توليد جميع أنواع الابنية التركيبية ولنقل فقط انه اذا صلح في وصف بعض مظاهر التكافوء السياقي (مثل المطابقة في les enfants و tu chantes) فهو يقف دون معالجة المبادلات من نوع : si ... alors ou bien ... ou bien ولا يوفر عامة الترتيبات أى انتاج نظرية في الوظائف ،

٢ ـ٢ ـ نحو المكونات (شكلانيا : القواعد السياقية) ، (نفس المرجع المشار اليه في الفصل ٤) ٠

وهو نحو يقدم كمعطى لبديهة مبدئية (هنا يستعمل رمز "ج" للجملة) فيها مفردات (أقسام نحوية مثل: "مركب اسمي" ، م ا ، و "مركب فعلي" م ف ، و "اسم" ا ، و "فعل" ، ف ٠٠٠ وهي تؤلف "المفردات المساعدة" ، ووحدات معجمية

مثل: سيد و كلب و اخذ.... وتؤلف "المفردات الختامية" ومجموعة من القواعد تسمى "للكتابة المولدة" وتسمح بمقتضى سلسلة من مراحل "الاشتقاق" بتوليد (انشاء) متتاليات هي الجمل وعملية وصف تخصها (هي "تاريخ اشتقاقيتها" نصورها في شكل سلسلة من القواعد التطبيقية أو في شكل شجرة)ـ

مثال: هب لنا هذا النحو (البسيط جدا):

ج ← م ا + مف	P → GN + GV
م ا ← اداة تعريف + ا	GN → Article + N
م ف ← ف + م ا	GV → V + GN
ف ← أخذ، لمس	V → prend, touche
ا ← سيد، كلب، كرة	N → monsieur, chien ballon.
الاداة ← (أل) ـ	Article —— le

وهذه القواعد تنمي (أو تكتب من جديد) القسم الايسر من السهم في شكل ما نراه على الجانب الايمن من السهم. وعلامة + تفيد أن المكونين المترابطين ضروريان والفاصل يفيد أن الرمز على الجانب الايسر من السهم قد تعاد كتابته بالاختيار بين احد العناصر المفصولة (بالفاصل)ـ ، (الايسر والايمن يتغيران في العربية من حيث الاتجاه تبعا لطبيعة اللغة)وهذا النحو يؤدي الى توليد ١٨ جملة:

السيد يأخذ الكلب، السيد يأخذ الكرة، السيد يأخذ السيد، السيد يلمس الكلب، السيد يلمس الكرة، السيد يلمس السيد، الكرة تلمس السيد

الكرة تلمس الكلب

الكرة تلمس الكرة

الكرة تأخذ السيد

الكرة تأخذ الكلب

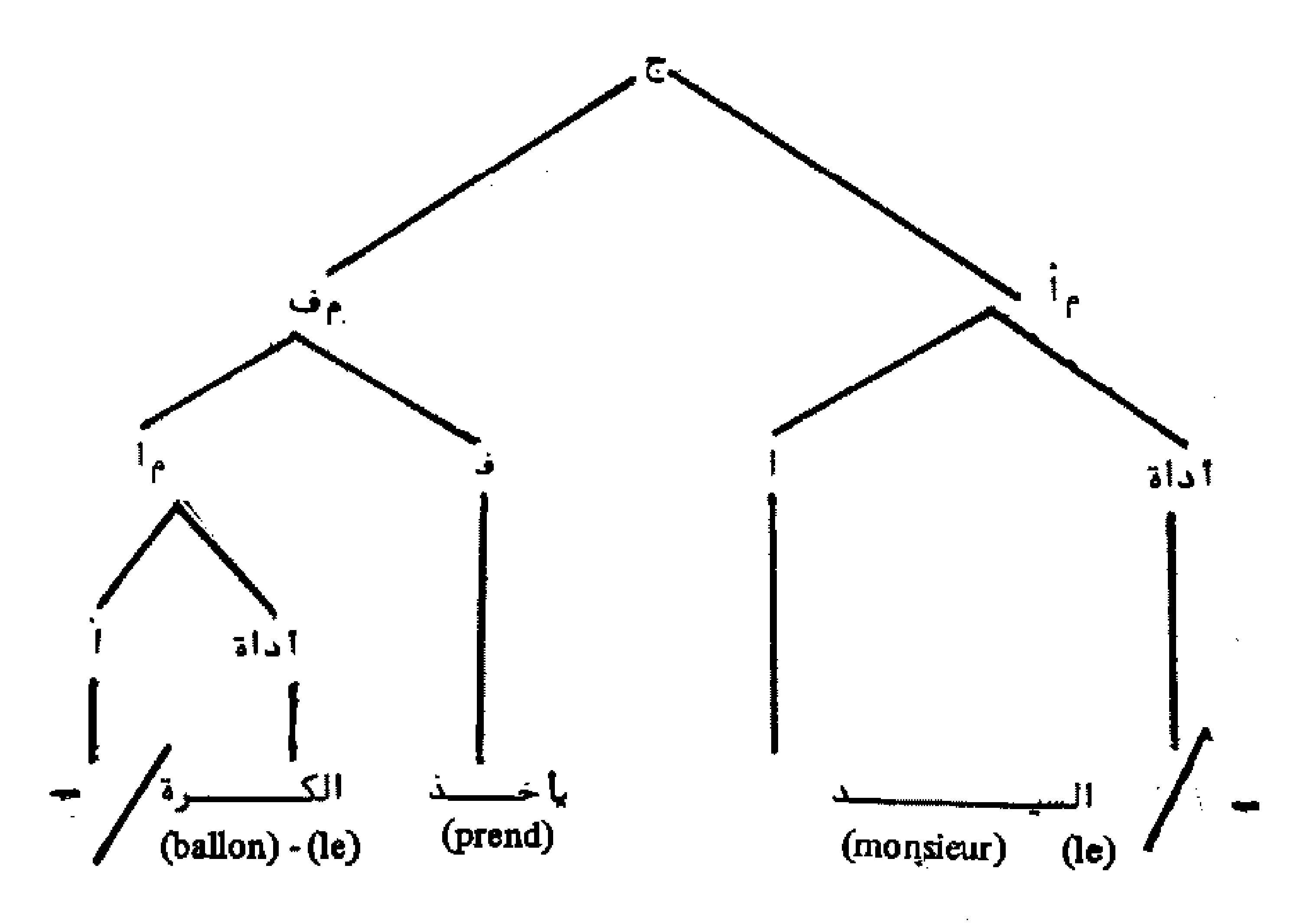
الكرة تأخذ الكرة

الكلب يلمس السيد

الكلب يلمس الكلب

الكلب يأخذ السيد
الكلب يأخذ الكرة
الكلب يأخذ الكلب

فجميع هذه الجمل مستقيمة نحويا (حتى وأن كان بعضها مستقبحا دلاليا)ـ مثال شكل شجرى (يسمى "الدليل السياقي") لعملية اشتقاقية :



فيتوخى هذه القواعد "المطردة" في الدرس النحوى تتولد نظريا مجموعة لا متناهية من الجمل (مثل : كلب جار جدّة الصديق...)
le chien du voisin de la grand-mère du copain

ورغم ذلك فان هذا النوع من النحو المسمى بالنحو "المستقل عن السياق" لا يوفي تماما بهدف النحو فهو ضخم جدا ويولد بالاضافة الى الجمل النحوية مجموعة الجمل غير النحوية (مثل : السيد يمشي الكرة) ونحصل على هذه الجملة في النحو المذكور باضافة فعل "مشى". ان قائمة العناصر التي تعيد كتابة الرمز "ف")، ولحصر الكلام المولد في النحو ندخل القواعد في قيود توصف

"بالسياقية" (لضبط فعل لازم مثل هذا التركيب (فعل مشي) لا يقوم في التاليف باستعمال مفعول به، فيتعلق الامر في هذه الحال أيضا بتركيبية لكن "سياقية".

هل هذا النحو ناجع في درس الابنية التركيبية؟ وردا على هذا السوءال يجيب تشومسكي (١٩٥٧، الفصل٥) جوابا به فويرقات:

— نعم هذا النحو يولد الجمل النحوية دون غيرها.

— لكن يوءدى أحيانا الى عمليات وصف غير مستقيمة فهو لا يوفر مثلا الوسيلة العملية لكشف المكونات المتماثلة في الجملة التي يستعمل فيها العطف ولا يبرز بصورة مقنعة المكونات المنقطعة (مثل : كان يعمل (has been working

وهذا النحو لا يفسر الربط الحدسي المتواجد احساسا بين بعض الجمل المتخالفة من حيث أبنيتها التركيبية (مثل الدلالة على الحدث والماضي)، ويجب أن يقال ان هذه الجمل في مستوى من مستويات التحليل تتماثل بنيويا، فهذه المتطلبات الجديدة حيث يطغى الحرص في الوصف اللساني المقنع على الرغبة في اختيار منوال شكلاني ما قبلي، تدفع تشومسكي الى أن يقترح ضربا ثالثا من النحو لا يعوض النحو السياقي وانما يطوره.

٢ — ٣ — النحو التحويلي وهو مقدم ومدعم بالامثلة من اللغة الانكليزية (نفس المرجع المشار اليه الفصل ٧).

والروءية مختزلة في مجموعتين من القواعد:

— مجموعة من القواعد "السياقية لا تولد الجمل وانما الابنية المجردة (الادلة السياقية الضمنية) وهي يمكن أن تحتوى بالاضافة الى الوحدات المعجمية على عناصر من المفرادت المساعدة.

— مجموعة من قواعد التحويل لتأويل تلك الابنية المجردة الى أبنية جديدة ("الادلة السياقية المشتقة") وهي تعطي "المتتاليات الختامية" أى الجمل (مع الصياغات الصرفية والفنولوجية الممكنة).

ويقع التمييز بين جملة من التحويلات :

ـ التحويلات الوجوبية التي يجب تطبيقها ،ونتيجتها الجملة النواة (مثبتة وحدثية وتصريحية وبسيطة) . مثال : المتتالية المجردة المشتقة بمقتضى القواعد السياقية .

/الولد مضارع ماض "مساعد" ماض ضرب الكلب / le garçon Présent avoir Participe Passé frapper le chien

(واكدنا للتوضيح المساعدات بسطر) .

والانتقال من هذه المتتالية الى متتالية اخرى تكون الجملة النواة :

/ الولد مضارع ضرب ماض الكلب / le garçon Présent frapper Participe Passé le chien

(او بصورة ادق الانتقال بين الدليلين السياقيين المقابلين لهما) يتم بفضل محولة وجوبية ويبدل مرتبة اللاحقة الزمانية (سطر كثيف) والفعل أي : «Présent» مع avoir و «Participe Passé» مع فعل/ضرب/.

وبعد ذلك تحول القواعد الصرفية الفنولوجية الزمان = : مساعد ماض حاضرا
«avoir Présent»
الى ماض «frappé Participe Passé»
والى ضرب ، frappé

ـ والتحويلات غير الوجوبية التي تولد أدلة للجمل "المشتقة" ، (ونلاحظ اثناء ذلك أن العبارة قد استعملت في مفهومين :الاول الدلالة على الدليل السياقي المكون بالتحويل ويقابل لفظ "الضمني" ، والثاني الدلالة على جملة موءلفة حسب تحويل غير وجوبي فيقابل لفظ "النواة") . والجملة المشتقة هي كل ما تنعدم فيها الخصائص الاربع للجملة النواة وهي الجملة المنفية أو النكرة او الاستفهامية أو المركبة (وهي تتألف من عدة جمل) .

ويقع التمييز أيضا بين التحويلات المفردة والتحويلات المعممة حسب توخي عمل في دليل سياقي واحد أو أكثر .

فاهمية النحو التحويلي (نفس المرجع الفصل ٨) تكمن في أنه يسمح با مرين :

ـ وصف بعض أوجه الغموض مثل جملة ، خوف الجندرمي ... يمكن أن تستخرج من : الجندرمي خائف (مثل نباح الكلب تستخرج من : الكلب ينبح....) أو من

فلان خائف من الجندرمي... (مثل: تربية الكلاب تستخرج من: فلان يربي الكلاب...) وتوفر التحويلات التفريق بين:

جملة/ رسمت اللوحة من طرف فنان ماهر/
وجملة/ رسمت اللوحة في صباح جميل/
فالجملة الاولى مشتقة من:
/فنان ماهر رسم اللوحة/
والجملة الثانية مشتقة من:
/فلان رسم اللوحة في صباح جميل/

— وعكسا، يمكننا النحو التحويلي من مقاربة الجمل المتخالفة مثل الحدث والمبني للمجهول.

٣ — خاتـــمـــة:

ودون أن نذهب مذهب البعض بشأن تشومسكي وهو التحدث عن "ثورة لسانية" فاننا لا ننفي أن عمله يؤشر لمرحلة كبرى في تاريخ التفكير اللساني بحرصه "المافوق تنظيرى" على اقامة منوال تنظيمي شديد التجريد (أى علمي) في مصطلحات شكلانية (تمكن من المقارنة بين مختلف المناويل) ومن هذه الوجهة نلاحظ عن جدارة الانحدار المصطلحي الذى ماثل بمقتضاه تشومسكي بين "النحو" و "النظرية" و "الكلام".

ومع هذا فان هذا الحرص على الخاصية الشكلانية ذاتها، وهو ما سنراه في الفصول الثلاثة الموالية في هذا الكتاب، هو مصدر الصعوبات والانتقادات التابعة لذلك ونذكر الاهمية التي يحتلها شكل القواعد على حساب التفكير في الاقسام والوحدات والخاصية المختزلة والمتبسطة للابنية المدروسة ورفض الدلالة ثم اعتمادها، فهذه النقاط تصور جملة من المسائل حول طبيعة المنوال المعالج النظرية الدقيقة وعلاقته بالواقع (النشاط الكلامي).

المصادر والمراجع

ن ــ تشومسكي (١٩٥٦)، ثلاثة مناويل في وصف الكلام ٠

ضمن : نظرات في نظرية الاخبار، والترجمة الفرنسية ضمن (مجلة اللغات ــ٩ ــ ١٩٦٨) ٠

قراءة شاقة (فنية)

ن ــ تشومسكي (١٩٥٧)، الابنية التركيبية (موتون)
والترجمة الفرنسية لوساى ١٩٦٩

وهذان الكتابان يعرضان أعمال تشومسكي الاولى : الاول من حيث الرؤية الشكلانية، والثاني أصبح التأليف الكلاسيكي للنحو التوليدى في صورته الاولى ٠

وقراءة (١٩٥٧) ليست صعبة بقدر ما للعديد من الشروح والتحريرات لهذا الكتاب من صعوبات ٠

٨ ــ النظرية الدلالية عند كاتز وفودور :

ونعتمد هنا على مقال كاتز وفودور تحت عنوان "بنية النظرية الدلالية" (١٩٦٣ ، والترجمة الفرنسية ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧) .

وهذا المقال الذى ظهر قبل كتاب "الابنية التركيبية" (١٩٥٧) وقبل كتاب "المظاهر" (١٩٦٥) ينظوى تحت اطار النحو التوليدى كما حدده تشومسكي ويرمي الى تواصل المرحلة التركيبية بتوخي مؤلفة دلالية ، وهو مقال يسورد في هذا الميدان الافكار القيادية التي ستضبط وتستعمل مع شيء من التغيير فى نطاق منوال كتاب "المظاهر" .

وسنحلل في قسم أول المسلّمات النظرية الخفية في هذه الصياغة ونبلور المنهاجية في قسم ثان بفضل أمثلة .

١ ــ المسلمات النظرية :

١ ــ١ ــ منزلة النظرية الدلالية في المنوال :

ومثلما قلنا تنضاف النظرية الدلالية الى التركيبية كما وقع تعريفها في كتاب "الابنية التركيبية" (أى عبارة عن نحو سياقي يكتمل بنحو تحويلي يربط كل جملة بوصف بنيوى ــ أو عمليات وصف عديدة عندما تكون الجملة غامضة تركيبيا) وهي تسمح بتعليق معطي الجملة ووصفها أو عمليات وصفها التركيبية المتعددة بقراءة أو قراءات دلالية متعددة لتلك الجملة وهو ما يمكن تلخيصه في البيان التالي :

ظهور التركيبية = مفتح الدلاليات	النظرية الدلالية	ظهور (مخرج النظرية الدلالية
الجملة + وصف (مفرد ، جمع) بنيويا	←	الجملة + قراءة (مفردة ، جمع دلاليا

١ ـ ٢ ـ أهداف النظرية الدلالية :

وهي مشابهة في المستوى الدلالي لاهداف التركيبية :

"فالدلاليات ترجع الى تفسير كفاءة الفاعل المتكلم في بث الجمل الجديدة وفهمها في المرحلة التي ينصرف عنها النحو"

(كاتز وفودور، ١٩٦٣، والترجمة الفرنسية ١٩٦٦، ص ٤٣) وما لا يشرحه النحو يتمثل في :

ـ ان الجمل المتماثلة من حيث الوصف التركيبي يمكن أن تكون لها دلالات متباينة مثال : (الكلب عضّ الرجل، الكلب عضّ المرأة)

le chien a mordu l'homme, le chien a mordu la femme ;

ـ عكسا، توجد جمل لها وصف تركيبي متباين يمكن أن تكون لها دلالات متماثلة (= هي مترادفات)، مثال = (عاد اختصاصيا في العيون، عادطبيبها في العيون).

il a consulté un spécialiste des yeux,
il a consulté un oculiste.

ـ ان الجمل التي لها نفس الوصف البنيوي يمكن أن تكون غامضة أو غير غامضة مستقبحة أو غير مستقبحة، مثال :

جملة غامضة = /الحساب صحيح/ La note est juste

جملة مستقبحة = /الرسم صامت/ la peinture est silencieuse

جملة غير غامضة وغير مستقبحة ≠ = /الشارع فسيح/ la rue est large

وهذه الجوانب تحدد ما يمكن تسميته "بالحدود السفلى للنظرية الدلالية" فالنظرية الدلالية يجب أن تعالج ظواهر الغموض الدلالي (وهو منفصل عن الغموض التركيبي) والاستقباح الدلالي والترادف (أو عملية التجميل المكرر)، وبالاضافة الى هذه الخصائص الدلالية في الجمل فمن شروط النظرية الدلالية تعداد الدلالة المفردة أو الدلالات الجمع للجمل وتعريفها.

وعكسا يمكن وصف "الحدود السفلى للنظرية الدلالية" : "فيجب الا نطالب النظرية الدلالية أن تتناول بالدرس الطريقة التي على ضوئها يحدد المحيط

(بالانقليزية": ("setting" فهم الجملة" (نفس المرجع المشار اليه والترجمة الفرنسية، ١٩٦٦، ص ٤٧) . واذا فهمنا من "المحيط" مجموعة السياق الاجتماعي الملموس الذى يساعد المتكلم على تأويل الجملة فمن الواضح عندكاتز وفودور أن النظرية الدلالية لا توفى بذلك ان يجب أن تدمج المعرفة الموسوعية وكل المعرفة الكونية،وأما اذا قصدنا من لفظ "المحيط" السياق اللساني الذى يحيط بجملة معينة فيمكن أن تطمع في درس العلاقات النحوية والدلالية في النظرية الدلالية وهي العلاقات المتواجدة فعليا في/بين الجمل في النص ويعود ذلك الى اعتبار النص جملة واحدة (حيث تربط مختلف الجمل بواسطة معاقدات) وهذا الضرب من التفكير يوءدي غرابة بكاتز وفودور الى الحفاظ على اثبات أن وحدة التحليل الدلالي يجب أن تكون الجملة خارج السياق. وفي قضية حدود التحليل الدلالي والتخوم بين اللسانيات وما هو خارج اللسانيات.من المهم أن نشير الى نظريات لسانية أخرى (مثل نظرية ملتشوك وشولكومسكي ـ أنظر فيما بعد، الفصل ١١ ـ أو نظرية كوليولي ـ أنظر الفصل ١٣) قد اعتمدت مواقف أكثر مرونة.

١ ـ ٣ الموءلفتان في النظرية الدلالية :

ان النظرية الدلالية نفسها تنقسم الى جزئين هما المعجم وقواعد العمل. وظيفة المعجم أن يسند الى كل وحدة معجمية (عناصر الوصف البنيوى) مجموعة متناهية من الاغصان المقابلة لدلالات تلك الوحدة،فوصف دلالات الوحدة المعجمية لها شكل مشجر (يسمح بالمعالجة الشكلانية).

وأما قواعد العمل (أو العرض)ـ فدورها تعداد، على قاعدة المعلومات المعجمية ووصف الجمل البنيوى، الدلالة أو الدلالات للجمل المدروسة،ولتوفير هذا العمل توءدى هذه القواعد الى امتزاجات تتجه من أسفل الى أعلى (رموز ختامية لبديهية الجملة). في مستوى الدليل السياقي ولا تقف في كل مرحلة الا عند الدلالات التى تستمد من المعجم وهي متوافقة مع العلاقات والوظائف التركيبية فالامر يتعلق بحساب من صنف التعاملية.

وسنحاول في عملنا تقديم هاتين الموءلفتين للنظرية الدلالية في صورة دقيقة بتوخي أمثلة على ذلك.

. ٢ ـ الاستشهاد بالامثلة :

٢ ـ ١ ـ المعجـــــم :

تكون الوحدة المعجمية كلمة في المعجم وهذه الكلمة ترتبط بمعلومات تركيبية ودلالية من أصناف أربعة هي :

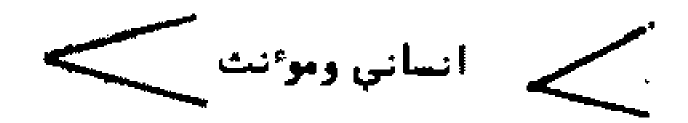
أ ـ المواسيم التركيبية: (أقسام نحوية) تحدد الوظيفة أو الوظائف التي تؤديها الوحدة مثال(outre) كحرف أو اسم .

ب ـ المواسيم الدلالية وترسم بين قوسين وهي عبارة عن أقسام عامة مشتركة بين عدد من الوحدات المعجمية تسمح بالعثور على ما يوجد بين هذه الوحدات من الوجهة الدلالية. أمثلة: (انساني) و (حي) و (مذكر) و (موءنث) .

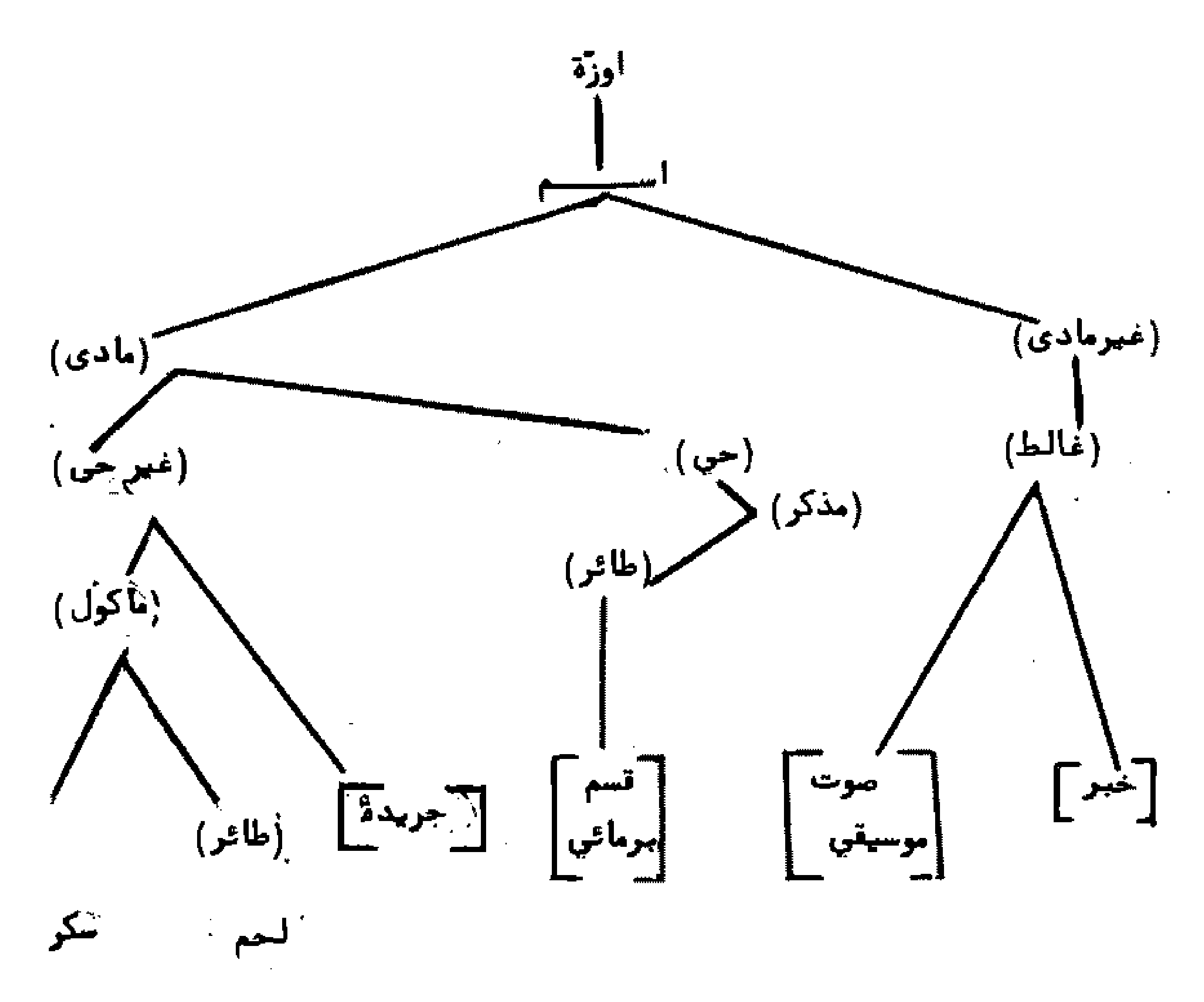
ج ـ المتباينات الدلالية وتوضع بين/معقفين على اليمين وهي عبارة عن عناصر اختتامية لوصف المعجم وهي تحدد الصفات المميزة للوحدة المعجمية (أى الصفات المخصوصة فيها والتى لا تتقاسمها مع غيرها من الوحدات) مثال:
وحدة : bachelier تلتزم بها متباينتان هما (jeune homme)

(promu au baccalauréat) ("شاب" و "متأهل للباكالوريا") .

د ـ رسم في شكل معقفات منقوطة يمكن أن تلحق بمتباينة أو بموسم دلالي نهائي (في حالة فقدان المتباينات) . ويبرز هذا الرسم في صورة بحثنا عن تحديد نوعية بمقتضاها يظهر المتباين أو الموسم المقصودين ولايستعملان الا في سياق معين تركيبي أو دلالي .مثال : كلمة =/شريف/لشخص دون ضبط الجنس تفيد معنى / فاضل ،كريم / لكن عندما نعلقها بالمرآت تفيد /عفيفة/ ونبين ذلك كما يلي :
شريف ـ نعت ـ (تقييمي) ـ (أخلاقي)ـ (بريء من كل علاقة جنسية محرمة)



ونقدم ضمن عرضنا للنماذج وصفا تاما لهذا النوع من المعجم وذلك في مثال كلمة (canard) (اوزة) (وهو مثال ماخوذ من المقال في ترجمته الفرنسية) :



ملاحظات حول هذا المعجم :

ـ أثناء الوصف لم تطرح قضية معرفة ما نطلق عليه اسم "الوحدة المعجمية" فالموءلفان يكتفيان بالمفهوم التقليدى والالي لمفهوم "الكلمة".

ـ تتمثل المنهاجية في حل كل دلالة للوحدة المعجمية الى مجموعة من الذرى الدلالية (هي العناصر الختامية للوصف) وفق تقديم عملية الحل في شكل مشجر وهو ما يسمح في نفس الان "ببيان البنية الدلالية في فصل من المعجم والعلاقات الدلالية بين فصول المعجم" (نفس المرجع من الترجمة الفرنسية، ١٩٦٦ ص ٦٠) أى مقارنة الدلالات المختلفة للوحدة بعضها ببعض ثم مقارنة دلالات وحدة معينة بما لغيرها من دلالات.

ـ ومن أجل هذه الغاية تبرز أهمية المواسيم الدلالية اذ هي التي تحدد العلاقات الدلالية.

ـ ان قضية الغموضات تعالج على النحو التالي: "بما أن كل فرع في الفصل المعجمي يمثل دلالة متمايزة عن الوحدة المعجمية فان الوحدة المعجمية التي يتضمن فصلها المعجمي تفريعا جمعا ولها أكثر من دلالة واحدة فهي اذن غامضة". (نفس المرجع من الترجمة الفرنسية ١٩٦٦ ص ٦١)، أو: "أن درجة الغموض التي توفرها النظرية الدلالية في الجملة تتصل بدرجة التفرغ في الفصول فيما يخص الوحدات المعجمية المستعملة في الجملة" (نفس المقال من الترجمة الفرنسية ١٩٦٦، ص ٥٣). وانتقاء أغصان مخصوصة لتفريع جمع (أى لدلالة مخصوصة للوحدة) يقع في مستوى المواسيم الدلالية عند توخي قواعد العمل التي تعالج التوافقات بين عمليات وصف مختلف الوحدات التي تؤلف الجملة.

ومعنى ذلك انه اذا لم تتقابل دلالتان متمايزتان لوحدة معجمية مفردة الا في مستوى المتباينات فان النظرية الدلالية تعجز عن الاختيار بينهما أى حل الغموض فهي لن تدرك الا ابراز هذا الغموض، وعكسا، اذا تقابلت دلالتان في مستوى المواسيم فان النظرية عند ذلك تستطيع ايراد الحكم.

ـ وأما قضية المستقبح فهي تعالج كمايلي: "فظاهرة الاستقباح الدلالي تفسّر باعتبارها حالة قصوى للانتقاء حيث نجد في الجملة وحدة معجمية وقد انتفت فروعها كلها من اجراء انتقادات تفرضها عناصر أخرى في الجملة" (نفس المرجع من الترجمة الفرنسية ١٩٦٦، ص ٦٢).

ـ وأما قضية الترادف فهي تقدم كما يلي: فضدّ ما يجرى في المعاجم الاعتيادية ليس من المفيد أن يقع تعريف كلمة بفضل المترادفات في فصل المعجم فعند كاتز وفودور يمكن استنباط الدلالة المترادفة من بنية فصول المعجم نفسها كما يرد تعريفها به: "فالكلمتان المعجميتان يكون لهما عدد لامتناه من الدلالات المترادفات بشرط وبهذا الشرط فقط: أن تكون لها مواضع متماثلة أى اذا كان كل فرع من الاولى هو ذاته فرع من الثانية" (نفس المرجع من الترجمة الفرنسية، ١٩٦٦ ص ٥٨).

ـ ويمكن أن نلاحظ صفة الدور لاثبات كاتز وفودور فظواهر الغموض والمستقبح والترادف "تحدّد" في عملهما بمقتضى الاجراء المتوفر في الاطار المعروض وآلت

الى كاريكاتور اجرائي شكلي يوءدى بطريقة متساهلة الى تجنب قضية البعد النظرى لتلك الظواهر.

٢ ـ ٢ ـ قواعد العمل :

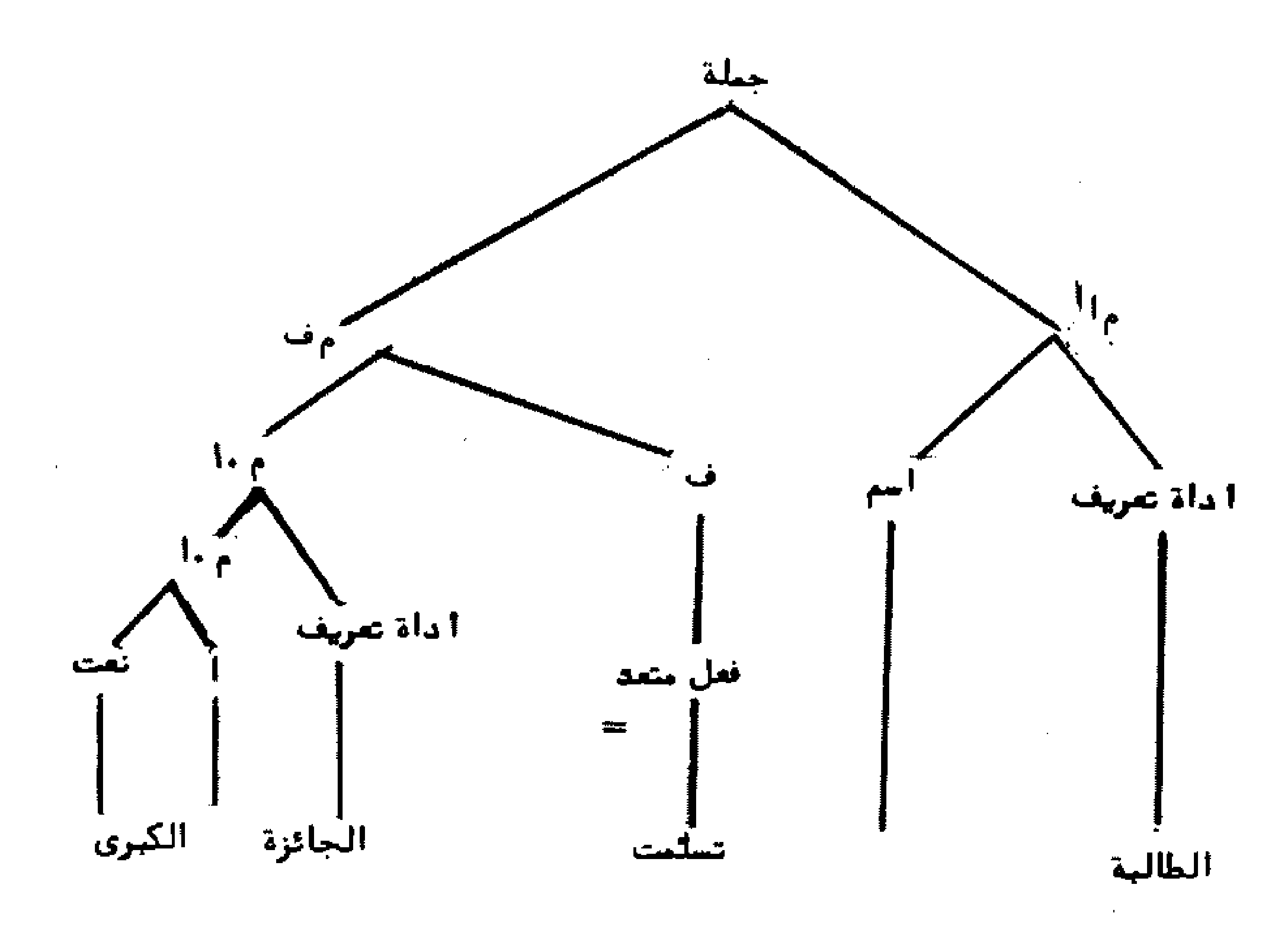
ان وظيفة المعجم تكمن في ربط كل وحدة معجمية بمجموعة الدلالات الحقيقية وهدف قواعد العمل هو تعداد حسابي الـدلالات الجملة انطلاقـا من المعطيات التالية :
ـ وصف الجملة الركيبي البنيوى،
ـ فصول المعجم الراجعة الى كل وحدة من الوحدات المعجمية التي تكونها.

وتكسب قواعد العمل الجملة عددا معينا من الخصائص الدلالية (أنظر ما سبق الفقرة ١ ـ ٢).

ونلاحظ قبل العرض المفصل لمبدا قواعد العمل انّ المقال المحّرر في ١٩٦٣ الذى تحيل اليه والذى يتنزّل في اطار النحو التحويلي عند تشومسكي في كتابه الابنية التركيبية، الفصل ٧، يعود الى التمييز بين التحويلات الوجوبية (التي توفّر تكوين الجمل النواة) والتحويلات غير الوجوبية (التي تولد بقية أنماط الجمل) وعلى أساس هذه المقابلة يعرّف كاتز وفودور ضربين من قواعد العمل : الاولى ("النمط ١") توءول الجمل النواة والثانية ("النمط ٢") توءول الجمل الاخرى، وكما فعل الموءلفان،فنحن لن نعتبر هنا الا القواعد من النمط ١، (وفي شأن التمييز بين النمطين من القواعد ينظر في المرجع المذكور، الترجمة الفرنسية ١٩٦٧ ص ٥٩ ـ ٦٢).

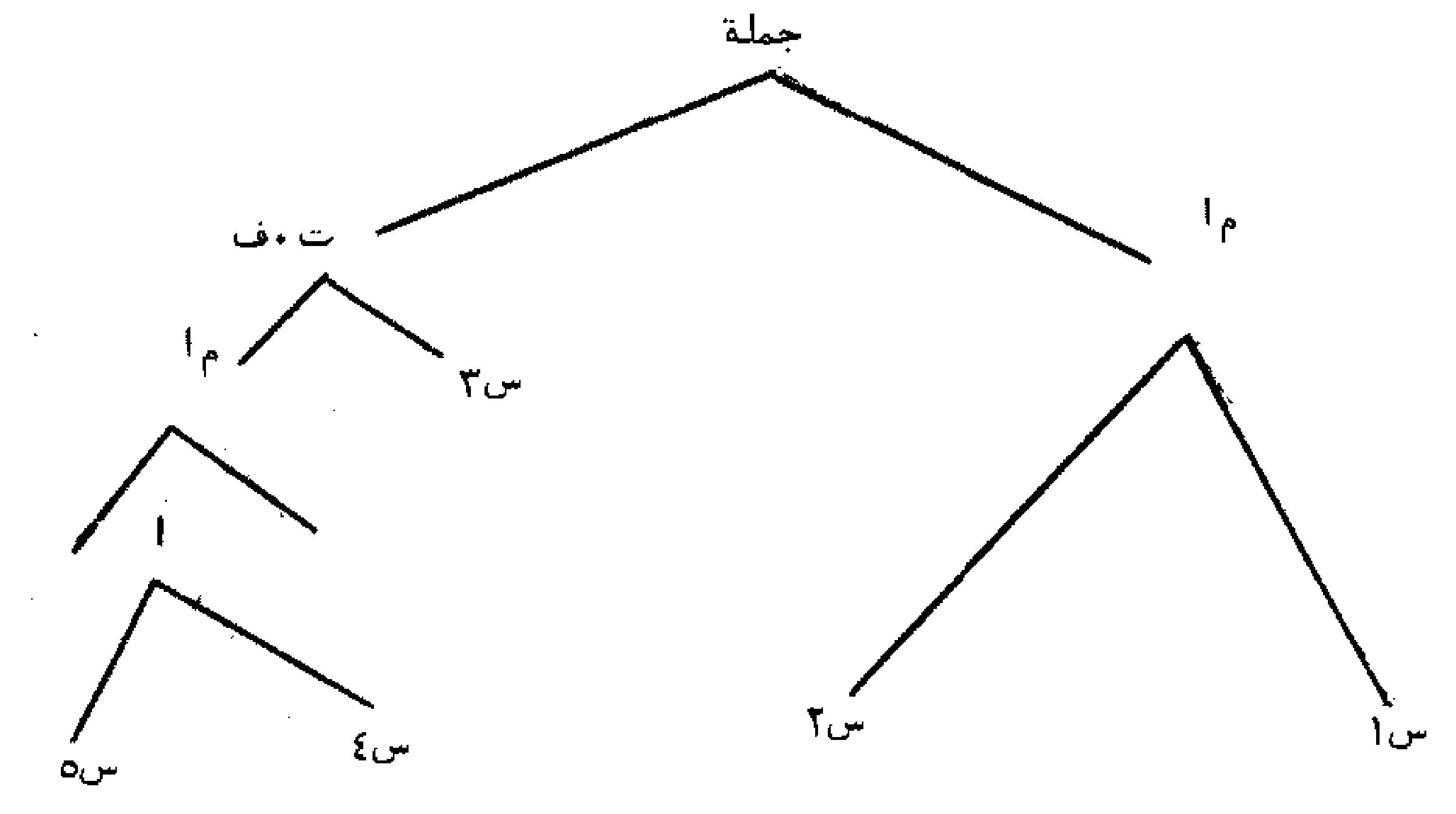
ويستشهد الموءلفان على مبدا قواعد العمل من النمط ١ بالجملة الانقليزية.
the man hit the catourful ball قذف الرجل الكرة الملونة.
ولهذا المثال تستعمل الترجمة الفرنسية جملة فرنسية لها نفس البنية التركيبية وهي : la fillette jette la petite glace

* (ونقدم الوصف البنيوى لمثال من العربية وهو : /الطالبة تسلّمت الجائزة الكبرى/ : (مقابل للجملة الفرنسية) :



ووصف المعجم يتمثل في معطى المجموعات المتناهية من الاغصان (س) لكل وحدة من الوحدات المعجمية الخمس المتمايزة٠

وعند تطبيق وصف المعجم على الوصف النحوى نحصل على الشكل التالي :



"وبصفة عامة تجرى قواعد العمل انطلاقا من أسفل الشجرة التي تمثل البنية السياقية وهي صاعدة نحو القمة وتضع سلسلة من التمازجات (نفس المرجع من الترجمة الفرنسية ١٩٦٧، ص ٤٨).

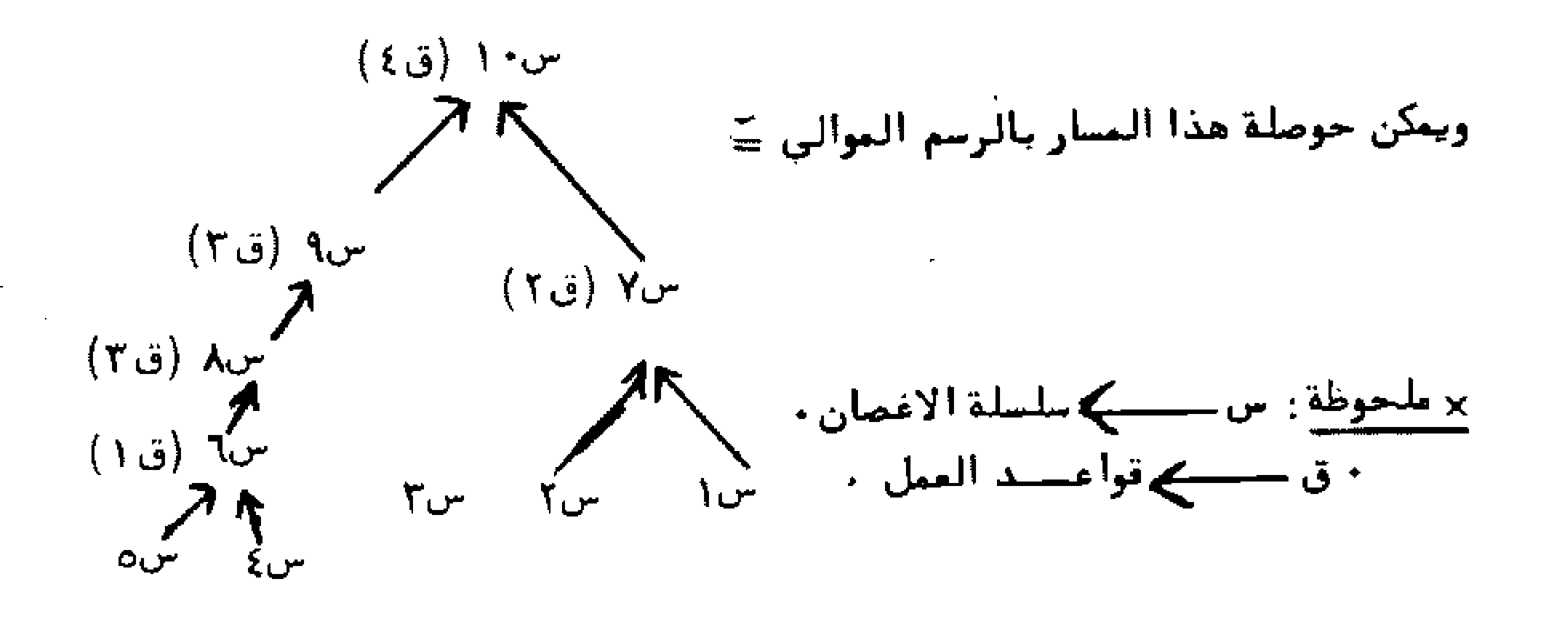
ومما يسترعي النظر أنّ كاتز وفودور في وضع طريقة وصفية قد اعتمدا اعتمادا أقصى الشكل المشجّر في التركيبية مع تحوير طفيف للشجرة حتى يمكن الحصول على قراءة ترتيب معين وهو ما نراه بوضوح في اختلاف الشجرتين السابقتين: "فقواعد العمل الحسابي تمزج بين مجموعات من الاغصان (س٨) يغلب عليها قسم نحوى على النحو التالي: فهي تتعامل مع عناصر (بعضها ببعض) لتكوين مجموعة جديدة من الاغصان التي توفر مجموعة من التأويلات للمتتالية المركبة من الوحدات المعجمية التي يحركها القسم النحوى" (نفس المرجع من الترجمة الفرنسية ١٩٦٧، ص ٤٨).

ففي مثال الجملة المقصودة تكون المرحلة الاولى مزج س ٤ وس ٥ أو س١ وس ٢ (مجموعات الفروع الواقعة بالمنزلة السفلى من الشجرة) فالترتيب مختلف.

وأما مزج س٤ و س٥ فيعطي مجموعة جديدة من الفروع المشتقة وهي س٦ التي لا تحافظ الا على دلالة الوحدتين المتناسقتين، مثل دلالة؟

eau passé à l'état solide sous l'effet du froid

لتفسير كلمة (glace) وهو ما يتنافى مع كلمة (petite) فيخرج ذلك من الوصف، وكذلك الشان في المزج بين س١ وس٢ الذى يعطي س٧ ثم انّ القواعد تصعد في مستوى الشجرة فتمزج بين س١ و س٦ فنحصل على س٨ وهكذا الى بلوغ الرمز، جملة.



فكل مزج يجرى حسب قاعدة مخصوصة (نرمز اليها بعلامة ق٠) وهي تتم باعتبار طبيعة القسم الرئيسي الغالب في الاغصان المتمازجة أى هي تدمج دون شكلنة المشكل، بصفة جلية، القيمة الدلالية للعلاقات التركيبية. وفعلا تقوم هنا القاعدة الاولى (ق١) بتعداد مزج الصفة المعرفة (petite) بالاسم الموصوف المعرّف (glace) وتمزج ق٢ الاداة والاسم وق٣ تمزج بين الفعل ومفعوله وق٤ تجرى المزج بين الفاعل والمركب الفعلي.

والنتيجة النهائية توفر ست قراءات (تاويلات دلالية) للجملة حسب الدلالات المحددة في الوحدات:

la لها دائما (في استعمالها مرتين) معنى (معرّف في السياق).
ـ fillette لها تاويل مفرد: (شيء مادى) ـ (انساني) ـ (صغيرة)ـ (موءنث).

jette لها معنيان:

أ ـ (عمل) ـ (غير دائم) ـ (قوّة) lancer

ونطلق على هذا التاويل الاول مرادف (قذف) lancer

ب ـ (عمل) ـ (غير دائم) ـ تخلص من

ونطلق على هذا التاويل الثاني مرادف: (تخلص من) (se débarrasser de.

ـ petite لها دائما التاويل الموالي: (شيء مادى) ـ (فضائي) ـ (له حجم صغير) ـ (de peu de volume) ـ

glace لها تاويلات ثلاثة هي:

أ ـ (جليد مركب من رائحة باردة)
(rafaîchissement composé de crème aromatisée et congelée)

ونطلق على التأويل الاول المرادف النسبي كلمة : Sorbet

ب ــ (شفرة بلور غليظة تصنع منها المرايا)

(lame de verre épaisse dont on fait les miroirs)

ونطلق على هذا التاويل الثاني المرادف كلمة : miroir

ج ــ (نافذة زجاجية متحركة) (vitre à châssis mobile)

ونطلق على هذا التاويل الثالث المرادف كلمة : Vitre

ونحلل الان التاويلات الستة في هذه الجملة بتفسيرها على ضوء المترادفات التي قدمناها :

1	lance	Sorbet
2	lance	miroir
3	lance	vitre
4	se débarrasser de	Sorbet
5	" " " "	miroir
6	" " " "	vitre

فكما نرى ترتبط التاويلات الستة للجملة (قراءاتها الممكنة المستنبطة في النظرية الدلالية) ارتباطا متينا بفصول المعجم المقدمة في البداية.

ففي هذا البعد تقف النظرية الدلالية عند كاتز وفودور في جملة لها على الاقل نظريا ستة أوجه من الغموض ولم تطرح قضية معرفة كيفية وضع هذا الغموض وهل هو معاش عند الفاعلين المتكلمين وهل وجدله حل لديهم .

٣ ــ خاتمة :

يبرز التحليل للامثلة الدقيقة مدى العلاقة بين المسلمات الناتجة (التاويل الدلالي للجمل) والمسلمات النظرية المبدئية. فالدلاليات تكون حقا ميدان دراسة يصعب تناوله صعوبة شديدة ولكن لا نقف عند قراءة هذا العمل عن شعور

بالخيبة سببها يكمن فيما يظهر كتباعد كبير بين الطموحات المعلن عنها (معالجة الكفاءة الدلالية للمتكلمين) وثقل الجهاز الشكلي في هذا النطاق ، وبين الخاصية التي غالبا ما كانت بدائية أو اعتباطية في مستوى النتائج.

والغموض النظرى لاطار المنوال يبدو محرجا جدا في ميدان الدلالة أى في مجال تعالج فيه بالضرورة قضية العلاقة بين اللغة وما فوق اللسانيات من ناحية والعلاقة بين التطبيق الفعلي للكلام لدى المتكلمين فى ناحية أخرى ومن وجهة النظر المزدوجة نشأت الطريقة التي بها حل المؤلفان مسألة الحدود العليا للنظرية الدلالية (أنظر ما سبق ، الفقرة ١ – ٢) والتي في ضوئها يضعان عالمية الوصف الدلالي وهو ما ينقص بشدة من صلاحية المنوال المقترح.

وفي مستوى المضمون تعمد طريقة التحليل الدلالي للوسائل الكلاسيكية في التحليل الى "الصفات المتميزة" التي تتضمنها الفرضية البنيوية في التشاكل بين القسم الصوتي والقسم الدلالي.

والمسلمات المبدئية تؤدى الى عدد معين من النتائج في المستوى المنهاجي :

– أولا – نظرية مبسطة للدلاليات التي تعرف "كوصف لساني بحذف النحو" دون معالجة حقيقية لقضية العلاقات بين التركيبية والدلاليات.

ثانيا – طريقة ترمي الى تشييد نظرية دلالية تعتبر متشاكلة مع التركيبية (وترتبط بها) والمسلمة التي قد تجعل من الدلاليات كما هو شأن التركيبية خاضعة الى اجراء شكلي فالنظرية الدلالية للغة الطبيعية تشبه منوالا مفسرا لنظام شكلاني. ومثل هذا التوازى ليس مفروغا منه أ

وفي نهاية الامر لا تفوتنا ملاحظة تباعد من صنف آخر وفي تقديم هذه النظرية الدلالية باعتبارها "نظرية ما بعدية" (أى تحدد الشكل والاهداف لكامل النظرية الدلالية) تتخالف مع الخاصية المشتتة المبسطة للنماذج المقترحة في الدراسة، ومن الواضح أن الدارس الدلالي يسعى انطلاقا من الامثلة البسيطة، ويجب الا يحصر نظريته في جوانبها ويجب أن تتوفر لديه الوسائل لتوسيع اشكاليته ذات الفويرقات المكونة ، الى ما يدرك حدسا باعتباره "الدلالة".

المصادر والمراجع

مؤلفات مرجعية :

– ج – ج – كاتز و ج۰ا۰۰فودور (١٩٦٣) ، بنية النظرية الدلالية ضمن مجلة : الكلام ، ٣٩ – ٢ – ص ص ١٧٠ – ٢١٠) ۰ والترجمة الفرنسية تحت عنوان :

– "بنية النظرية الدلالية مع تطبيقات على الفرنسية"۰ (ضمن : كراسات في المعجمية ، عدد ٩ – ١٩٦٦ (اا) ۰ ص ص ٣٩ – ٧٢ وعدد ١٠ ، ١٩٦٧ (ا) ص ص ٤٧ – ٦٦) ۰

ويجب الاطلاع على :

– س – ابراهام و ف۰ كيافر (١٩٦٦)۰ نظرية في الدلاليات البنيوية (موتون) ج۰ج كاتز و ب۰م۰ بوستال (١٩٦٤) – نظرية شاملة للوصف اللساني (كامبروج ، ماسا شوسيت والترجمة الفرنسية (١٩٧٣) تحت نفس العنوان (مام) ۰ وهو كتاب يعرض لشمولية النظرية الدلالية عند كاتز وفودور في النحو التوليدى والنتيجة هي منوال كتاب المظاهر (أنظر الفصل الموالي) ۰

– و۰ فاينرايش (١٩٦٦) – "مكتشفات في النظرية الدلالية" (ضمن : بيسوك ، مساهمات في اللسانيات ، لاهاي ، الجزء الثالث) ۰ وهو نقد مفيد لكاتز وفودور۰

IX ـ المنوال الثاني عند تشومسكي : (كتاب : "مظاهر في النظرية التركيبية")

يسعى تشومسكي في كتابه "مظاهر في النظرية التركيبية" (١٩٦٥) وهو يواصل بحوثه في المنحي الوارد في كتابه "الابنية التركيبية" (١٩٥٧) الى تأسيس اطار نظرى عام في اللسانيات؛وهذا الاطار النظرى العام (يسمى "منوال المظاهر" أو "النظرية الاساسية") يمثل في تاريخ النحو التوليدى التحويلي قمة أو تشبه نقطة توازن دنيا ومرجعا في حدها يتم تعريف الاعمال الموالية (أنظر الفصل ١٠).

١ ـ المفاهيم الجديدة لماورد في كتاب "الابنية التركيبية" :

١ ـ ١ الكفاءة :

ان النظرية اللسانية في رؤية تشومسكي (وهو تابع سوسور في هذه المسألة تتناول اولا الكفاءة أي المعرفة الاختبارية لدى متكلم سامع مثالي في استعمال لغته : "فالنحو التوليدى ليس منوالا للمتكلم أو للسامع" (تشومسكي، ١٩٦٥ والترجمة الفرنسية ١٩٧١، ص ١٩). (وبصورة أخرى،ليس النحو التوليدى تمثيلا لما يجرى بالفعل عند الحديث أو السماع فذلك هو ميدان الملكة اللغوية). "فالنحو التوليدى يسعى الى تخصص؛مع محايدة تامة؛معرفة اللغة وهو ما يوفر قاعدتها في توخي الكلام الحقيقي من طرف المتكلم السامع" (نفس المرجع).

والمقابلة بين الكفاءة والملكة تقارب المقابلة السوسورية بين اللغة والحديث غير أن تشومسكي ينفي مفهوم اللغة (وهي عنده تؤول (الى ثبت من العناصر) لصالح شيء آخر يريده أكثر حركية وهو الكفاءة باعتبارها نظاما من القواعد.

ففي هذه الظروف يشابه النحو التوليدى ضربا من "البرنامج" قد يسمح نظريا بصنع آلة وتحليلها لجميع الجمل ذات التأليف التام في اللغة.

ما هو مدى مثل هذا "البرنامج" لدراسة الكلام عامة وللغة خاصة؟ فهل المشروع يتواصل نظريا توخيه ويتحقق عمليا فيما وضع فيه من مصطلحات شكلانية

تجريدية؟ وما هي العلاقة بين هذا "البرنامج" والنشاط الكلامي (الملكة)؟ فهل ان خصائص "معرفة اللغة هي التي توفر قاعدتها لتوخي الكلام الحقيقي من طرف المتكلم السامع" وهو لفظ تشومسكي نعيده؟ وما يقدمه تشومسكي من ضمانات في كتابه "المظاهر" يبدو ضعيفا بعد عشر سنوات من ظهوره.

١ ـ ٢ ـ مستوى الابنية العميقة :

والجملتان مثل :

ـ بيار يعد ماري بأن يقدم
و ـ بيار يسمح لماري بأن تقدم

لهما لاول وهلة نفس البنية لكنهما تتضمنان اختلافات غير ظاهرة، فمع فعل (سمح) نفهم قدوم ماري وبفعل(وعد)نفهم قدوم بيار، فتوجد اذن علاقات نحوية خفية لها افادة دلاليا وهو ما يتناوله تشومسكي عندما يقول بأن الجملتين "لهما نفس البنية العميقة الكامنة فيهما وهي التي تحدد تفسيرهما الدلالي" (تشومسكي، نفس المرجع المشار اليه، ص ٤١).

وهذا النمط من التحليل الى مستويين يتسم بالتجريدية التي تفوق عمليات الوصف البنيوية أو التوزيعية وهي تجرى فحسب في المستوى السطحي، ويذكرنا ذلك بطريقة نحوية تعود الى نحو "بور رأويال" = (Port-Royal) (ملاحظة في جملة : الله الخفي خلق الدنيا الظاهرة/ ثلاثة "أحكاك" هي (الله هو الخفي والله خلق الدنيا و الدنيا ظاهرة) تجمع في جملة واحدة وهي طريقة قريبة جدا من البحث في الابنية العميقة (ارجع الى تشومسكي، ١٩٦٦).

وتوخي الابنية العميقة يسمح بالخصوص بالاضافة الى التحويلات بـأن :
ـ نصف أوجه الغموض البنيوية في المستوى السطحي في مثل جملة :/مخافة الاهل/ فلها بنية عميقة أولى وثانية، الاولى هي : / اننا نخاف الاهل/ أو /الاهل يخافون من شخص (أو من شي)/.

ـ نربط الجمل المكررة بعضها ببعض فنضع نفس البنية العميقة لجملة /أطمع في أن أنجح / وجملة/ أطمع في النجاح/ رغم الاختلافات في البنية السطحية.

٢- نجعل ربطا بالتحويلات الجملة المركبة تعاملا من الابنية البسيطة.

وسرعان ما تتجلى المشاق الفعلية عندما نريد ضبط مستوى البنية العميقة وتعريفها وما قدمه تشومسكي في ١٩٦٥ يبدو مبدئيا متقاربا جدا مع المستوى السطحي (وهو "المعطى" الوحيد في اللسانيات) و "محتشما" بالمقارنة ما لاتباع تشومسكي المنشقين عنه من روءى متعددة.والنقاش في هذا المستوى هو محور الاشكاليات المعاصرة.

١ - ٣ - الموءلفة الدلالية :

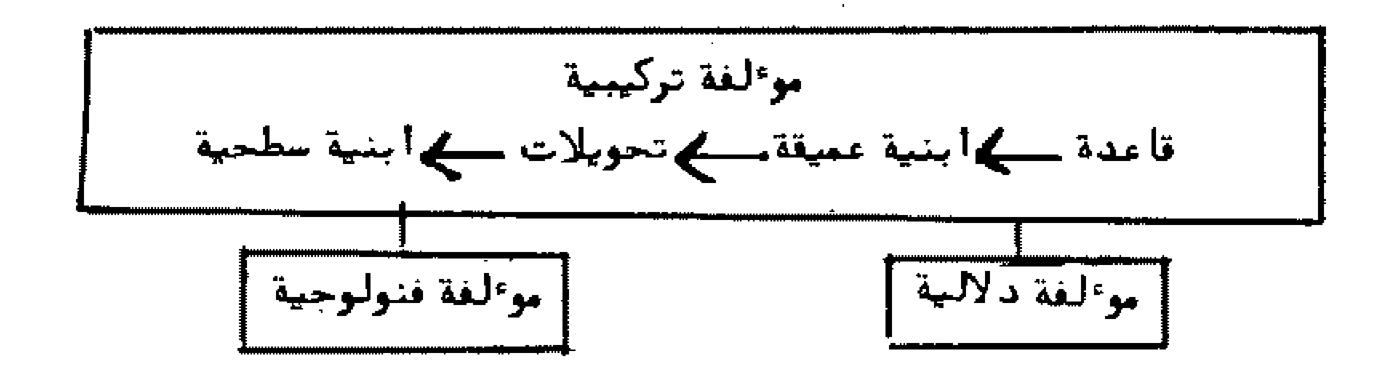
يترك تشومسكي في كتابه "الابنية التركيبية" جانبا قضايا الدلالة من أجل تشييد جهاز توليدى غايته انشاء جميع الجمل النحوية (دون سواها) في لغة من اللغات وهو ما يوءكد استقلال التركيبية التام وموازاة لابحاثه حاول غيره (كاتز وفودور، ١٩٦٣، وكاتز وبوستال (١٩٦٤) تركيب منوال للتاويل الدلالى على منواله التركيبي واقحم تشومسكى أعمالهم في النهاية ضمن مجموع منواله الذى نجد فيما يلى تقديمه.

ومن الهام أن نوءكد أن هذا "التركيب" الذى يكمل البناء النظرى لدى تشومسكي، يضع جملة من القضايا،فمن جهاز توليدى تركيبي بسيط انتقل النحو التوليدى التحويلي الى نظرية شاملة للكلام من "الدلالة" الى الصوت من غير أن يقصد هذا التغير في حد ذاته وهو ما يوءدى الى التساوءل المتجدد حول نظام البناء النظرى عند تشومسكي.

٢ - منوال "المظاهر" :

يحتوى المنوال على ثلاثة أقسام (أو موءلفات) هي الموءلفة التركيبية (جزء أساسي تبلورت صياغتها تبلورا كبيرا) وموءلفتان تسميان "تاويلية" (تجرى في مستوى الموءلفة التركيبية) وهما الموءلفة الدلالية والموءفلة الفنولوجية وهدف المنوال ابراز العلاقة بين المعنى والصوت بواسطة التركيبية.

الرسم العام



٢ ــ ١ ــ الموءلفة التركيبية :

وهي تتألف بدورها من قسمين :

ــ القاعدة وهى تسمح بتوليد مجموعة محدودة من الابنية البسيطة (الابنية العميقة) .

ــ التحويلات وهي تسمح بتوليد الابنية السطحية انطلاقا من الابنية العميقة .

أ ــ القاعدة : وهي تتألف أيضا من قسمين :

ــ الموءلفة (أو الموءلفة الفرعية) التقسيمية وضمنها قواعد من نمط ج ← [ت ٠ ا + ت ٠ ف] وتوءدى هذه القواعد الى عدد يسير من الابنية البسيطة مع تخصيص الاقسام التي يراد استعمالها (ت٠ء للتركيب الاسمي و ت٠ء للتركيب الفعلى الخ) والعلاقات النحوية المركزية دلاليا بين تلك الاقسام (من نمط الفاعل والخبر) .

فالاقسام والعلاقات ليست محددة بمقتضى التحليل وانّما هى موضوعة بالوصف قبل تدعيمها الما بعدي اذا قامت الموءلفة التقسيمية النحوية بوظيفتها التى تحتلها في تناسق مجموعة المنوال "...فجميع المفاهيم البنيوية الرئيسية يجب أن تخصص على أساس المفهوم الذى وقع تعريفه سابقا "في النحو التوليدى" (في حين أن اللسانيات البنيوية قد رأت عامة أن مفهوم "النحو" يجب أن يتطور ويفسر بمقتضى الافكار التي رأيناها سابقا فى التعاريف مثل "الصوتم" و "المورفيم") . (انظر تشومسكي، ١٩٦٥، الترجمة الفرنسية ١٩٧١، ص ٩٤ ملاحظة ٢) ، وفى مستوى التطبيق يكتفي تشومسكي، وهو يعتمد على هذا النظرة، بالعودة الى المفاهيم النحوية التقليدية المتوخاة دون أن يبسطها منذ البداية على التحليل النقدى .

ـ المعجم : وفى صلب الابنية المتولدة عن المؤلفة النحوية وهى قوالب تركيبية تنشأ عناصر معجمية حسب قواعد خاصة، فكل عنصر معجمي يتصف بجملة من الخصائص الفنولوجية والتركيبية والدلالية.

وفيما يتعلق بالمعجم توجد عدة مسائل تخلق مشكلا.فهل أن الضغوط المطردة التوارد بين الوحدات المعجمية تعود الى الترتيب التركيبى أم الى الترتيب الدلالي؟ وكيف يمكن التفريق بين ما هو تركيبي وما هو دلالى مع بقاء هذا التمييز بين الجانبين؟ والنزعة هى أن نعتبر تركيبيا كل ما هو محتاج اليه فى المؤلفة التركيبية (مثل كلمة/ولد/فلها من الخصائص التركيبية مايلى: اسم عام، حى، انسانى ملموس ومعدود، ولا نغلق السلسلة ونترك المجال للاضافات "الخ") وذلك حسب رؤية تطبيقية واختبارية للقضية. ويقول تشومسكي: "الخاصية تنتمي الى هذه المجموعة (من الصفات المعجمية الدلالية المحضة) في الحالة المضبوطة حيث لا مرجع للقواعد فى مجال المؤلفة الفنولوجية أو التركيبية" (تشومسكي، نفس المرجع، ص ١٢٥).

وتتضمن الابنية البسيطة الناشئة بهذه الطريقة (وتسمى الابنية العميقة) في المستويين النحوى والمعجمي كل ما هو ضرورى للتأويل الدلالي للتراكيب المستعملة وهي التي تكتسب شكلها (البنية السطحية) بواسطةالتحويلات.

ب ـ التحويلات: وهي قواعد من نمط آخر (تعسر شكلنتها) تقوم ببناء جديد للعناصر المؤلفة للابنية العميقة حتى يكون للجمل شكلها السحطى.

أمثلة:

ـ التحويلات التى تؤول الى الترتيب السطحى لعناصر المركب الفعلى (مساعدات فعلية وضمائر...)

ـ التحويلات الحالية (في الماضي).
ـ القبض (تحويل يربط جملة مفعولية بجملة كبرى).
ـ الاسمية (تحويل جملة الى تركيب اسمي مثل: انطلاق جون).

وهذه التحويلات تخضع لشرطين: أن يتيسر وصفها الشكلانى والا يطرأ على الدلالة تغيير.

فالشرط الاول يعود الى مبحث عن الدقة العلمية لتجنب التفسيرات الطويلة التي تهدر جانب التحويلات بتبسيطها فيكون البحث عن ضبط الحدود فى عمل القواعد لجعلها اكثر دلالة.

وأما الشرط الثاني (الا يطرأ تغيير على الدلالة) فهو تغيير بالنسبة لكتاب الابنية التركيبية سببه الاعمال المبذولة في صوغ المؤلفة الدلالية فلا نذكر قط التحويل المنفي،والنفى يؤول الى القاعدة، (وكذلك الاطرادية وهى في منوال ١٩٥٧ نتيجة التحويلات العامة انما هي في منوال ١٩٦٥خاصية القاعدة، فعنصر "الجملة" يمكن تكراره الى ما لا نهاية له باعتباره مكونا لجملة أخرى) وهذه التنقلات (هنا من التحويلات الى القاعدة) تصور تردد البحث وكذلك الصفة الاختبارية للبناء النظرى الذى يسعى تشومسكي الى اقامته (وهو مالا يحول دون بحثه في نفس الوقت عن توفير اسنادات فلسفية لرؤيته ، ونلاحظ مدى ما يفترضه مفهوم عدم التغير للدلالة من تعريف لكلمة "الدلالة" في بعدها الضيق والاختبارى فهي "المضمون الاخبارى" للملفوظ ــ وهو مفهوم أصبح من العسير الاحتفاظ به كما هو خاصة فــي ضوء الدراسات لعمليــة التلفظ ونظرية الخطاب.

ونشير الى تغيير من صنف آخر: فعبارة "التحويل غير الوجوبي" حذفت وأصبحت جميع التحويلات المتوخاة فى وصف الجملة "متوقعة" منذ القاعدة.

ونبلغ بذلك الابنية السطحية التى تقدم باعتبارها ملفوظات (مثل جمل اللغة) في الكتابات "الاخبارية" أو أبنية تحتوى تباعدا عن الملفوظات اللغوية أو ضربا من التجريدية فى الكتابات التى تحرص بعناية على استعمال القواعد الصرفية الفنولوجية فنحصل مثلا على تسجيلات من نمط à le في البنية السطحية والانتقال الى au يتم بمقتضى قاعدة صرفية فنولوجية.

ومقابل ذلك يبدو منوال "المظاهر" أكثر دقة وعطية فيما يخص العلاقات والوظائف والاقسام المتوخاة في الابنية العميقة والابنية السطحية، ومن المعلوم أن الاشجار تتماثل بصعوبة والصــورة السطحية وهي التى تستعمل أغصانها فى البداية لتمثيل العلاقات النحوية العميقة، فمن الضرورى توفر سلسلة مزدوجة (على الاقل) من العلاقات والوظائف.

٢ ـ ٢ ـ المؤلفات التأويلية :

أ ـ المؤلفة الدلالية :

أنظر ١ ـ ٣ أعلاه والفصل الموالى.

ب ـ المؤلفة الصرفية الفنولوجية :

وهي تقوم في بعد البنية السطحية بتخصيص الشكل الصوتي لكل عنصر.

وطرافة علم وظائف الاصوات التوليدى (أنظر الفصل٢) تكمن في البحث عن ربط مباشر بين البنية التركيبية والمورفولوجية بالشكل الصوتي مع ابراز الظواهر مثل المبادلة (في الفرنسية) في (زهرة/ زهرى) fleur / floral وفي هذه الظروف يصبح مفهوم "الصوتم" مرحلة ثانوية أو لا يصلح في الدراسة.

٣ ـ خاتمة : بعض الملاحظات :

سنكتفي بثلاث ملاحظات لان الفصول الموالية جميعا هي بصورة من الصور مجموعة نقدية لمنوال "المظاهر" :

ـ لقد اكد تشومسكي دائما أن منواله يمثل محاولة أو نظرة عامة أو فرضية شاملة حول الكلام فالابحاث الاخيرة أدت الى تغييرات وصياغات جديدة أقل ضمانات فتشومسكي مثل دفعا لا يمكن تقديره.

ـ أن المنوال "عالمي" في مستوى الدلاليات العامة التي يقدمها (وهو عبارة عن "خزان" من "الانظمة الممكنة من المفاهيم التي قد تستعمل في لغة بشرية معينة"، تشومسكي ١٩٦٧) وبحكم ماله من "علم أصوات عالمي" في جملته مأخوذ عن ياكبسون، أنظر الفصل ٢) وكذلك "التركيبية العالمية" فالابنية العميقة هي ما يميز الكلام البشرى بقطع النظر عن لغة أو لغة أخرى خاصة وهي مرحلة متقدمة قصوى يعسر تلاؤمها مع الامثلة المستشهد بها في نظرية تشومسكي وهي أمثلة مطبوعة باللغة الانقليزية.

والعالمية تلازم صفة الفطرية فاكتساب الكلام يفترض سبق "تنظيم فكرى باطني" حيث نجد "ملكة الكلام" حسب بعض الفلاسفة.

– فهذه الملاحظات الموجزة تبين الربط (الظاهر) بين تشومسكي والفلسفة المثالية فمعالجة الكلام دون اعتبار حركته تؤدى الى دلاليات مجردة عالمية مستقلة عن المتكلمين وهو واضعاتهم.

المصادر والمراجع

ـ ن. تشومسكي (١٩٦٥) ـ مظاهر في النظرية التركيبية، الترجمة الفرنسية (لوساى) (١٩٧١).

وهو مرجع للحالة "الكلاسيكية" فى النحو التوليدى التحويلى :

ـ ن. تشومسكى (١٩٦٦)، اللسانيات الديكارتية (نيويورك) والترجمة الفرنسية (لوساى)، ١٩٦٩

وهي عودة نظرة تشومسكي الى من سبقه وبالخصوص التطور التاريخي لاراء "الابداعية" و "البنية العميقة".

. ن. تشومسكى (١٩٦٧)، الطبيعة الشكلانية للكلام. ضمن: الاصول الطبيعية للكلام. طبعة لنبارغ، (نيويورك)، والترجمة الفرنسية فى نفس الكتاب مع "اللسانيات الديكارتية" (لوساى)، ١٩٦٩.

وهو عرض وجيز غير فنى بالمقارنة مع كتاب ١٩٦٥ وهو يبرز المظاهر "الفلسفية" للنظرية.

ـ ن. تشومسكى و م. هال (١٩٦٨)، الابنية الصوتية فى الانقليزية (نيويورك) والترجمة الفرنسية تحت عنوان: علم وظائف الاصوات التوليدى (لوساى) ١٩٧٣ وهو عرض عام لعلم وظائف الاصوات التوليدى (العنوان الفرنسى).

ـ ج. كاتز و ب. بوستال (١٩٦٤)، نظرية شاملة للوصف اللسانى، الترجمة الفرنسية (مام)، ١٩٧٣.

كتاب يعـرض ادمـــاج النظرية الدلالية عند كاتــز وفودور (انظر الفصل ٨) فى النحو التوليدى ونتيجة ذلك هى منوال "المظاهر".

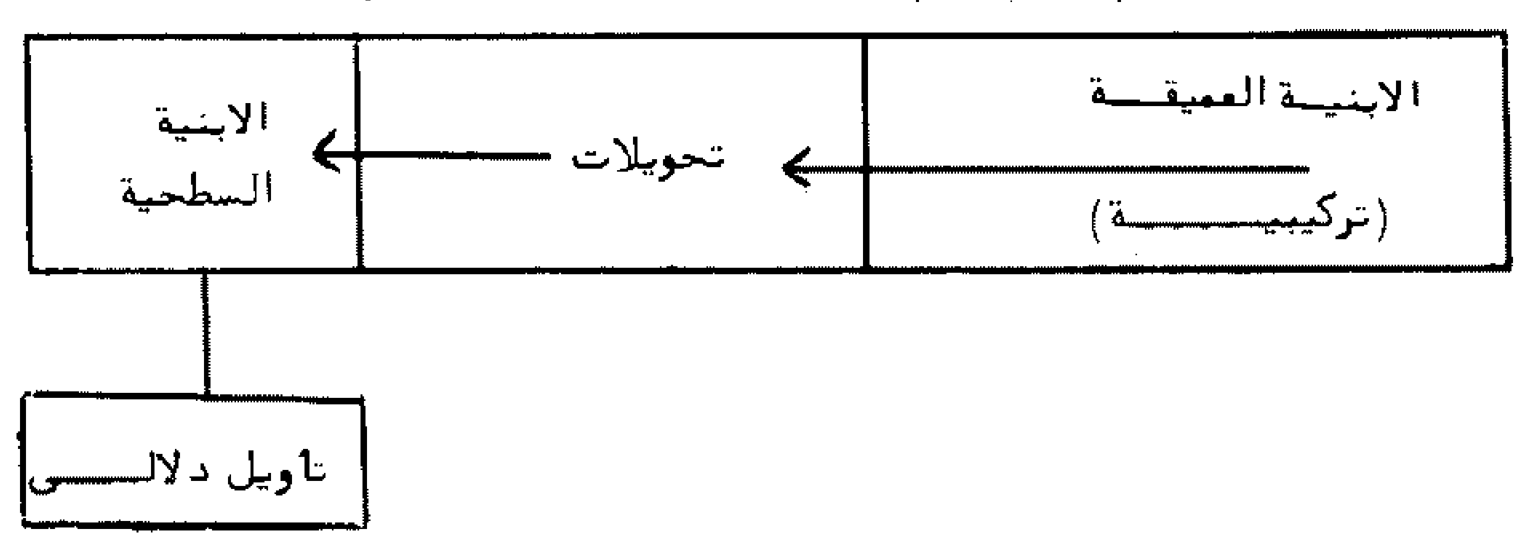
IX — "الدلاليات التوليدية" :

و — "الدلاليات التاويلية" :

ان المنوال الذى قدمه تشومسكي في كتابه في ١٩٦٥ (مظاهر في النظرية التركيبية) ويسمى "منوال المظاهر" أو "نظرية نموذجية" (أنظر الفصل السابق) قد وفر اطارا اشتغل فيه العديد من اللسانيين وبالخصوص في الجامعات الامريكية وهذه الاشغال ادت شيئا فشيئا الى تشكيل جديد للمنوال حسب وجهتين الاولى هى "الدلاليات التوليدية" وممثلها الرئيســى تلميذ منشق عن تشومسكى هو ج. لاكوف والثانية يدافع عنها تشومسكى ذاته تسمى "الدلاليات التاويلية" أو النظرية النموذجية الشاملة".

١ — الخطوط الكبرى للقضية :

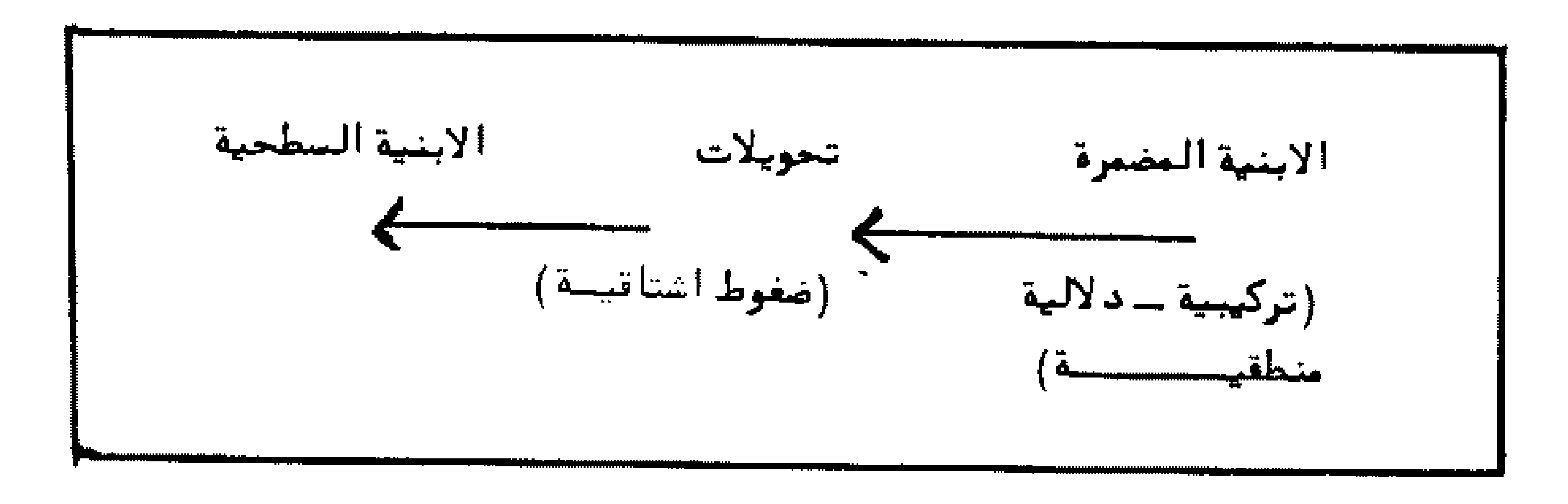
ونذكر حسب رسم بيانى أهم ماورد فى منوال "المظاهــــر" :



فيوجد تفريق تام بين التركيبية والدلاليات، فالابنية العميقة لها طبيعة تركيبية وهى تتضمن كل ما هو لازم للتاويل الدلالى.

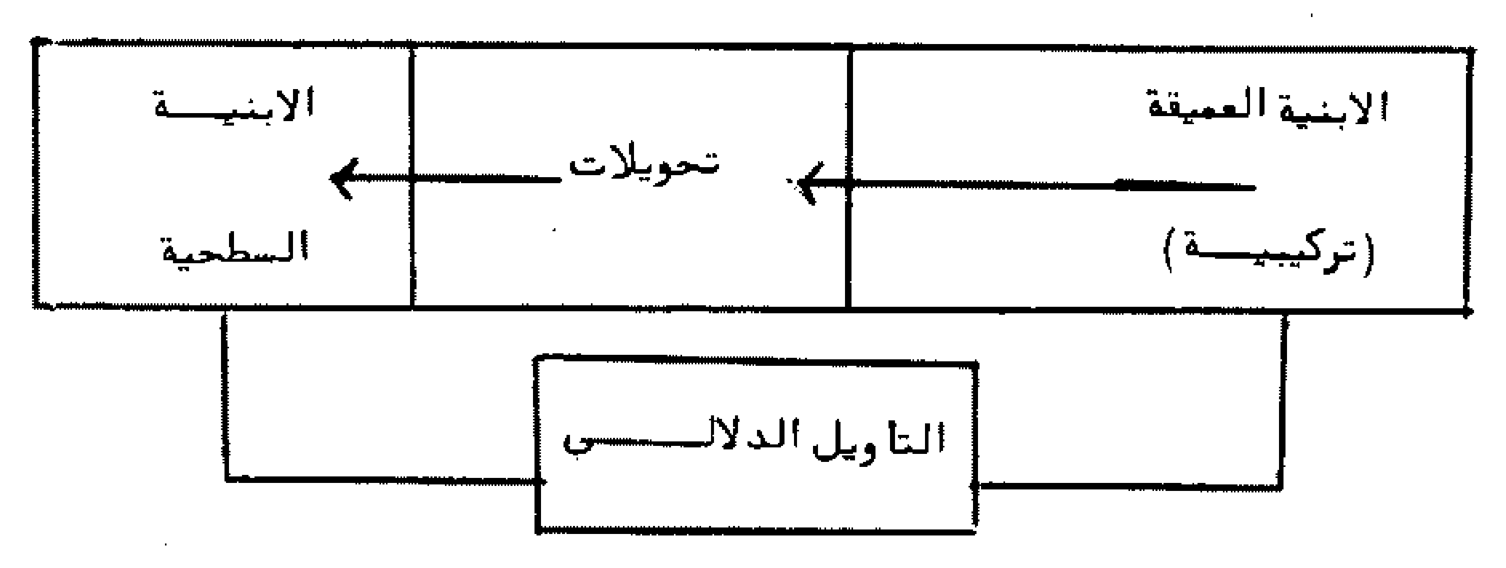
وفى هذه الجوانب سيكون الاختلاف : ما هي طبيعة الابنية العميقة (أو "المضمرة") أى دلالية أو تركيبية؟ وهل للدلاليات منزلتها الحقيقية فى هذا الرسم البيانى؟ ويمكن تصوير هذين الحلين المقترحين حسب الشكل التالى :

ـ الدلاليات التوليدية:



فالتركيبية والدلاليات مجتمعتان في المستوى العميق (أو المضمر) وفي هذا المستوى يتم جميع ما يتعلق بتأويل الجملـة.

ـ الدلاليات التأويلية ـ



ويثبت التمييز بين التركيبية والدلاليات بهذا العمل وتساهم الابنية السطحية في الدلالة بقسطها.

وقبل الخوض في الجزئيات نلاحظ أن الخلاف ينسحب أيضا على وجود الاختلاف عينه فالتأويليون يذهبون غالبا الى أن النظرتين هما مجرد "أعواض تسجيلية" متعادلة من حيث المحتوى في حين يؤكد الدلاليون التوليديون على الاختلاف الجذري في المفهوم الذي يفرق بينهما.

٢ ـ صعوبات منوال "المظاهر":

وقد شرعت في البروز منذ ١٩٦٧ عند تناول أمثلة تختلف عن الامثلة المقبولة بشدّة قياس:

٢ ــ ١ ــ لا كوف : "الظروف الآلية ومفهوم البنية العميقة" (١٩٦٨)٠

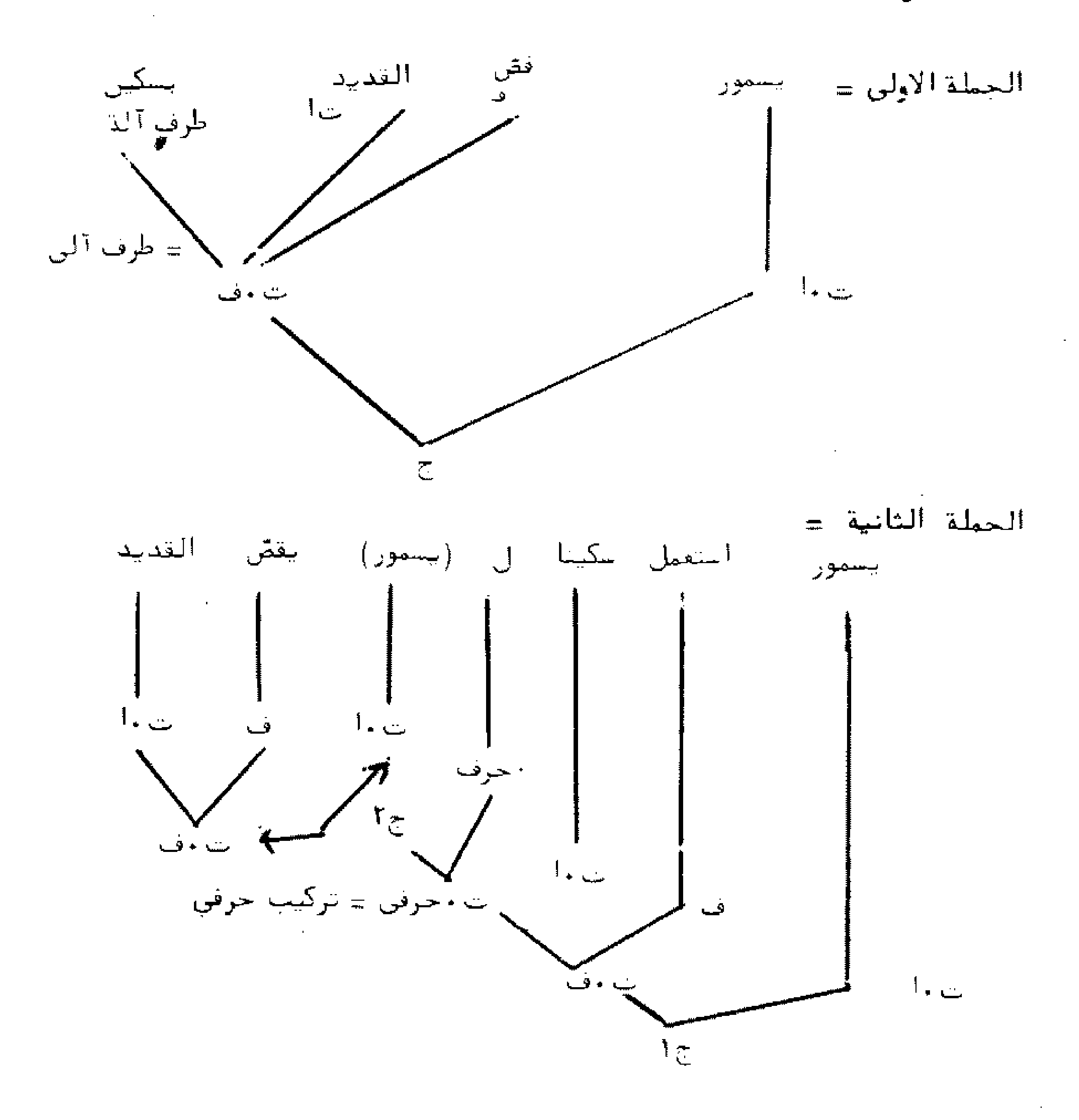
هب لنا هاتين الجملتين :

(ترجمة) :

/سيمور قص القدّيد بسكين/

/سيمور استعمل سكينا ليقص القديد/

حسب المنوال النموذجي للجملتين أبنية عميقة مختلفة شديد الاختلاف اذ تتضمن الجملة الاولى تركيبا جمليا مفردا والثانية تتضمن تركيبين :



فلاكوف يعتبر أن هاتين الحملتين تتقاربان جدّا من زاوية الدلالة ويجب أن يكون لهما شكل دلالي متشابه، وبما أن الصورة الدلالية ترتبط بالابنية العميقة في المنوال ممن الواجب أن يكون للجملتين أبنية عميقة متقاربة، ويرى لاكوف كذلك أن الجملتين يمكن تقاربهما في ميدان التركيبية (بصورة غير مباشرة اذ في انعدام نظرية للعلاقات والمقارنة بين الابنية نجد أنفسنا حتمـا ازاء معالجة العلاقات التوزيعية (تناسقية) بين الوحدات المعجمية). فالمقصد هو أن نبين أن الجملتين لهما نفس البنية العميقة :

ت ١٠أ ـ ف ٠ت ٠ ١أ حرف الباء ت ٠ ١أ٣

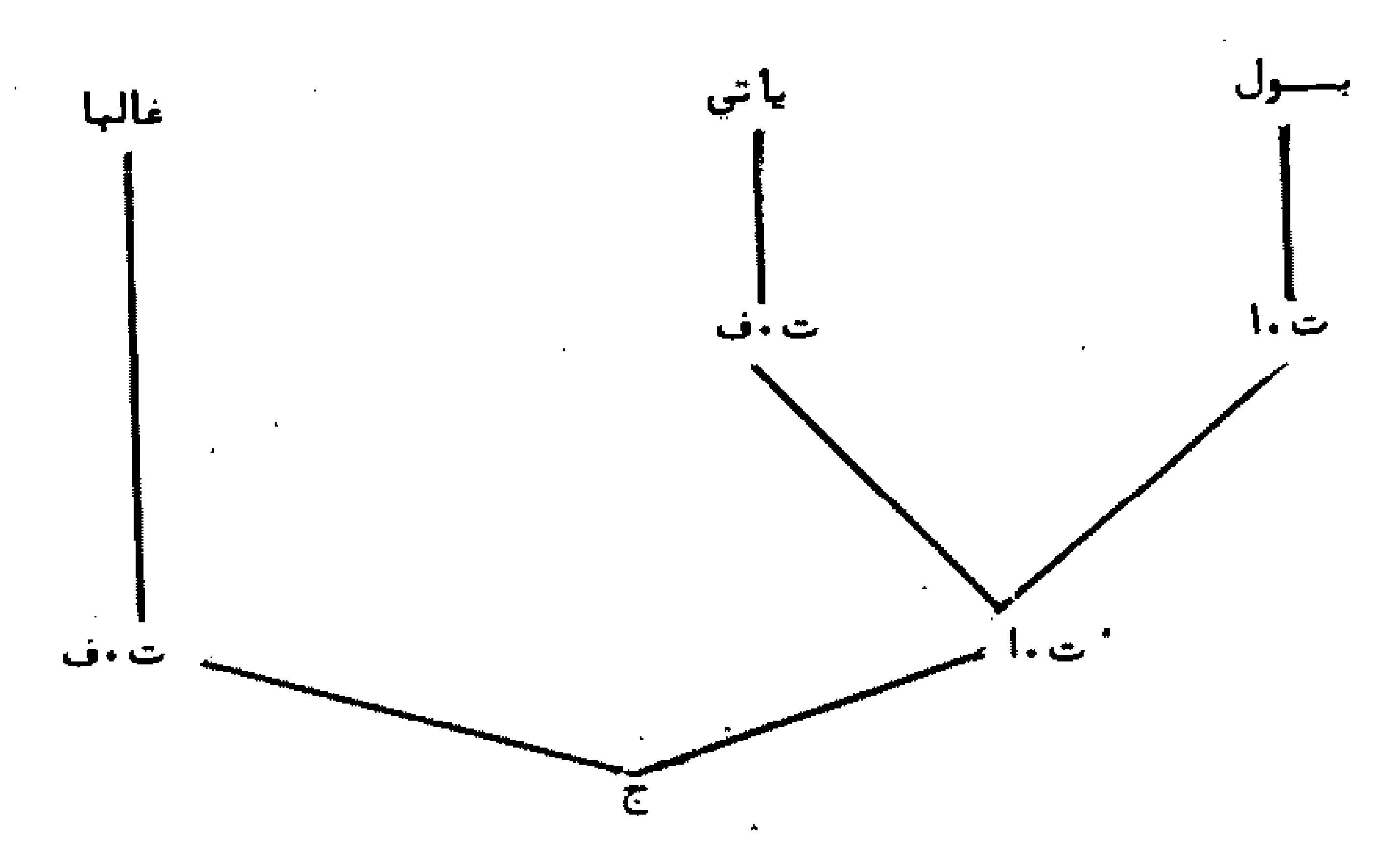
و ت ١٠أ ـ استعمل ـ ت ١أ٣ ـ اللام ـ ف ٠ ت ٢١٠

ولبلوغ هذا العمل يسعى لاكوف الى أن يجد لهما خصائص موحدة مثلما هو الشأن في كون نفس الاستحالات الاطرادته تقوم بدورها بين مختلف التراكيب الاسمية (ت ١) (جملة محالة :/اللحم قص القديد بسكين/كاستحالة الجملة : /اللحم استعمل سكينا ليقصّ القديد / وبها تفكير لا معقول) .

فسواء اقتنعنا أم لم نقتنع بتعليل لاكوف التركيبي فان فكرة البحث عن بنية عميقة مشتركة لهذين التركيبين تبدو ذات أهمية واذا استرسلنا في هذا المنحى ندرك حدّ وضع أبنية عميقة اكثر تجريدية من الابنية التي استعملت في كتاب "المظاهر" اذ هي تبتعد عن الوحدات السطحية التي تغطي القرابات بين الجملتين، وخلافا لذلك تلوح الابنية العميقة في "المظاهر" "محتشمة" جدا وهي ترتبط بالوحدات السطحية ويبقى أن هذا النقد لا يحدد العبارة التى تشكلن فيها الابنية العميقة .

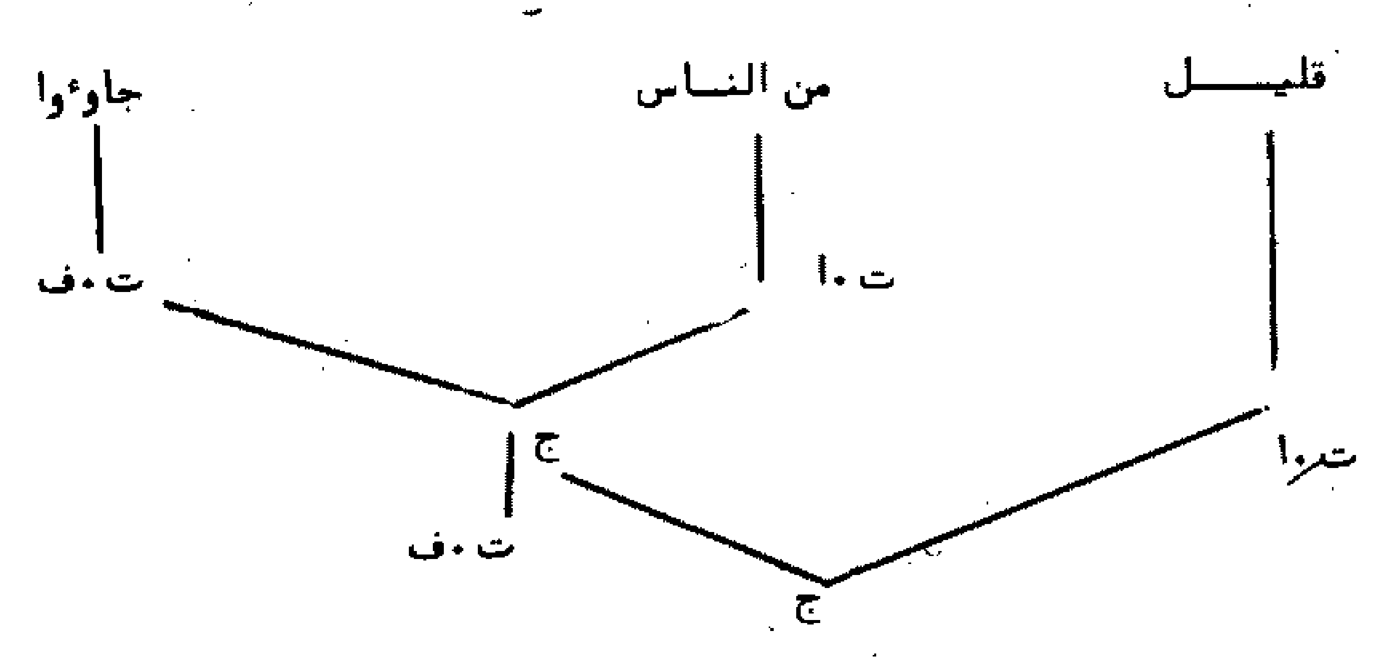
٢ ـ ٢ ـ نحو "المسانيد العميقة" :

وحسب المنوال النموذجي تعتبر كلمة /غالبا/ في الجملة /بول يأتي غالبا/ في التحليل ظرفا يرتبط بفعل . ولكن نرى في نفس الحملة المنفية /بول لا يأتي غالبا/ فالنفي لا يجري على الفعل وحده وانما يمتد حقله أيضا الى الظرف فيكون الظرف عنصرا هاما ويجب أن يقوم بدور عميق مشابه لوظيفة الفعل أي وظيفة المسند :



والنتيجـة أن المصـطلـحيـة مثـل (ت . ا) و (ت . ف) لا تحـافظ على صلاحيتها لاجراء الابنية العميقة التي تبلوت تجريديتها وهي متباعدة عــن الابنية السطحية.

وقائمة العناصر التي نكتشف لها وظيفة اسنادية "في المستوى العميق" تطول بادخال بعض "المكميات" (مفعول كمي) مثلا في الجملة التالية:



فمن الضروري تاليف أقسام نحوية جديدة "عميقة" لا ترتبط ثنائيا في صورة واحدة بالبنيـــة السطحية كما هو شان الاقسام: ت.ا، ت.ف وللبحث عن ذلك نستنجد بالمنطق،فالابنية العميقة صارت تشبه الاشكال الدلالية المنطقية (ارجع الى تفسير الجملة: الناس الذين جاءوا هم قليل) فمجموع المنوال يؤول الى صوغ

آخر انطلاقا من الدلاليات (ومن ذلك جاءت التسمية "الدلاليات التوليدية") مقابلة بروءية تشومسكي الذى يرى أن التركيبية مستقلة عن الدلاليات المفسرة لها.

٣ ــ الردّ في الدلاليات التأويلية:

واهمّ ماورد في جواب تشومسكي (انظر تشومسكي، ١٩٧٠) يمكن فى المقترحات المضادة التي تعتمد على مصاعب منوال "المظاهر" والخط العام للحجاج كالتالى: ان النقد يخص نقائص النظرية النموذجية ويطرح قضايا جليلة الشان غير أنه يبحث عن الحلول في وجهة سيئة، فالدور الخاص للعناصر مثل /غالبا/ أو /قليل من/ فى الجمل المذكورة يجب الاعتراف به في حد ذاته (وهو ما لاتقوم به النظرية النموذجية) ولكن لا يعني هذا نفي وجود بنية تركيبية مضمرة نفيا كليا وهى بنية توفر قاعدة العلاقات الدلالية الجوهرية، ففي جملة /بول يأتى غالبا /نرى أن الاساس ومحور التاليف هي العلاقة بين المسند اليه (الفاعل) ــ بول ــ والمسند (الفعل) ــ (يأتي غالبا) ــ واذا كان العنصر/ غالبا/هو الاهم فذلك لا يرد ولكن مساهمته المعينة هى فى الدلالة الاصلية المخصوصة التي تضاف في صورة من صور الى التاويل القاعدى فى الجملة وهى علاقة بين /بول/و/أتى/ وبصفة عامة يقع تأويل الجملة بواسطة سلسلتين من الاخبار التي تتضمنها:

ــ العلاقات التركيبية من نمط المسند والمسند اليه وهما يخضعان الى التاويل.

ــ معطيات من ترتيب آخر مرتبطة بتحقق الجملة وهى تسوغ قيمة خاصة للفظ/غالبا/(فى مثالنا) أو انعدامها.

وسنستعمل مثالا مشهورا يصور التباين بين وجهات نظر تشومسكي وروءية لاكوف. فهبْ لنا الزوج الجملى:

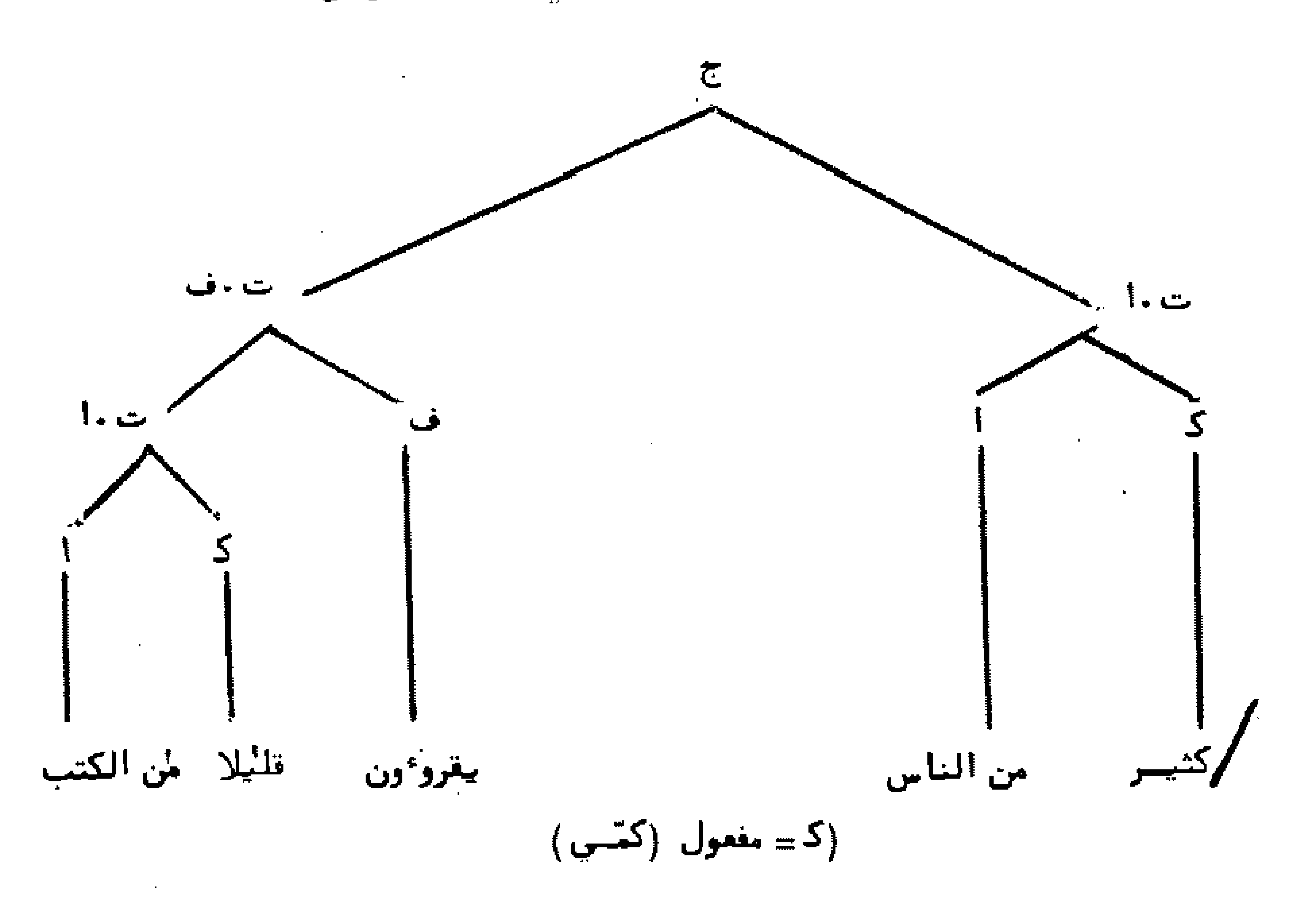
١ ــ كثير من الناس يقروءون قليلا من الكتب.

٢ ــ قليل من الكتب مقروءة من طرف كثير من الناس:

فالجملتان من نوع القيام بالحدث والمبنى للمجهول لكنهما لا تترادفان فيمكن تكرار الجملة الثانية فى تركيب ثان هو: الكتب التي هى مقروءة من طرف

كثير من الناس هي قليلة (Goncourt) ويمكن أن أقدم القائمة لذلك فهي : "ڨنكور" الاخير والمذكرات المشهورة لفلان ورواية فلان وذكريات فلان) ، ويمكن تكرار الجملة الاولى في صورة ثانية هي : الناس الذين يقروءون قليلا ، من الكتب، كثيرون (وهم لا يقروءون جميعا نفس الكتب فبعضهم يقروءون الروايات البوليسية والبعض الاخر كتب التاريخ والبعض الاخر الروايات الغرامية الخ ...) . فنلاحظ أن وجود أزواج للجمل من هذا الصنف يخلق مشكلا في نظريـة "المظاهر" اذ يسلم بأن التحويل الذى يربط الحدث والمجهول لا يغير الدلالة (ولا غيرها من التحويلات) في حين أن هذه الحالة تبدو مثالا مضادا ظاهرا ويجب قبول نتيجة التحويلات في بعض الحالات التى تحدد الدلالة أو الذهاب الى أن الجملتين ليستا في علاقة الحدث والمجهول .

والحل الاول هو ما يقدمه تشومسكي الذى يرى أن الجملتين ١ و ٢ لهما نفس البنية العميقة ويمكن تقديمها "كلاسيكيا" في الشكل الموالى :

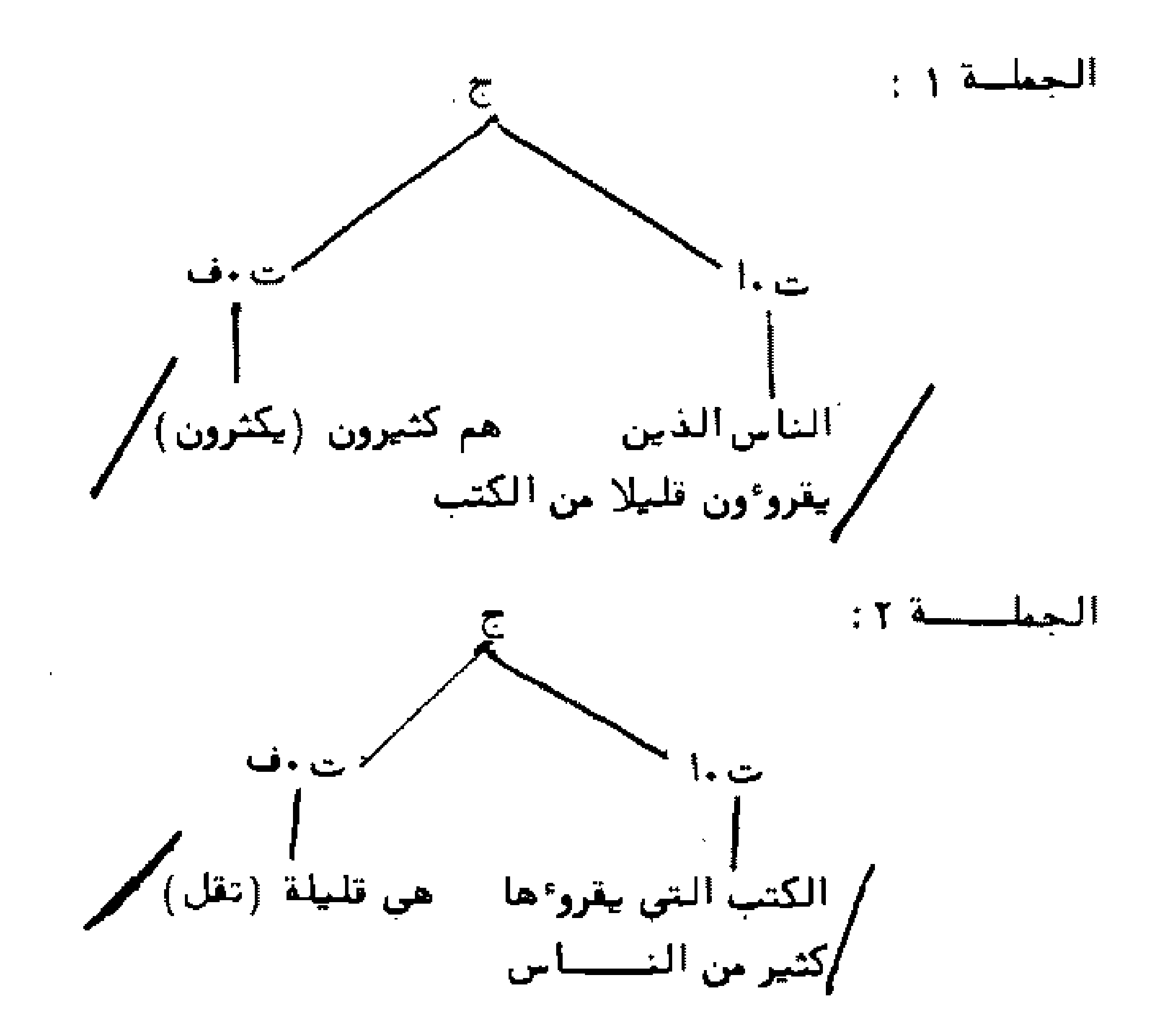


(ك = مفعول (كمّـي))

وهذا الرسم للبنية العميقة مشترك للحدث والمجهول (مع تويرق يتمثل في أن الرسم للمجهول يتضمن منذ البنية العميقة مكونا آخر يؤكدها في بابها حسب "المظاهر") . وهذه البنية العميقة توفر المعلومات التركيبية التى تُفسَّر دلاليا

حول مكونات الجملة وعلاقاتها وهى تمدنا أيضا بالوحدات المعجمية ولكن نلاحظ أنها "محايدة" من حيث القضية المركزية وهى رتبة المفعولين الكميين، فبعد عمل التحويلات في مستوى البنية السطحية يكتسب هذا الترتيب أهميته مع ما يحصل من نتائج رأيناها تجرى على دلالة الجملة، فتشومسكي يتخلى عن المبدا القائل بأن "التحويلات لا تغير الدلالة"، وفي بعض الحالات (في مثال الجملة التي تتضمن مفعولين للكمية كما رأينا هنا) تصير البنية السطحية (المحددة بالتحويلات) متميزة فى التاويل الدلالي (هنا: الترتيب للمفعولين الكميين هو المتميز في البنية السطحية).

وأما الحل الثانى فهو ما يقدمه لاكوف الذى يرى أن الجملتين لهما بنية عميقة متخالفة تقابل دلالتهما المتخالفة فالجملة ٢ ليست المجهول للجملة ١ وللجملتين (باختصار شديد) الابنية العميقة (أو المضمرة) التالية:



فنلاحظ أن جميع الخبر الدلالي تمدنا به الابنية المضمرة (وفي هذه النقطة يبقى لاكوف وفيًا لمنوال "المظاهر") لكن لابد أن تكون هذه الابنية تجريدية بعيدة عن السطح، فالمفعول الكمي الذى يحتل السطح فى الاول انما هو المسند "الاكثر

ارتفاعا" في البنية المضمرة، ويتجنب لاكوف كذلك كل امكانيات الانتقال بين ١ و ٢ مما يوءدى الى شكلنة جديدة للتحويلات في لفظ "الضغوط الاشتقاقية" ويقصد بها ضغط يربط الرتبة السطحية للمكميات بتقسيمها في شجرة الابنية المضمرة وهو الذى تخلى عنه بالنسبة "للمظاهر"، ويوءلف ذلك نظرة للابنية العميقة التركيبية أساسا وهى فى آخر الامر وثيقة الارتباط بالشكل السطحى للجملة.

٤ ـ قضايا وآفاق جديدة :

٤ ـ ١ ـ قضية المعجـــم :

ان قضية التنظيم المعجمي كانت دائما مسألة صعبة في النحو التوليدى.ففي حين أن تشومسكى لا يراجع النظر في الوحدات المعجمية التي تمدنا بها الابنية السطحية نرى أن المنطق الخاص بالدلاليين التوليديين قد أدى بهم الى تحليلها في عناصر موغلة في التجريدية وتقديم التكوين في بعض الوحدات المعجمية (باعتبارها مركبات) وذلك شيئا فشيئا في مستوى المراجل المختلفة في منوالهم. ونكتفى هنا ببعض الامثلة :

فمن ملاحظة العلاقة الضمنية بين كلمة /موقف/ و /صلب/ هي ثابتة فى جمل /موقفه (هو) صلب / و/ موقفه تصلب /و/ صلب موقفه /ذهب لاكوف الى تناول "الوحدات المعجمية الفرضية" من نوع العوامل الفعلية مثل جعل وصار فجملة /صلب موقفه/ تحلل كما تحلل الجملة الموالية/ (هو) : جعل موقفه يصير صلبا/.

وبنفس الطريقة يتم الاجراء لفعل "مات" مع "صار" (فعل) أى (صار مائتا).

فجواب تشومسكى علىهذه الاجراءات التحليلية هو انما تخلط التركيبية بالدلاليات فهذا الضرب من الفك للوحدات يعود في نظره الى الموءلفة الدلالية التاويلية وهو ما يسمح له بأن يقول ان النظريتين ليستا الا من الاعواض التسجيلية".

٤ ـ ٢ ـ أبنيـــة الملفـــوظ :

لقد أدخلت الدلاليات التوليدية في الدراسة حقلا جديدا من القضايا فمن الضرورى عند فحص دلالية الجملة أن نعرف الجوانب التي تخبرنا عنها اخبارا

جديدا أو رئيسيا، ويرجع ذلك عمليا الى التساؤل عن الاستفهامات الحقيقية أو الوهمية التي تجيب عنها الجملة.

مثال: الجملة: /نابليون غلب في وترلو سنة ١٨١٥ من طرف ولنكتون/، وهذه الجملة يمكن أن تجيب مثلا عن الاسئلة التالية:

- من الذى غلب ...؟
- أين نابليون ...؟
- متى نابليون ...؟

فمن الواضح أن معرفة ذلك هامة للوقوف على فائدة الجملة وفي ظروف استعمال مثالنا يعسر الحكم في هذه القضية. والخوض باعتبارنا ألسانيين في هذه القضية يفترض وجود وسائل لسانية توفر الحل: ظواهر الابراز والتنغيم والتضمين السياقي. وفي هذا المضمار أدخلت مفاهيم: الابتداء (المبتدأ) والصدر والموضوع.

مثال: جملة= /أنّ جون هو الذى يعزف بالبيانو/والموضوع فيها هو: /شخص يعزف بالبيانو/.

ولم تقدم المقالات التى عالجت هذه المواضيع الى الان صورة واضحة لهذه المصطلحات مثل "المبتدأ" و "الصدر" ويبدو أنها ليست سوى عمليات بنائية للملفوظ انطلاقا من شكل الجملة.

فوجه الاختلاف بين الدلاليات التوليدية والدلاليات التأويلية في هذه القضايا يتعلق بتعريف المفاهيم المتوخاة أقل منه بمنزلتهما ضمن المنوال.

أ - فنقطة الانطلاق في الدلاليات التوليدية هي المعطي المكون من:

- بنية تركيبية دلالية منطقية،
- تضمينات مستعملة هي الموضوع،
- تحديد الابتداء والصدر،

وهذه الانماط الثلاثة من الاخبار يمثلها ترقيم مفرد موحد (أشكال منطقية مجراة اجراء مشجرا) والجهاز التوليدى يجرى في شكلانية تقترض من المنطق

فلا كوف مقتنع بتواجد مناسبة بين الكلام والمنطق ولكن المنطق يبقى محل ابداع (وهو ما يطلق عليه اسم المنطق الطبيعي) باستعمال محركات مخصوصة ونشير الى لاكوف (١٩٧٠) فى تعريفه لذلك: "ان المنطق الطبيعي عبارة عن نظرية تعالج البنية المنطقية للجمل في الكلام الطبيعي".

فتخير مثل هذا المنطلق يؤشر الى اننا ننظر من خلال رؤية قد تكون هي الانتاج الفعلى للكلام انطلاقا من نية دلالية في مقام خطابي،ومثل هذه الفرضية تبدو مدعمة بكون التضمينات الموضوعة غير مسلم بها عالميا وانما هي ترجع الى المتكلمين ،فمن الضرورى فى الوصف اللساني أن نأخذ بعين الاعتبار "عالم" المتخاطبين (أى تصوراتهم) وهذه الدراسة يسميها لاكوف "دلاليات العوالم الممكنة".

ب ـ وأما في الدلاليات التاويلية فالظواهر المتعلقة بالتضمين الموضوع والمبتدأ والاخبار الصدرى ترتبط بشكل السطح (وبالخصوص التنغيم) وهي تجرى بواسطة قواعد التاويل الدلالى فى معالجة المستوى السطحي.

وفى هذه النقطة الاخيرة يبدو منوال تشومسكي متنزّلا فى آفاق معرفية فى حين أنه ي نقاط أخرى (خاصة في التركيبية) يقترب من جهاز انتاجي،فهذا التناقض يساهم ايضا في غموض القضية (وهي شاقة منذ "الابنية التركيبية") في الاطار النظرى لهذا العمل.

٥ ـ خاتمة:

سعينا في الفصول الاربعة الوجيزة أن نرسم نشاة النحو التوليدى ونموه. وفي الفترة الحالية تتواصل الابحاث حركيا في النهجين المقدمين في هذا الفصل.

ومما يسترعي الانتباه أنّ تشكيلات الباحثين الاخيرة في هذه القضايا تتقارب واشكاليات الباحثين الاخرين وخاصة في أروبا وهم الذين عمدوا الى توسيع نطاق الحقل اللسانى فى منحى عملية التلفظ والخطاب فالزوج الكفاءة الملكة (مثل الثنائي اللغة/ الحديث) تنتفي عمليته، وليس من اليقين أن تَستمد النزعات الجديدة في النحو التوليدى من الاشكالية المثالية أساسا وهي التى قامت فى البداية، فنحن انتقلنا من لسانيات "المتكلم المثالي" الى لسانيات "العوالم الممكنة" ويبقى أن نعالج التعاريف الحقيقية لهذه العوالم الممكنة.

المصـــادر والمراجـــع

ان المصادر والمراجع في هذا الفصل جميعها مكتوبة باللغة الانقليزية اعتمادا على مقالات غالبا ما تكون صعبة وهنالك مجموعات من هذه المقالات مثل:

الدلاليات، طبعة د. ستاينارج و ل.ياكبوفيتس (مطبوعات جامعة كامبردج) ١٩٧١

ونشير الى مقالات فرنسية: "الدلاليات التوليدية" عدد ٢٧ من مجلة: اللغات (ديدى لاروس)، سبتمبر ١٩٧٢ وخاصة مقال جيد لصاحبه ف. ديبو ـ شارلي في الاختلافات بين الاتجاهين المستمدين من منوال "المظاهر".

ـ ن. تشومسكي (١٩٧٠) ـ "البنية العميقة والبنية السطحية والتأويل الدلالي" وأعيد نشره في "الدلاليات" (أنظر ما أعلاه). الترجمة الفرنسية ١٩٧٥ ضمن: قضايا الدلاليات ـ (لوساى). عرض أراء تشومسكي "الصورة الثالثة" الدلاليات التأويلية".

ـ ج. لاكوف (١٩٦٨)، "الظروف الكمية ومفهوم البنية العميقة" ضمن: أصول الكلام ـ الجزء ٤، عدد ١، النقد الاول لمنوال "المظاهر".

ـ ج. لاكوف (١٩٧٠) ـ اللسانيات والمنطق الطبيعي ـ ضمن مجموعة: التآليف ـ عدد ٢٢.

ـ ج. لاكوف (١٩٧١) ـ في الدلاليات التوليدية، ضمن: الدلاليات (انظر ما سبق)، وهو عرض حسن لاراء لاكوف.

والدلاليات التوليدية لا ترتبط فقط بلاكوف، ونجد اتجاهات للبحث مختلفة ضمن عدد كبير من الاعمال المقدمة ضمن:

ـ ك. فلمور (١٩٦٨) ـ "مجال الابواب النحوية" ضمن القوانين العالمية في النظرية اللسانية طبعة ا. باخ ور. هارمز (هولت، راينهارت ونستون).

الجزء الثالث

اللسانيات والنشاط الكلامي

XI ـ منوال مالتشوك وشلكو فسكي :

واذا كانت الاتجاهات اللسانية باروبا الغربية من ناحية وفي الولايات المتحدة الامريكية من ناحية اخرى معروفة نسبيا فان البحوث اللسانية باروبا الشرقية حديثة النشاة من حيث الاطلاع عليها (وترجمتها) . ولسنا نطمح أن نقيم نظرة شاملة لهذه الابحاث فالقارئ سيجد في قائمة المصادر والمراجع الاشارة (غير مستقصاة وهو ايجابي) الى عدد من المؤلفات تسمح له باتصال أول بهذا الميدان .

وسننطلق في مسعانا تنزيل منوال مالتشوك وشلكوفسكي ، وهو ما اخترنا عرضه في عملنا (اعتمادا على المقال المكتوب سنة ١٩٧٠) ، منزلته من الاشكالية النظرية التي وضعها "ابايف" (Abaev) (١٩٦٩) فبعد تاريخ سريع للتطور اللساني في الاتحاد السوفياتي منذ ١٩٢٠ يقابل ابايف بين اتجاهين لهما حسب نظره مقامهما حاليا في اللسانيات وهو يرسم ماضيهما النظري معتمدا في ذلك على خاصية ثنائية ماركسية في اللغة بحدها "كاداة ابلاغ" و "كتعبير عن الوعي الاجتماعي" في نفس الان .

ــ فمن جانب أول الاتجاه الذي يصفه "بالشكلانية الحديثة" التي فتح نهجها ، حسب رايه ، باثبات سوسور المتمثل في "أن اللغة عبارة عن شكل وليست مادة" وان البنيوية هي التي طورت هذا الاتجاه . فعند ابايف يتجلى هذا الاتجاه في مفهوم مفرد للغة باعتبارها مجرد "صناعة ابلاغية" ينشأ عنها "دفع اللسانيات نحو العلوم التجريدية والمنطقية والرياضية" وهدفها هو شكلنة الظواهر اللسانية .

وهذه الروءية ناتجة عن اهمال الخاصية الثانية الماركسية للغة بحدها "كتعبير عن الوعي الاجتماعي" "فاللغة باعتبارها قسما اجتماعيا فهم"منعدم" (فى النظريات الراجعة الى هذا الاتجاه).

ـ ومن ناحية أخرى الاتجاه "التقليدى" الذى يرى في اللسانيات علما اجتماعيا اعتمادا على الخاصية الثانية الماركسية للغة،وهو يسعى جاهدا الى درس موضوعه بربطه بالواقع الموضوعى (الاجتماعي والتاريخي). ومن الغريب أن هذا الاتجاه الثاني الذى يبدو أن أبايف يعتبره الوحيد من بين الاتجاهين الذى يتاصل فى الماركسية هو نفسه الذى تواصل فى طريقة اللسانيات التاريخية في القرن التاسع عشر دون البحث عن طرح النقاش في الميدان النظرى المرفوض (أى بناء نظرية عامة في الكلام وتوزعه في التطبيقات الاجتماعية).

فمنوال مالتشوك ـ شلكوفسكى يرتبط بالاتجاه الاول المحدد عند أبايف واذا نحن اخترناه فذلك لسببين هما:

ـ أولا: الاختيار "الشكلانى" الذى يسمح بالمقارنة بين المسلمات البنيوية الرئيسية التي يقوم عليها هذا الاختيار والنحو التوليدى التحويلى (وبالخصوص في قضية التوزع بين التركيبية والدلاليات والمعجم).

ـ ثانيا : أن هذا المنوال يقدم كنظرية عامة للكلام لا كدراسة مشتتة لظاهرة اجتماعية.

وعامة يبدو النقد الذى وجهه أبايف الى هذا الاتجاه هاما جدا، فلذلك سنسعى بقدر الامكان الى بيان المواطن النظرية الدقيقة للمنوال حيث يلوح نسيان حد اللغة "كتعبير عن الوعى الاجتماعي".

١ ـ المسلمات النظرية:

فالموءلفان يرومان تشييد "منوال عملي" للكلام أو "طريقة منطقية تصل الى محاكاة آلية محضة للمسلك اللساني البشرى" (مالتشوك وشلكوفسكي، ١٩٧٠، ص١٠). فمنذ المنطلق ينظر الموءلفان فى اطار بحث شكلاني، ولكن الهدف

المنشود يبدو أكثر طموحا مما صرح به تشومسكي، فليس القصد الوقوف على منهج شكلاني يولد كلاما له من الخصائص ما يعادل نقطة نقطـة خصائص الكلام البشرى (الشكلانيـة) بل صياغة "مجازية" للنشاط اللغوى يسميها المؤلفان أيضا "ملكة الكلام" .

فهما يجمعان "المضمون" و "الدلالة" و "الخبر" ويعرفان موضوع درسهما باعتباره جهازا للترجمة بين "الدلالة" و "العبارة اللسانية" (أو "النص") وبالعكس ومن هنا جاء العنوان: "نحو منوال " الدلالة ـ النص "للكلام" ، ففي هذه المسألة نجد التعريف الشامل للنحو التوليدى كعملية تناسبية بين بعدين هما الدلالة والاصوات (مع مختلف القضايا فيهما) .

ويعود مالتشوك وشلكوفسكي كذلك الى رأى تشومسكي (أنظر أيضا تنيار) في الوصف الحركي (المقابل لتقسيم سكوني) ولكن هدفهما هو اصابة طريقة في الترجمة وبذلك يبعدان في نفس الان عن نظرة تشومسكي في الجهاز التوليدى (حيث يؤلف المعني تاويلا تركيبيا لا معطي مبدئيا) وفي المشاغل المنطقية الفلسفية المتعلقة بالدلالة والافادة دون الارتباط بوسائل التعبير اللساني (انظر فيما يلي قضية "الخبر الما فوق لسانى") .

فالمسلك اللساني المقصود ابرازه يتميز بقدرة المتكلم على "أداة نفس الفكرة بطرق متعددة" وقدرة السامع على "ادراك عبارات مختلفة متمايزة خارجيا لكنها مترادفة ولها نفس الدلالة" (نفس المرجع ، ص ١١) . فالدلالة تعرف هنا باعتبارها ما تشترك فيه كل العبارات المترادفة (المقبولة والمستعملة لدى المتخاطبين) أى باعتبارها "مبنيات التحويلات المترادفة (الجمل التكرارية) . (نفس المرجع ، ص ١١) ، فهى "حزمة من المناسبات بين العبارات المتوخاة التي لها مضمون معادل" (نفس المرجع ص ١١) ، وهذا الموقف المنطلق منه ثرى جدا حسب نظرنا ويسمح بادلاء الملاحظات التالية :

ـ ان أمر التمييز بين "نظام الترجمة" للمتكلم (دلالة واحدة تعابير متعددة) والسامع (تعابير متعددة ⟵ دلالة واحدة) يبدو لنا على جانب كبير من الاهمية . وليس هنالك ما يبين أن "العقد" و "الحل" يسيران حسب نفس القوانين لكن من المؤسف أنه في التطبيق (على الاقل في ضوء المقال الذى نرجع اليه) يميل

المؤلفان الى جمع المنهجين في باب واحد، فهما لا يحللان الا جهازا واحدا ولا نعرف بوضوح هل يمثل ظاهرة محايدة في المقابلة بين العقد والحل (قانون محايد هو اللغة مشتركة بين المتكلم والسامع وهو ما يؤدى الى جهاز توليدى بسيط) أم يفضل (في مرحلة انتقالية ونظريا ؟) طريقة العقد (والمنوال بوصف كتنظيم من المستويات ينحو منحى الدلالة العميقة الى العبارة السطحية) فقد تفسر هذه الفرضية سبب اهتمام المؤلفين القار بقضية الجمل التكرارية ولم يعوضا البتة لقضية الغموض.

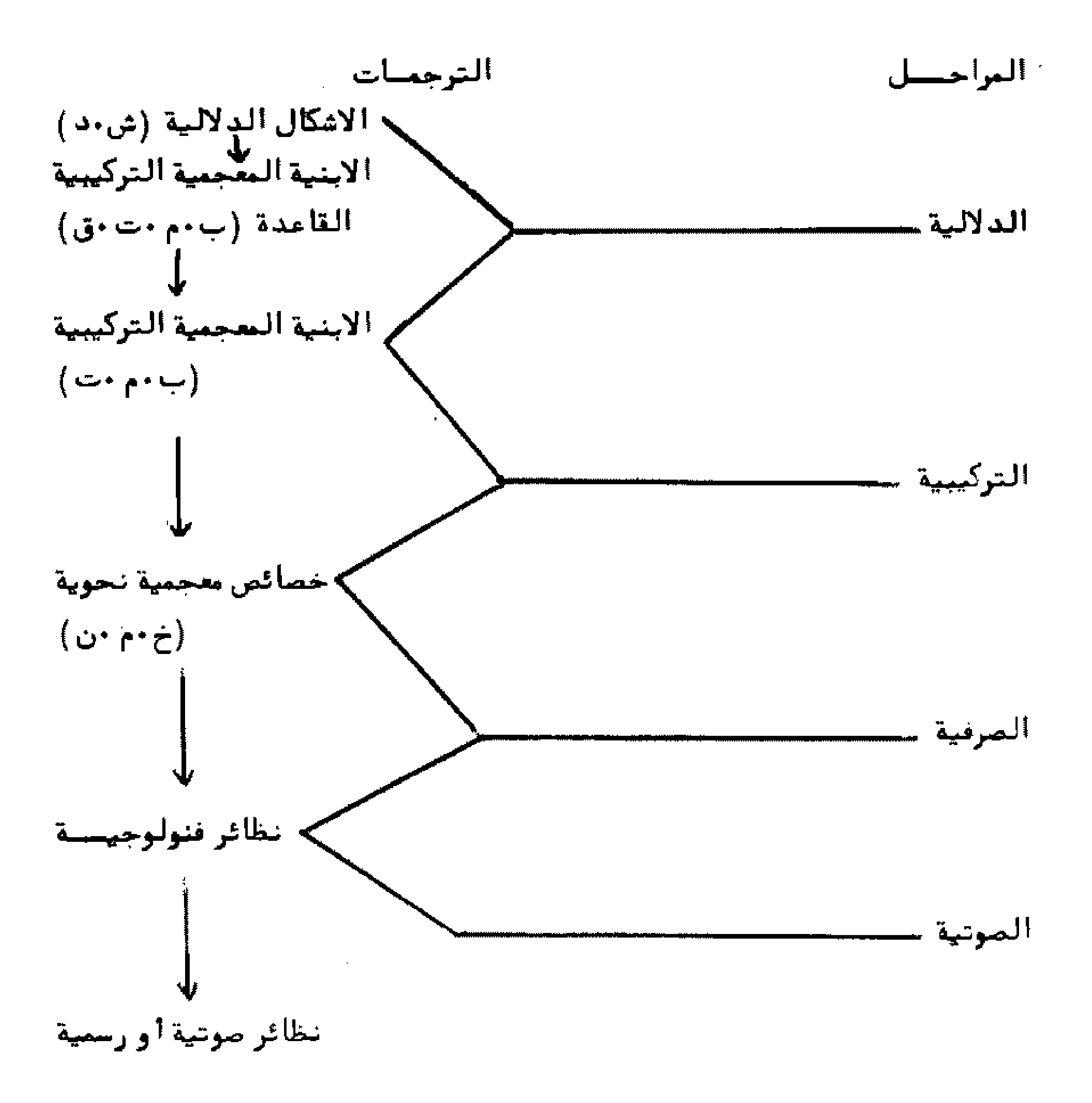
ـ وعكس ما نذهب اليه في النظر، يقدم المؤلفان مالتشوك وشلكوفسكي تعريفا للدلالة يخلو من الدور ("فالدلالة هي العلامة المشتركة للعبارات التي تكتسب نفس الدلالة"!) ولاول وهلة وحسب رؤية شديدة الشكلانية (وهي لا تنظر في مادة الدلالة) يبدو هذا التعريف بعيدا عن مسلمة ما قبلية لما قد تكونه الدلالة وانما لفهمها كنقطة تناتج، فالدلالة ليست معطى مبدئيا وانما هي تدرك فقط بعد طريقة تدرس العمل التطبيقي للكلام لدى المتخاطبين.

ومما يؤسف له هنا أيضا أن المنوال المقترح لدى مالتشوك وشلكوفسكي لا يعتمد تطبيق المقتضيات النظرية المنطلق منها، ولتوفير هذا التناسق مع المتطلبات يجب ألا نتصور الدلالة الا في صورة "نقصان" لعملية تحليلية تجريبية للابداعات الفعلية للنصوص، عند المتكلمين وهو ما لم يقم به المؤلفان، فهما يشرعان بصوغ (وفرضيا، صحيح وان اختبرناه فيما بعد) مجموع المنوال مع المستوى الدلالي، فهما بذلك يعتمدان على اختباريتهما للغة ويصلان (كشأن تشومسكي) الى تفكيك الدلالة الى "ذرى دلالية" وهو مايجعلهما يسقطان مرة أخرى في قانون محايد أى اهمال الخاصة التمييزية لعناصر الدلالة (من الذى يفهم مجموعة معينة من العبارات المختلفة "ويقبلها مستعملا لها بكونها تحتوى على مضمون متساو "؟) في حين أن مسلمات الانطلاق للمؤلفين كانت تسمح لهما ببيان ذلك.

فبمقتضى هذه الاسس نرى أن قضايا الترادفية والتكرارية هي محور منوال مالتشوك وشلكوفسكى، ونلاحظ أن الاعمال التي يحققها المنوال لا تتضمن (عكس متطلبات كاتز وفودور مثلا) تحليل الخصائص مثل: "ماله افادة وما قد تنعدم فيه الافادة" أو "درجة التغير الدلالي") فمثل هذا التحليل حسب المؤلفين ليس من مشمولات اللسانيات وانما يعود الى مستوى منطقى قد يربط بالوصف الدلالى.

٢ ـ المنـــوال :

ويتضمن المنوال (انطلاقا من الدلالة الى العبارة) أربع مراحل (وتنقسم احداها الى قسمين) تحدد كل مرحلة منهجا للترجمة بين نمط من التصوير وأنماط أخرى ويمكن وصف المنوال بفضل الجدول التالي :



وننظر هنا أساسا (شأن ماورد فى المقال الذى نحيل اليه) فى المرحلة الدلالية فى تقسيمها المزدوج (الاول : الانتقال من ش.د الى ب.م.ت.س ولم يتبلوَر ذلك فى الدرس والثانى : الانتقال من ب.م.ت.س الى ب.م.ت ويسمى النظام التكرارى) والتقديم الكامل لهذه المرحلة قد يطول جدا فى هذا الكتاب

لذلك نكتفي بانتقاء بعض الجوانب النظرية التي تمثل في نظرنا تمثيلا صحيحا المنهاجية.

٢ ـ ١ ـ أن جمع الجمل المترادفة (من السطح الى المستوى الاكثر تجريدا أى باتباع الاسهم فى الجدول (الذى قدمناه) يتم بطريقة تصاعدية في كامل المنوال. فكل مرحلة (أو قسم منها) تسعى الى معالجة حالات الترادف وهو ما لا تقوم به المرحلة السابقة.

ويقدم مالتشوك وشلكوفسكى (نفس المرجع المشار اليه، ص ص ١٧ ـ ١٨) شكلا مفيدا لهذه المنهاحية ونلخصها على النحو التالي :

نقدم هذه الجمل التسع :
١ ـ يعرف الجميع أن الشعب الالماني يتحارب مع الفاشية.
٢ ـ يعرف الجميع أن الشعب الالماني يتحارب ضد الفاشية.
٣ ـ للجميع معرفة بحرب شعب ألمانيا ضد الفاشية.
٤ ـ من المعروف لدى الجميع أن شعب ألمانيا يقوم بحرب ضد الفاشية.
٥ ـ يعرف الجميع مواصلة المحاربة ضد الفاشية من طرف الشعب الالماني.
٦ ـ من لا يعرف بألمانيا أن الشعب لا يخضع الى الطاعون الاسود ؟
٧ ـ نعرف أنه بألمانيا أن الفاشيين لا يعرفون الراحة : فالسرية الشعبية صريحة.
٨ ـ نعرف أن أسرة توماس مونستر قد قامت في طريق اتباع هتلر.
٩ ـ يعرف الجميع أنه من الالـــب الـــن بحر الشمال ومن الراين الى الاودير يواصل الشعب عمل ادقار أندرى.

فالمرحلة الصرفية (الصياغية) تمثل هذه الجمل حسب ثمانية مميزات معجمية نحوية (خ.م.ن). مختلفة ان الجملتان (١) و (٢) تجمعان فى نظير واحد.

والمرحلة التركيبية تسمح بامداد سبعة نظائر متخالفة (ابنية معجمية تركيبية: ب.م.ت) والجمل (١) و (٢) و (٣) تجمع فى (ب.م.ت) مفردة.

وأما المرحلة الدلالية الاولى الفرعية (نظام تكرارى) فهى تؤول الى خمس أبنية معجمية تركيبية قاعدية (ب.م.ت.ق) والجملتان (١) و (٥) ترجعان الى نظير واحد (ب.م.ت.ق).

وأما المرحلة الدلالية الثانية الفرعية فهى تعدنا بأربعة أشكال دلالية (ش.د) تجمع الجملتين (١) و (٦) فى (ش.د) موحد.

وأما فيما يخص الجمل الثلاث (٧) و (٨) و (٩) "فمن المستحسن ألا نسند اليها صورة دلالية مفردة إن مجرد أنها ترجع حملة منزلة واحدة في ذاتها يجعلها توصف/انسجاما فى عبارات التحويلات/من بين عمليات وصف مختلفة للمنزلة (...) ومثل هذه التحويلات يستدعى حتما صورة موسوعية للعالم المادى والاجتماعى فيما يتعلق بتاريخ المانيا وجغرافيتها أو يستطلب معطيات من نمط: "فى دولة فاشية، لا يمكن للمعارضة(صد الحكومة)أن توجد الا فى شكل السرية"، (نفس المرجع ص ١٨).

٢ ـ ٢ ـ ونصل الى النقطة الثانية وهو جانب الحدود الكبرى للمنوال اللسانى.

وتسمح الاشكال الدلالية (ش.د) بجمع الحمل المترادفة، وتتمايز فيها الابنية (ب.م.ت.ق) وهذه التجمعات تحرى لا فحسب على أساس تأويل الكلم والعلاقات التركيبية الدلالية ،بل، بفضل الاعتماد على قوانين الواقع وبدائه دلالية.

مثال: جمع الجملتين فى (ش.د) مفردة (يتطلب حذاؤه بالحاح أن يصلح) و (له حذاء مثقوب) (وللجملتين ب.م.ت.ق متخالفة)، ويجب أن يتوفر لدينا التعادل المخصوص من نمط: /ما هو مثقوب يتطلب الاصلاح/ وبالاضافة الى قضية العالمية المشار اليها (هل أن جميع المتخاطبين يملكون نفس "البدائه"؟) نتساءل هل ان توخى هذا الضرب من الاستنباطية لا ينفى حقلا كاملا من الظواهر كالاستعارات؟

فعند المؤلفين يتسم الخبر المستعمل هنا (تأويل الكلم والتراكيب مع البدائه فى المعنى وقوانين الواقع) بطبيعة لسانية ويقابل الاخبار الما فوق لسانية (معلومات حول أشياء أو ظروف معينة أو قوانين العالم أو الموسوعية...) فالنمط الاول من الاخبار يسوغ جمع الجمل "التى تكتسب نفس المعنى" (أنظر الجمل (١) و (٦) المذكورتين) والنمط الثانى يسمح بتجميع الجمل "التى

تكتسب معانى متخالفة لكنها تستعمل فى نفس الظروف" (انظر الجمل من (٧) الى (٩) المذكورة أعلاه) وهو ما يخرج عن حقل المنوال اللساني.

ونجلب النظر الى أن المؤلفين كانا الاوائل الذين اعترفوا (نفس المرجع ص ١٩) بأن الحدود بين هذين النمطين من الاخبار ليست واضحة: "أن وصف معنى الكلم لا يمكن الاّ يتضمن وصف الظرف المقابل، أى ان ملكة الكلام أصوليا لا تنفصل عن ضرب من "الملكة" للعالم المافوق لساني".

فمن المشروع أن نتساءل متى نخرج من الحقل اللساني؟ وهي قضية قد عالجها المؤلفان بطريقة اختبارية تجاوزت الرؤية النظرية.

٢ ـ ٣ ـ وأما المسألة الثالثة التى ننظر فيها فتتعلق بطريقة التقاطع بين التركيبية والدلاليات والمعجم.

فالتمييز بين الخصائص المعجمية النحوية (خ.م.ن) والابنية المعجمية التركيبية (ب.م.ت) يتشابه فى أول وهلة مع تمييز تشومسكى بين الابنية السطحية والابنية العميقة، فالخصائص المعجمية النحوية (خ.م.ن) تحدد "العلاقات في تركيبية مورفولوجية (قريبة من العبارة)" في حين أن الابنية المعجمية التركيبية ب.م.ت) تبرز "العلاقات فى تركيبية دلالية (موغلة فى التجريدية)" (نفس المرجع، ص ١٤) لكن هذه المقارنة لا تبلغ حدا أقصى، فالاختلافات تفوق أوجه الائتلاف.

أ ـ ويمكن القول، في عبارة مكررة لبانفنيست ومفادها "ان الوحدات لا تسبق التحليل" أو "ان مستويات التحليل لا تسبق النظرية"، فلفظ التركيبية والدلاليات يختلف معناه في نظرية تشومسكي وفى منظور مالتشوك وشلكوفسكي، فالتركيبية عند تشومسكي هى مركز المنوال وما المستويات (الصوتمية والدلالية) الا ارتباطات بها باعتبارها مؤلفات تأويلية، وأما عند المؤلفين فالتركيبية "تتفجر"، ان صحت العبارة، لتؤول الى منطقتين: منطقة العبارة (التركيبية المورفولوجية) ومنطقة المضمون (التركيبية الدلالية) وفي هذا المنحى تتصف الابنية (ب.م.ت) "بدلالية" تفوق الابنية العميقة. فمن جانب تصير العلاقات "التركيبية العميقة" أو المتوفرة فيها الى قسم التأويلات الدلالية (أو المنطقية؟) لتلك الابنية التركيبية، ومن جانب آخر يتكون الكلم المستعمل فيها من وحدات "معجم عميق" وهي أيضا تؤول دلاليا.

ب ـ ان المعجم لا يكون ميدانا منعزلا فهو حاضر فى جميع النماذج وفى جميع مستويات المنوال، ففى مستوى الابنية المعجمية التركيبية (ب.م.ت) يشمل المعجم أوجه "الكلم المفيدة" أو "المستقلة" (التى تعتبر أصول الاشتقاقات، مثل: لفظ : حلّل) كما يضم مجموعة من "ألقاب الوظائف المعجمية" (وهى تسمح بتعداد الوحدات "المفيدة" المشتقة انطلاقا من الكلم المستقلة ـ مثال: /تحليل/ مشتقة من /حلل/ ـ ومن الوحدات "الشاغرة" التى تربط دلاليا بالوحدات المفيدة مثل:

· قام (بزيارة)
· خلق، خضع الى أخضع الى، جرى، مس (تغيير).

ج ـ ومن هذه الوجهة تجمع المرحلة الدلالية ما يكون عند تشومسكى معطى ثلاثة ميادين متمايزة هى الابنية العميقة والمؤلفة الدلالية والمعجم.

د ـ ان المرحلة الدلالية هى نفسها منقسمة الى أقسام لكن حسب مقاييس أخرى مختلفة:

ـ فالابنية المعجمية التركيبية القاعدية (ب.م.ت.ق) تعتبر كل بنية على حده ضربا من "النمط الممثل" لمجموعة من الابنية المعجمية التركيبية المترادفة التى تدل عليها،وليست من "الاشكال المافوقية"، ومقاييس اختيار الابنية المعجمية التركيبية القاعدية (ب.م.ت ـ ق) يعوزها التنظير: "ان الاقل ادراكا هو الاكثر اظهارا" (نفس المرجع، ص ١٦) (لمن؟ ورجوعا الى أى شئ؟).

وأما الاشكال الدلالية (ش.د) فهى تؤول أكثر من الابنية (ب.م.ت) وعدد العلاقات محدود (مسانيد لها خبر أو خبران، علاقة ترابط) والابنية المستخرجة منها أكثر تعقدا مما يستنبط من الابنية (ب.م.ت) (أو من الابنية العميقة عند تشومسكي)، وتلك الاشكال الدلالية قد تصور فى "بيانات مركبة موجهة" (أنظر الفصل ١٣. والعلاقات "الضمنية" المقترحة عن كولهولي فى موضوع المستوى "الاعمق" لمنواله).

ويقدم المعجم بفضل "ذرى المعنى" المعطيات الدلالية") واعتماد مثل هذه العبارات المافوقية (مثال: "الهدف" و "السبب"...) يطرح قضية نظرية بديهية وخاصة وان هذه العبارات قد اعتبرت عالمية، ويجب ان ندلي فى هذا الشان بملاحظتين: الاولى: هذه الذرى الدلالية تكون تفكيكا لبعض الوحدات

المعجمية وليست ميزة (خارجية) للوحدات، يتوخى مثلا الصفات المميزة (كما هو الحال عند تشومسكي) فهي مشابهة لما يقترحه الدلاليون التوليديون، الثانية: هذه التفكيكات لا تخلق غالبا سوى بعض الوحدات (خاصة الاسنادية) وهو ما يترك المجال للقول بأن العبارات المافوقية قد تفيد "اجهزة العمل" اكثر مما تفيد "قواعد عالمية للمضمون".

٣ ـ خـــاتمـــــة:

ان مشروع مالتشوك وشلكوفيسكي) بالاضافة الى تقسيم متميّز اكثر ثراء من عمل تشومسكي في المستويات الثلاثة: التركيبية والدلاليات والمعجم، يتّصف بالمظاهر الايجابية التالية:

ـ ان مستوى الاشكال الدلالية (ش.د) تسمح بتحليل المقطوعات الكبرى التي تتجاوز الجملة طولا وبتحديد الطبقات الدلالية على قاعدة العلاقات البين جملية، ويؤدي هذا المستوى ايضا الى اكساب الظواهر توزيعا معينا دون التفريق بين المعجم والنحو مثل الهيئة والازمنة والاحداث والادوات وكذلك الكلم "المفيدة"، وفي آخر الامر، لهذا المستوى في عمل الابنية المركبة من القوة ما يخول له جمع عدد كبير من الجمل المترادفة وادراك مستوى "عميق" جدا.

ـ ان المعجم يدرس بطريقة حركية باعتباره مجموعة من المعطيات البنيوية المتقاربة مع ابنية الجمل.

وباختصار نرى أن هذا المنوال يؤلف مقاربة تنظيمية وثرية في نفس الان في معالجة الكلام ضمن الميدان الذي يتماثل فيه والدراسة الشكلانية (أي حسب نظرتنا، التنظيم الدلالي للمعطيات التركيبية وتأويلها).

ومع هذا، ولا تكمن طوافة المنوال في وضع القضية التي تواجهها اللسانيات، كيف نتجاوز هذا المجال دون اعتبار الحقل اللساني أي بالخصوص: ما هي الحدود النظرية للتحليل اللساني؟ "فالمعطيات الدلالية" عند مالتشوك وشلكوفسكي و "البداهة الواقعية" وقضية الحدود بينها وبين "الخبر المافوق لساني" تشير بدقة الى محدودية (والتعميمات كثيرة) لسانيات "شكلانية" في مفهوم ابايف أي لسانيات تكتفي بتعريف "اللغة كأداة ابلاغ محضة مع اهمال تنظير طريقة تقاسمها مع الواقع الاجتماعي.

المصادر والمراجع

(ان أعمال اللسانيين السوفيات قليلة نادرة في الترجمة الفرنسية) ·
نص مرجعـي :

ـ ى.ا · مالتشوك و ا.ك · شلكوفسكي (١٩٧٠) "نحو منوال" الدلالة ـ النص "للكلام" ضمن مجلة: اللسانيات، عدد ٥٧ ـ صص ١٠ ـ ٤٧

وهو نص بالانقليزية نشره المؤلفان (وأمثلة النص الانقليزى والشواهـد من الروسية قد قمنـا بنقلها نحن) ·

ونجد في : وثيقة في اللسانيات الكمية: عدد ١٠ : "الدلاليات في الاتحاد السوفياتي" ترجمة فرنسية مختصرة تحت عنوان "نحو منوال" الدلالة ـ النص" للكلام" وترجمة نص روسى لمالتشوك وشلكوفسكي وهو قريب من الاصل الانقليزى لسنة ١٩٧٠·

ونذكر العدد ١٥ من مجلة: اللغات (١٩٦٩) : "اللسانيات في الاتحاد السوفياتي" مع مقال لصاحبه :

ف.ى. ابايف (١٩٦٩) : "الحداثة والتجريدية الانسانية في اللسانيات" ·

ويمكن ان نشير أيضا الى عمل المؤلفين بالاشتراك مع ى.د ابريسيان في مقال تحت عنوان: "الدلاليات والمعجمية: نحو نمط جديد لمعجم لغوى مفرد" ، (ضمن كيفر، دراسات فى التركيبية والدلاليات، ١٩٦٩ ريدال دورتريك، صص ١ ـ ٣٣) ·

XII ـ عمليـة التلفـظ :

ان عملية التلفظ حسب تعريف ايميل بانفنيست (١٩٧٠، ص ١٢) هى "وضع اللغة فى حركة بمقتضى فعل فردى في الاستعمال" ولقد كان التلفظ خارج حقل دراسة اللسانيين منذ زمن طويل ثم بدأت العملية منذ سنين تحتل منزلة كبرى فى بحوثهم ، وحجّتهم في اخراجهم هذه العملية من درسهم أن الظاهرة متمحلة في المعالجة (على الاقل فى الوقت الحاضر) ومن ناحية أخرى لا تخضع التلفظ الى منهاجية وتنظيرية علمية اذا اعتبرنا انه "لا علم الا للعمومية" فموضوع اللسانيات كان عند سوسور هو "اللغة" مقابلة "بالتحديث" (وتجمع التلفظ والتراكيب فى حد ذاتها) ونجد نفس الموقف عند تشومسكى،فقد طمع اللسانيون عند تطبيق مجال حقلهم قمابل ذلك فى تقويته نظريا لكن دون جدوى ، ففي كل نظرية، (وأبرزت التجربة ذلك حسب طرق مختلفة) ، تطرح هذه المحدودية عدة قضـايا وتصـل الى حد الطريق المسدود وبالخصوص عندما نريد النظر فى مجال الدلالة اذ يبدو أنه من الضرورى أن نتناول اللغة في حركتها،فاللسانيات آلت رغما وتصرا الى قضية التلفظ وأقامت مساهمات الفلاسفة وبانفنيست مشروعية هذه الدراسة التي تحتل الان منزلة مركزية في اللسانيات .

والاتفاق في هذه النقطة لا يمنع أن يعالج التلفظ فى صور متناثرة أقصى التناثر، ومحاولة لتوحيد التقديم سننظر أولا فيما يخص الفاعل اللافظ (أو الباث أو المرسل) ثم العلاقة بين المرسل والمرسل اليه (أو المتقبل) .

١ ـ الفاعل اللافظ:

١ ـ ١ = الانا ـ هنا ـ الان :

ان اللغة تتضمن عناصر يسميها بانفينيست (١٩٧٠) الجهاز الشكلاني للتلفظ وهى تسمح لكل شخص بان "يأخذ الحديث" في رتبة متكلم ("انا" أصرح أنّ ...) فلمن يرجع " انا " ؟ ـ الى كل متحدث ولهذا الامر يقول "انا" واذا تكلم آخر يقول أيضا "انا" ـ ويتحول المتكلم الاول الى "أنت" (أنت تقول الان أنّ ...)

ثم ان "الانا" و "الانت" يتقالبان من جديد عندما يتكلم الاول؛فهذه الظاهرة تلوح سخيفة لانها اعتيادية ويبرز النظر طبيعة الخاصية المميزة "للانا" و "الانت" وهما "لا يضمران مفهوما ولا شخصا" (بانفنيست ١٩٦٦، ص ٢٦١) ولكن يسمحان للمتكلم باحتلال منزلة الفاعل في الخطاب مع علاقة تتوفر بينه وبين المرسل اليه.

وتوجد سلسلة متكاملة من الوسائل لتحديد المكان الذى "أنزل به "أنا" فهنا فى هذا المنزل والزمان الذى "أنا" أتحدث فيه هو الان، فى اللحظة الحاضرة (والزمان "الحاضر" هو عبارة عن محور أمارة للزمانية) وبهذه الطريقة يتم التعليق مع المافوق لساني من المعطيات بمساعدة هذه "الادوات" (ياكبسون، ١٩٦٣، ص ١٧٨).

ويلحق بانفنيست في ابرازه هذه البنية "الانا ـ هنا ـ الان" الفلاسفة الذين يبحثون عن تأسيس الذاتية حول "الانا" الذى يظهر الكلام وهو مصدر حريته الفردية الشاملة؛فالجهاز الشكلاني لعملية التلفظ عندما نعترف بوجوده يؤدى الى هذا الاثبات المثالى؟ ولا يمكن وضع نظرية الخطاب الا بشرط توفير اطار معين للفاعل فى الخطاب يختلف عن الذاتية المحضة المكتفية بذاتها (أو طار ابداعى بمجرد خطابه الفردى).

١ ـ ٢ ـ العلاقة بين اللافظ والملفوظ :

وهذه العلاقة قارة دائما (مهما كانت المشاعر والنوايا المتقابلة) بيّنة تسبيا ومظهرة فتركيب :/مرّة أخرى، اغلق الباب/يدل على معنى :/أ ذكر مرة أخرى.../ والمتكلم مسرعا أو مخطئا قد حذف فقط شكلنة (لفظ) عملية التلفظ (أذكرك) باعتبارها لازمة فى هذا المقام ـ وهى حالة "كبرى" حيث نرى التلفظ يجرى فى ذات نفسها مع ثنائية، وتلفظ في تلك الصورة ولا تشذّ عن التلفظ بتركيب /أقول لك ان.../

وعندما نقدم جملة مثل //جاء بيار مسرعا/ونتصورها فعليا منطوقة عن شخص معين فى سياق واقعى ملموس؛نلاحظ يقينا أن الجملة تؤلف بمقتضى التنغيم أو بواسطة وسائل مثل :

أنظر، بيار الذى يأتي مسراءا!
(هناك) بيار الذى يأتي مسرعا.
انه بيار الذى يأتي مسرعا.

ففي عبارة حدسية نرى ان المتكلم يتوخى طريقة معينة في التقديم عندما يعمد الى تمييز الدلالة للموصول: الذى ياتي أو "كيف"، وكانه يجيب على سوءال (حقيقي أو افتراضي) أو على استفهام آخر مثل: ماذا حدث (الجواب: (هناك) بيار الذى...) أو الذى...؟ (الجواب: انه بيار الذى...) فكل ملفوظ يتضمن مجموعة من نقط التحديد، وتحتوى عملية التلفظ ضرورة جملة من الاختبارات من نمط: فبالعلاقة مع وجهة نظر معينة أو بالنسبة لمسالة معينة يتحقق السياق، ولعل الامثلة المنتزعة من السياق (كنماذج النحو) هي وحدها التي تبدو "محايدة" في هذا المضمار فكل جملة حقيقية تحتوى مركبا من عمليات "التنسيق" و "المعنوية" (أنظر الفصلين ١٠ و ١٣).

ـ "وفي مستوى أوسع، وان كان على نسق أقل مباشرة قطعية، تجرى في هذا النطاق شتى الادوات الشكلانية ومنها ما يرجع الى الافعال كالازمنة (المضارع الاختياري والوجوبي) التي تصور مسالك اللافظ ازاء مايبثه (الانتظار والتمنى والخوف) أو ما يرجع الى نظام الجملة (يمكن ودون شك أو يحتمل) للدلالة على انعدام اليقين والامكان أو التردد الخ، أو أيضا رفض التنسيق التركيبي" "بانفنيست ١٩٧٠، ص ١٦).

ونضع في نفس الباب كل ما يتعلق بامكانية نقل ملفوظ الى شخص آخر مع تميز معين (خطاب مباشر أو خطاب غير مباشر حرّ...) وتتضمن بعض اللغات سلاسل كاملة من الاشكال الفعلية للتعبير عما لم نشاهده نحن أنفسنا أو للتعبير عما ينقل الينا عن الشهود (أنظر باكسبون، ١٩٦٣، ص ١٨٣).

١ ـ ٣ ـ العلاقة بين اللفظ والمعطى المافوق لساني:

ونكتفي في هذا الباب بنقطة واحدة تخص التراكيب "التحقيقية" (عبارة مأخوذة من الانقليزية وتعني حرفيا "المحققات") ويقصد منها (بعد الفيلسوف الانقليزي أوستين (١٩٦٢) وهو زعيم مدرسة فلسفية توصف بانها "تحليلية" تحرص على دراسة الكلام العادى) مجموعة الملفوظات التي تختص باثبات تحقيق ما يرد بها من قول (أنظر كتاب أوستين بعنوان: كيف نوءدى الاشياء بالكلم، وترجم

الى الفرنسية تحت عنوان: عندما نقول نفعل) مثال:/أعلن عن افتتاح الجلسة/ وهي جملة يفتتح بها الرئيس فعلا الجلسة (مقابلة مع تركيب/أعلن عن فتح النافذة/ وليس لها القوة السحرية لفتح النافذة) أو جملة /أقسم بأن أقول الحقيقة/ التي تؤلف في حدّ نفسها القسم (ضمير المتكلم اذ أن تركيب:/بول يقسم بقول الحقيقة/لا يؤلف قسما يلزم بول) فالظواهر "التحقيقية" تقابلها الظواهر "الاستنتاجية" (النافذة مفتوحة) التي ترجع الى حقيقة خارجية في حين أن الادوات "المحققات" حسب نظر أوستين (وبانفنيست، ١٩٦٦، ص ٢٦٧ وما يليها) هي في نفس الان تجسيد لساني وعمل واقعي، فالعمل يتماثل مع عملية التلفظ بالعمل.

وأثارت روئية أوستين عدة آراء (في موضوع القوة "السحرية" للكلام، والامر والشرط لايستعملان استعمال المحققات وهي أحاديث قوية جدا) ومجموعة كبيرة من المحاولات للالمام الدقيق بالخصائص اللسانية للملفوظات المثبتة، ويجر ذلك الى نسيان أن المحققات لا تبلغ هذه الخصائص الا في ظروف مضبوطة فالرئيس دون غيره يستطيع الاثبات بقول:/أعلن عن افتتاح الجلسة/ومن الضروري توفر البيان والتمثيل والالقاء للتصريح بالجملة التالية: /قسم بأن أقول الحقيقة/ وقبولها كقسم ــ فالملفوظ المحقق يقتضي قوّة معينة لايكون بدونها، فلا توجد مقاييس لسانية في موضوع المحققات أو بصورة أدق لا وجود للملفوظات المحققة، فمجرد الكلم وحدها لا تغير شيئا من الواقع وهي قد تكون تعبيرا عن نفوذ معين، وهو أمر مختلف شديد الاختلاف.

٢ ــ ما بين المرسل والمرسل اليه:

ان استعمال الكلام حسب وجهة نظر "تلقائية" عبارة عن استعمال أداة (الكلام) لنقل بلاغ (خبر) بين باث (أو مرسل) ومتقبل (أو مرسل اليه) وسلبيات هذا الرسم تكمن في عزله الاطراف بعضها عن بعض وكأن البلاغ هو مثلا حقيقة ملموسة تماما تنقل من مستوى الى مستوى آخر دون أن يدخل طارئ على العملية. وكأن في الطرفين لا تجرى سوى عمليات عقد وحل آلية محضة. فخاصية البساطة المبالغ فيها لهذا الرسم التي أدت الى ابطاله في نهاية الامر، قد درست في صور عديدة مثل أن دلالة ملفوظ معين، أمر يجرى بين الباث والمتقبل الملتزمين الواحد بالاخر في بعد غير متناسب وبمقتضى عمل تأليفي لتلك الدلالة.

٢ – ١ – "وظائف" الكلام عند ياكبسون :

يعود ياكبسون (١٩٦٣، ص ٢٩٠ وما يليها) لغاية ادراك الفصل بين ما يؤلف عنده "الوظيفة الانشائية" للكلام، الى الرسم الكلاسيكي للابلاغ حتى يتمه؛ ويدرس ما ينجر عنه، ويميز في الحدث اللساني ستة مكونات هي :

السياق (أو المرجع) ١
المرسل ٢ ـــــــــ البلاغ ٦ ـــــــــ المرسل اليه ٣
الاتصال (أو قناة) ٤
القانون ٥

فالبلاغ الذى يبثه المرسل الى المرسل اليه يؤدى الى مرجع ويكتسب عملية تعليق بين المتساهمين (القناة) وقانون مشترك بين الطرفين وكل عنصر من هذه المعطيات له دور فيترك أثرا أو يميز البلاغ وهو ما يطلق عليه ياكبسون لفظ "وظائف" الكلام.

ان ياكبسون يميز بين الوظائف التالية :

١ – الوظيفة "المرجعية" أو "المفهومية" أو "المعرفية" وهي تحدد "مرمى المرجع" فالامر يتعلق بمظهر اخبارى محض للكلام يعادل الفكرة "العفوية" التي ذكرناها فيما سبق.

٢ – الوظيفة "الانفعالية" أو "التعبيرية" وهي تقابل أثر الباث فى بلاغه فمن حيث المبدأ أو الحد ينتج البلاغ الفاعل فيميزه بعلامة ويجلي لنا شيئا من ذات نفسه يخص حالته الانفعالية أو العاطفية أو حسب العبارة المألوفة الموضحة "خيانة أعماق فكره" فالجميع يعرف بالتجربة أهمية الظاهرة والبحث عن العبارة المحايدة في نفسها يفسر بمقتضى هذه الطريقة.

٣ – الوظيفة "الافهامية" (من كلمة لاتينية تدل على القيام بجهد معين) وهى تبرز الاتجاه نحو المرسل اليه ومن الجدير أن نؤكد أن عملية مخاطبة شخص معين تتطلب دائما سواء الا يلقى على شخص آخر سواء كان الامر يتعلق بالقيام بعمل ظاهر أو خفى أو بانتاج ضرب من الانطباعات أو الاعتراف المقصود.

٤ ــ الوظيفة "الانتباهية" (من كلمة يونانية تفيد التحدث) وهي تعكس ظروف الابلاغ والمثال النموذجي هو في لفظ آلو (Allo) الذى لا معنى له سوى الدلالة على تضمين الاتصال والجميع يعرف أننا لا نتحدث كما نكتب.

٥ ــ الوظيفة "العافوق لسانية" وهي تعكس وعى المتكلم بقانونه المستعمل الذى يتجلى مثلا عندما نقول: "ان استعملت الكلمة ففي معنى ... ".

٦ ــ وتبقى، حسب ياكبسون الوظيفة "الانشائية" ويعرّفها باعتبارها "التاكيد على البلاغ لغاية ذاته" (نفس المرجع، ص ٢١٨) ويظهر ذلك في مثال العبارة المتداولة فى اللغة السياسية الامريكية (أحـب آيـك (Jlike Jke)، وفيها يتضح أن البلاغ نفسه حسب شكله يكتسب قيمته وشحنة دلالية حتى وان كانت تعسر في التشكيل في لفظ "الخبر".

ودون الدخول فى ميدان التخالف في الوظيفة الانشائية يمكن أن نجد في هذا المقال عدة عناصر للتفكير، ويسترعي انتباهنا أمر هو أن هذه الوظائف المختلفة تتواجد بالضرورة، ولا يمكن جذف مضمون نص أو عزله، وخاصة ما يعود الى الوظيفة المرجعية المحضة ("الخبر الكامل" "الموضوعي" في معنى الدلالة بالكلام على الاشياء ذاتها بعيدا عن الباث) والوظيفتان الانفعالية والانتباهية بالخصوص اذا فهمناهما فى المعنى الواسع (مثلما ذهبنا اليه مع "تمطيط" نصّ ياكبسون فى أقصى المقادير في هذه النقطة) انما هما فى علاقتهما المتبادلة وترابطهما بالوظيفة المرجعية، تتنزلان في مركز عملية بناء الدلالة.

٢ ــ ٢ ــ ستراوسن ودلالة ما يقال:

ونرجع فى هذا الباب الى الفيلسوف الانقليزى ستراوسن الذى (١٩٧٠، ص ١٩ ــ ٣٣) حرص على توضيح عبارة "دلالة ما يقال".

فلنقدم جملة مثل: /الرئيس عبر عن الرأى القائل بأن سن الخمسين هو المثالي لهذا المنصب/.

أ ــ يوجد مستوى أول لفهم هذه الجملة وهو منزلة قارئ هذا الكتاب الذى يدرك تمام الادراك هذه الجملة (فيمكن له ترجمتها الى لغة أخرى دون مشقة) حتى وان جهل الرئيس المذكور والمنصب الذى يتولاه وهو ما يسميه ستراوس: الدلالة اللسانية.

ب ـ وللجملة مستوى ثان من الفهم اذا تعمقنا الجملة واذا عرفنا من الرئيس المقصود والمنصب الذى يفكر فيه وبعبارة أخرى تضاف الى دلالة الجملة اللسانية معرفتنا الخاصة للدلالة المرجعية للعناصر المبينة وبصورة عامة لجميع ما يرجع الى أشخاص معينين .

ج ـ لكن هذا المستوى لا يلم بالدلالة الكاملة للجملة فعند قراءتها يمكن أن أفيد أن الرئيس له مرشح مفضل (وعمره ٥٠ سنة ومنه جاء تصريحه) وفي هذا المستوى الثالث (وهو مستوى الوظيفة المرجعية وهي لا تمثل العنصر الاخبارى الوحيد) يمكن لنا التحدث عن الدلالة الكاملة، كما يرى ستراوسن، ومن المتفق عليه أن الانتقال من ب الى ج لا يضيف دائما عناصر لها هذه القيمة فقد لا يضاف شئ في ذلك ان لم يكن "لا أمر يزاد لمعنى ب" وهو ما يسترعي الانتباه للدلالة الكاملة للجملة .

وبعد تقديم هذا الرسم يدلي ستراوسن بمجموعة من القضايا التي تبين كأنّ هذه المستويات تتداخل فيما بينها بعضها ببعض، وقد تحتل الكلمة، في مستوى الدلالة الشاملة الكاملة للملفوظ، معنى متسعا أو مجازيا يبعدها عن الدلالة "اللسانية" التي قد تكتبسها في المستوى أ ـ وفي هذا المجال ترفض فكرة "المعجم المثالى" الذى يضمر فيه المستوى أ وتطرح قضية التعاملية الدلالية التى قد تخلق معنى جديدا : " لكن في هذه الفرضية، قد يكون المعجم هو الذى يتبع الفهم وليس الفهم هو الذى يتبع المعجم " (نفس المرجع ص ٢٥) .

ثم ان الدلالة ج قد تناقض الدلالة ب (اذ كانت تتضمنها في مثالنا الاول) فاقول/لا أعرف كيف أشكرك على دماثتك/ لالوم الشخص الذى أخاطبه بقلة أدبه، وزعمنا بتوفير خاصية هامشية استثنائية لمثال من هذا النمط يؤول الى قبول جميع الامكانيات للسخرية والكنايات والاستعارات والاثبات العكسي وهي صور يمدنا بها الكلام .

فمفهوم المرجع معقد، فهب لنا الجملة :/يتمنى سميث أن ينتخب أخوك/ فيبرز من التحليل أنها قد تدرك حسب عدة تأويلات يمكن تكرارها في جمل مثل :

ـ يتمنى سميث أن ينتخب فلان الذى هو بالفعل أخوك .

ـ يتمنى سميث أن ينتخب فلان الذى هو بالفعل أخوك وهو يعرف أنه أخوك .

ـ يتمنى سميث أن ينتخب فلان الذى هو بالفعل أخوك وهو يعرف أنه أخوك والذى يتمنى أن ينتخب لهذا السبب .

فنرى أن الجملة الاولى تترك المجال مفتوحا أمام السوءال: هل ان سميث يعرف العلاقة العائلية بين المرسل اليه الجملة والمترشح للانتخابات وهل يعلق أهمية على ذلك فما هي مكانة هذا الضرب من الاعتبارات في النظرية اللسانية؟ هل يمكن الحديث عن الغموض أو انعدام التعريف؟ وفي أى مستوى يتزل فك هذا الغموض وانعدام التعريف؟ وهي أسئلة تنتظر حلا واضحا.

٣ ـ خـــاتـــمـــة :

ـ ان السمة المشتركة لجملة وجهات النظر التي قدمناها انهــا توءدى كلها الى نقدية لمفهوم "اداتي" محض للكلام حتى وان كانت وظيفته الابلاغية هي التي يعترف بمحوريتها. فهذا النقد لروءية آلية لكلام يتلازم ورفض النظرة الى الدلالة باعتبارها مجموعة يمكن وصفها وصفا شاملا (في لفظ "الاخبار") في صورة متكاملة لا يشوبها الغموض.

وعكسًا يبدو أن الخاصية المميزة الموءلفة للكلام هي هذه "االعبة" (في معنى اللعب في اطار جهاز") التي توءدى الى الدلالة المكونة ضمن حركة تجر الى أمر لا ينضب وله مظهران.

ـ لا وجود "لبداية مطلقة" للخطاب، فالجملة الاولى تقوم على خطاب سابق (حقيقي أو خيالي) توضحه، واللفظ هو مابه يتنزل المتكلم منزلة الفاعل للخطاب، فينظم الى هذا "النسيج". فكل جملة "تفترض" ما قيل (أو ما توقع قوله) باضافة ثراء "الموضوع" وتحتوى مختلف النظريات اللسانية الحديثة على دراسة الافتراضات.

ـ ان العلاقة بين الباث والمتقبل ليست بين قطبين لهما نفس المسافة تجاه نفس الشــيء بـل علاقة بين طرفين مقحمين في حركة. والتمثيل البسيط هو أن نفترض ان المتكلم ينطلق من نية الدلالة البينــة المتمايزة، وان عمل المتقبل هو فصل المفترض عن الموضوع وتقفي نوايا مرجع المتكلم ومسح الغموضات وانعدام التعريفات التي غابت عن ضبط المتكلم في عمله. ولكن لنا أن نشك في دوام الوضوح والروءية التي تخلو من الغموض من جانب الباث فيكفي أن نتساءل عن خطابه الفردى.

المصادر والمراجع

ـ ى٠ل٠ أوستين (١٩٦٢) ، كيف نؤدى الاشياء بالكلم (مطبوعات جامعة اكسفورد) والترجمة الفرنسية : عندما نقول نفعل (لوساى) ١٩٧٠

وهو مجموعة الرؤى "لفيلسوف الكلام العادى"
ـ ا٠ بانفنيست (١٩٦٦) ، قضايا في اللسانيات العامة الجزء الاول (قاليمار)

وبالخصوص الفصول (المقالات) :

٢٠ : "طبيعة الضمائر" كتب سنة ١٩٥٦
٢١ : "في الذاتية في الكلام" (١٩٥٨)
٢٢ : "الفلسفة التحليلية والكلام" (١٩٦٤)

ـ ا٠ بانفنيست (١٩٧٠) "الجهاز الشكلاني لعملية التلفظ" ضمن مجلة اللغات - العدد ١٧ (ديرى ، لاروس) ٠

وأعيد نشره: قضايا في اللسانيات العامة الجزء الثاني (قاليمار) ١٩٧٤ ، وهي مجموعة من المساهمات الاساسية في قضية التلفظ وبانفنيست هو من أوائل من أسسوا ذلك ٠

ـ ر٠ ياكبسون (١٩٦٣) ـ مساهمات في اللسانيات العامة (طبعة منوى) وبالخصوص الفصول (المقالات) :

٩ ـ "الادوات والاقسام والفعلية والفعل في الروسية" كتب سنة ١٩٥٧
١١ ـ "اللسانيات والانشائية" ، (١٩٦٠)

ونشير الى العدد ١٧ من مجلة اللغات (ديدى) ـ لاروس) : "التلفظ" (١٩٧٠) ونجد ضمنها بالاضافة الى مقال بانفنيست ١٩٧٠ المذكور أعلاه دراسة :

ـ ب ٠ ستراوسن "الجملة والعمل في الحديث" ،

XIII – منوال كوليولي :

ان المنشورات عند أ.كوليولي (وبالخصوص المقالات، انظر المصادر والمراجع) تمثل جميعا ميزتين مشتركتين وتصور طريقة صاحبها المنهجية، فهي تولي منزلة كبرى للتفكير النظرى المعرفي وتروم صوغ منوال للكلام في حده العام باعتماد امثلة في التحليل (نماذج طريفة جدا) للظواهر المخصوصة.

وفيما يخصنا نرى في منهاجية كوليولي طرافة مزدوجة: أولا التحذيرات النظرية ومداها سوءال العالم اللساني حول تطبيقه النظرى مع تجنب بعض "الاغراءات" (مثل الاختبارية والشكلانية...) وثانيا: المناهج في البحث الموضوعة والتي تفتح حقل اللسانيات (في نفس الان على ذاته بتقديم نظرية في التلفظ وفي العلوم المجاورة لتسويغ تقاطع اللسانيات بالاشكاليات النظرية الاخرى). ولن نسعى هنا الى التقديم "المكتمل" (بالضرورة تخيّرى وهو عموما غير محقق وسابق لاوانه في الوقت الحالي) ولكن سنحاول مقابل ذلك أن نبرز علي ضوء قراءة "عميقة" لمقالات أ.كوليولي، الخطوط الموجهة في روءيته النظرية.

١ – المواقف النظرية والمعرفية :

ان الحاجة المزدوجة لنظرية الموضوع ونظرية الملاحظة في اللسانيات يلخصها التعريف الموالي "لما هو مشروع وضعًا لمعنى العلم اللساني أى الكلام ومعالجته من خلال اللغات الطبيعية" (كوليولي، ١٩٦٨ ب – ص ١٠٦).

١ – ١ – نظرية الموضوع :

ان الموضوع يعرف بمقتضى علاقة جدلية بين الكلام (أى ازدواجية النشاط الدلالي للابداع والتعرف لدى الفاعلين على "الملكة العالمية لابداع النصوص وتاويلها" (كوليولي ١٩٧٣، ص ٨٣) واللغات (وهي انظمة لها قوانين مخصوصة في التنظيم وآثارها تلاحظ اختباريا في صورة ابداعات مشاهدة).

ونسيان احد هذين القطبين يؤدى حتما الى تقييد لا مشروعي للموضوع وجعله مجموعة سكونية للمدونة حيث قد يقع التحليل في حبس للخصائص المفردة للغة أو اللغات المدروسة، أو الى حل الموضوع في تمييز للخصائص العامة عموما كبيرا بحيث تغيب عنها خصوصية الاجهزة اللسانية لصالح فلسفة غالبا ما تكون عالمية مثالية.

فتصور الكلام كنشاط مزدوج كما حدد أعلاه يعود الى رفض اعتبار موضوع اللسانيات كلا متناسجا منغلقا على نفسه ــ وهي رؤية مطردة نجدها في الحذر التوزيعي الذى يكتفي بدراسة صرفية تركيبية شديدة النقص كما نلاحظها فى مزاعم بعض النظريات الدلالية أو الفلسفية للكلام بوضع الفكر في الكلام وقطعة جذريا عن الواقع المناسب له أى نكران كل أضرب الوجود أو على الاقل أهمية هذه الحقيقة المافوق لسانية: "كلام يفصل فيه المعنى عن المرجع" (كوليولي، ١٩٧٣ ص ٨٥) ــ

وعكس هذه الطرق، ترمي رؤية أ. كوليولي الى توفير تقاطع بين الكلام من جهة و المافوق لسانية وبين اللسانيات والعلوم الاخرى من جهة ثانية وموضوعها هي أيضا، النظر في علاقة المتكلمين الفاعلين بالواقع (علم النفس والتحليل النفسي ونظرية الايديولوجيات...): "ان الكلام نظام لكنه نظام منفتح" (كوليولي، ١٩٧٣ ص ٨٧) ــ

ولنوضح في أى وجهة تؤلف مقترحات أ. كوليولي بعدا من أبعاد نظرية عملية التلفظ بتوسيع اطار نظريات التلفظ المقدمة في الفصل السابق، فالحركة المزدوجة من الابداع والتعرف تبرز مكانة وظيفتي الباث والمتقبل مع تعقيدها بكون الباث هو نفسه المتقبل وكل باث انما هو متقبل بالقوة، ويفضل أ. كوليولي استعمال عبارة "اللافظون": "ان الفاعلين اللافظين عبارة عن مجموعة الكلم الاولية التي بدونها تنعدم عملية التلفظ" (كوليولي، ١٩٧٣، ص ٨٨) ــ فالحوار يؤلف اذن البعد الاساسي للابلاغ فاللافظان وظروف التلفظ (وهي سياق الطرفين) لا تطبع بسمتها الملفوظات (أمارات مثل الضمائر والازمنة والاحداث والهيئات...) فقط، وانما يجب دمجها بعضها ببعض باعتبارها من المفاهيم النظرية. فالتلفظ يحدد كمتتالية من العمليات التحديدية المتنامية تخلق/أو هي مجموعة من الملفوظات. وبصورة أدق تكتسب الملفوظات الممكنة

فيما مرجعية ضمن أنظمة التعليم مقابلة بنقط الضبط التي تؤلفها ظروف التلفظ (الفاعلون اللافظون وزمان التلفظ ...) وهو ما يمنع المزج بين التلفظ ونظرية الاخبار ويختلف مع رؤية اداتية للغة كقانون محايد ("خارج عن البعد الانساني المكون لـ " كوليولي، ١٩٧٣ ص ٨٣) ينادى بتوفيرها اللافظون في عملية العقد والحل للبلاغ (الخبر) فيما يخص المرجع المافوق لساني: "فالابلاغ ذو القيمة المرجعية الخارجية الظاهرة ليس الا حالة قصوى". (كوليولي، ١٩٧٣، ص ٨٦)—

ولا يوجد بالفعل قانون محايد اذ أن "الملفوظ لا معنى له دون نية مزدوجة للدلالة لدى اللافظين المعنيين" (كوليولي، ١٩٧٣، ص ٨٦) "وفي مركز جميع الاعمال الكلامية يوجد ذلك التناسق للانظمة التحديدية بين اللافظين" (كوليولي، ١٩٧٣، ص ٨٥)، فانعدام التناسب بين الابداع والتعرف وعدم التناسج بين أنظمة اللافظين بعضها ببعض يفرض الوضع المركزي في النظرية اللسانية للظواهر التي رفضت بسبب "النقائص" الابلاغية مثل العثرات اللسانية والغموضات واللعب بالكلم والاستعارات، فالنظرية التي تجهل هذه الظواهر أو تحيلها على "الحرية المقدسة للاسلوب — الانزياح (أو) لدرجات النحوية الغريبة" مع تعريفها سلبا انطلاقا من الكلام باعتباره "قاعدة مقولبة موضوعية بينة" (كوليولي، ١٩٧٣، ص ٨٥) هي نظرية لدى أ. كوليولي غير مقبولة جذريا لتدرك النشاط الكلامي.

فكل ملفوظ هو دائما بالضرورة مقولب. فاللافظون لا يكسبون وجوبا نفس القواعد في القولبة (و أ. كوليولي يقصد بذلك الميلان المجازى والتقليبات والتنويعات العروضية والتقييمات الذاتية...) فالغموض عنصر مكون للكلام.

وبالاضافة الى رفض المقابلة بين اللغة والحديث، يلازم، تحديد المفهوم للتلفظ، تعريف جديد لقضايا الدلاليات، والامثلة المجراة للظواهر المحلية التي نجدها في مقالات أ. كوليولي تعتبر منتمية الى مجال "دلاليات شكلانية" ويمكن تمييز هذا المجال حسبما يلي: فموضوعة هو الدراسة التنظيمية للدلالة حيث تدرك لسانيا اى باعتبارها: "العلاقة المعقدة بين الملفوظات (النصوص) وظروف التلفظ والمعنى (علاقة بين "مواضيع" لسانية تشير الى مسائل ما فوق لسانية بخصائصها الفيزيائية والثقافية) والقيم المرجعية" (كوليولي، ١٩٧٣، ص ٨٦). فالدلاليات الشكلانية تدرس من ناحية "ظروف التلفظ" ومن ناحية

اخرى هى "انظمة اشتقاق الجمل التكرارية" (سلسلة من القواعد تربط رسما مبدئيا بمجموعة من الملفوظات مثل :

جون يسوق السيار
جون يسوق
السيارة لها جون الذى يسوقها
السيار لها جون كسائق
السيارة تساق من طرف جون
السيارة سيقت ... الخ وهى امثلة ماخوذة من كوليولي ، ١٩٧١ ، صص٩ — ١٣)

وانطلاقا من هذه النظرة لا تكوّن التركيبية والدلاليات مجالين منفصلين : "ويحسن أن يكون الفصل الجوهرى بين التركيبية والـدلاليـات يـؤدى حتما الى ارساء تركيبية مع معجم يتضمن قواعد الاجراء" (كوليولى ١٩٦٨ب ،ص١١٣)—

١ — ٢ — نظرية الملاحظــة :

ان القضية المحورية للسانيات هي اكتساب نظرية قادرة على دراسة الحدث الذى ينظر فى "اللغات باعتبارها في نفس الان متخالفة ومخصوصة الوحدات عن الاخرى ولكن جميعها تتحمل التعميمية النحوية (الترجمة) وهى حجة على انها تحوى اضماريا مجموعة من الاشكال والعمليات العالمية" (كوليولي ، ١٩٧٣ ، ص ٨٧) .

فالمقصد التفكيرى النظرى فى العلاقة بين العالمى (النشاط المزدوج للكلام) والفردى (الانظمة المخصوصة في كل لغة) — مع الاتفاق على أن نمط القوانين العالمية المسلم بها لدى ا. كوليولي لا تخص المضمون (سمات دلالية عالمية للمعجم كما هو الشأن عند تشومسكى) وانما تميــز العمل.

وهذه الاشكالية تحدد تأرجحا جدليا بين التنظير والملاحظة ويؤكد ا. كوليولي وهو يتوخى في هذه النقطة طريقة اللسانيات العامة ، على ضرورة وصف اكبر عدد ممكن من اللغات (واختلافاتها الممكنة)، غير ان اللغات لا يعالجها الملاحظ البسيط دون عدد أدنى من الفرضيات والمفاهيم النظرية فيجب : "أن نهجر ميدان الملاحظة المباشرة وهمّا للعملية التجريدية" (كوليولى ، ١٩٦٨ب

ص ١٠٩) و "أن نرفض أن نؤول اللسانيات الى تجميع الظواهر الفردية" (نفسه، ص ١١٧) فتصير الملاحظة عند ذلك تجريبية تسمح باختبار الفرضيات وتلطيف التنظير شيئا فشيئا فتتكون نظرية "بسيطة" (في معنى" الما قبل شكلانية") اى هي تبرز من التجريبية المفاهيم الاساسية (رسوم وعمليات: فالعمليات تلعب دورا بالغ الاهمية اذ آن الكلام ليس قائمة مفردات وانما هو نشاط)، ويقع التعبير عن هذه المفاهيم اعتمادا على لغة ما فوقية يجب أن تتخلص من خطرين لكي تكون متعادلة: الاول اخراج (غالبا دون وعي) تقسيم مسلم به عالميا وهو موروث من الطريقة اللسانية، أو مجرد "قائمة كلامية تلصق بالسطح وتغطى العمليات وتجمد المؤشرات في قيمة مفردة دقيقة" (كوليولي، ١٩٧٣ ص ٨٥)، والثاني تطبيق عدد من المفاهيم الشكلانية المسلم بها على الكلام فالمرحلة التنظيرية اللسانية المحضة ضرورية وبدونها قد تصير المصطلحات الشكلانية مختزلات سطحية أو "تحاصر الكلام فى بعدين" (كوليولي، ١٩٧٣، ص ٨٦) أى فى نهاية المطاف تنعدم قيمتها التفسيرية.

وأما الشكلنة التى تبهر اللسانى فى الوقت الحالي (للتنديد بالدور الايديولوجى الذى تقوم به العلوم التقنية، انظر كوليولي، ١٩٦٨ ب ص‌ص ١٠٦ ومايليها ثم ١٩٧١ ص ٧، و ١٩٧٣ ص ٨٣) فلا تدخل فى حيز الفعل الا بعد مرحلة التنظير اللساني مع احترام طبيعة المفاهيم التى يبرزها اللسانى ويحدد طبيعتها: "فنحن نجهل الابنية الرياضية التى تتجلى متناسجة وخصيبة (...) ولا نورد عددا من الصناعات المنطقية الرياضية لالصاقها بمادة معينة" (كوليولي، ١٩٦٨ب، ص ١١٣) —

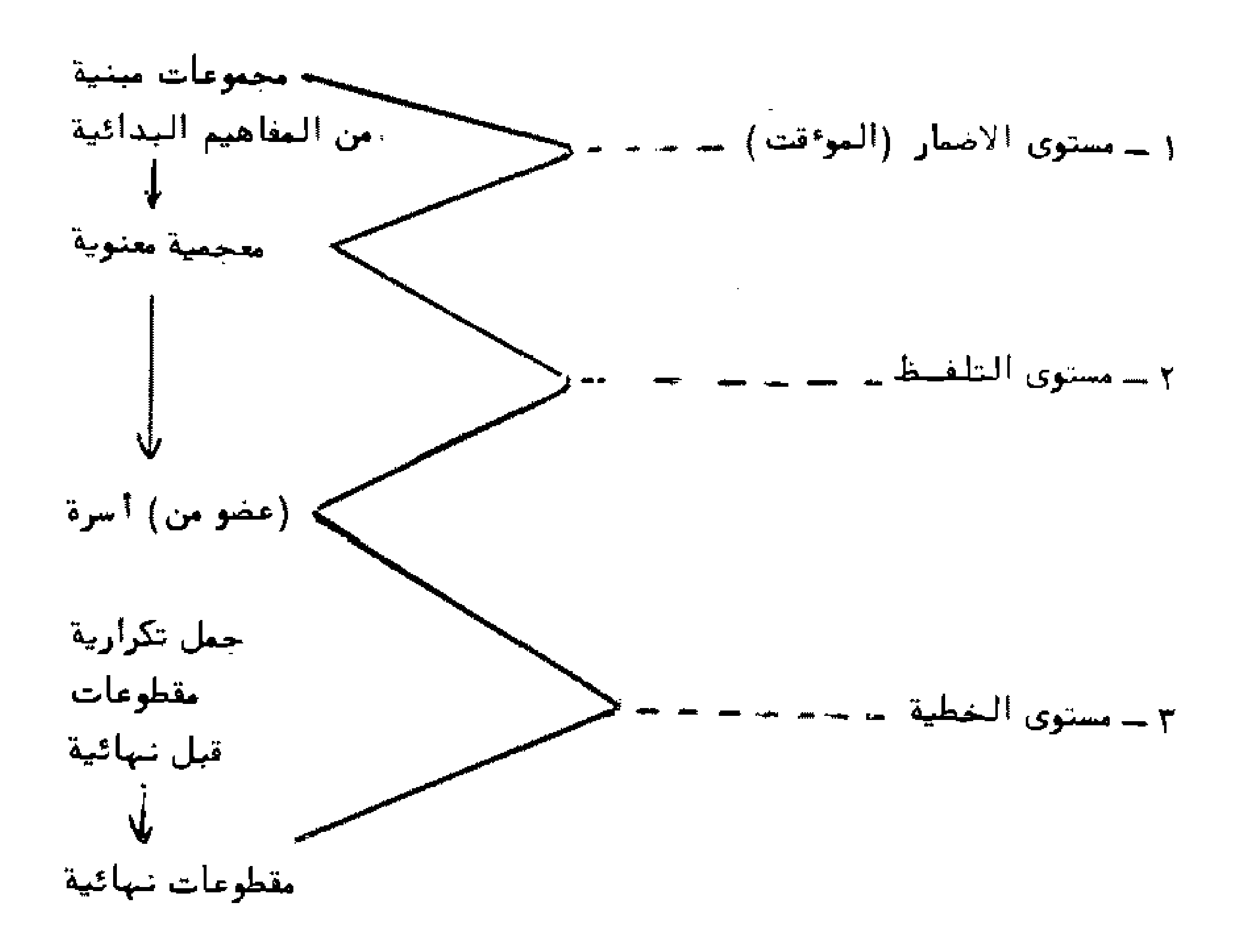
فالعملية الشكلانية تسمح باجراء علمى متين شامل لعدد من النقاط المحلية للنظرية (و لا تشكلـــن الكلام إ فى هذا الصدد) . التى يجعل تاويلها من الممكن اثبات الفرضيات والابنية المنطقية أو نفيها.

ونشير في هذا الصدد الى انه حسب أ. كوليولى من المستحسن أن نختبر النظرية اعتمادا على مقارنة بملاحظات علماء النفس اللغويين: "فاللساني يشكلن منطلقاته الفرضية ويبني لغته المافوقية بحيث أن عالم النفس يدرك النظر في الظواهر التى غالبا ما تكون خفية ليسهل تحديدها بصورة مباشرة واذا اثبتت الملاحظات النفسية اللسانية الفرضيات فان ذلك يدل على أننا لم نخطيء بالضرورة واذا لم تكن الفرضيات والحسابيات التي تستنبط من ذلك الميدان

مجراة تحت اثبات التجربة فانه يجب أن نهجرها ليس مشروحا " (كوليولي ، ١٩٧١ ص ٨) ، ومن الملاحظ في هذه النظرة أن المفاهيم اللسانية التي اقترحها أ. كوليولي تبدو متقاطعة مع مفاهيم علماء النفس التي وضعت لمعالجة اكتساب الكلام لدى الطفل (بالربط بالبناء المعرفي والاختباري) ولنذكر مثالين: أولا: القيم الثلاث الاساس في أداء العلامات (التعادلية: كالمكان والانتماء والتماثل) وثانيا: العمليات التي تسمى بعمليات "الاستخراج " و "التسهيم" فيما يخص المعرفات (وفي هذين الجانبين يمكن النظر في مجلة: اللغات الحديثة، عدد ٣ ، ١٩٦٨. ص ١١٣ وكوليولي وفوك وبيشي ، ١٩٧٠) . فمن البين أن أ. كوليولي لا يرمي الى تخصيصية تجريدية للكلام (كاجراء الكفاءة عند تشومسكي) وانما هو يروم اظهار النشاط الكلامي ـ

٢ ـ المستويات المختلفة في النظرية :

وحرصا على الايضاح ودون أن نؤول قطعا الى مقصد حالة نهائية للنظرية يمكن أن نصور هذه المستويات حسب الرسم التالي :



ونقدم بايجاز بعض التعليقات على هذا الرسم : فالامر يتعلق بعرضية اظهار الفعل الكلامي ووضع فرضية من هذا الجنس يبدو عملا حزيئا في الحال المراهن للمعارف ولكن يجب أن نتذكر أن طرقا أخرى وظاهرها أكثر تواضعا (مثال تشومسكى ١٩٦٥، أنظر ماسبق الفصل ٩) قد برزت جذريا غير متناسقة وذلك بسبب وضع القضية في هذا الاطار العلمي.

وتمثل كل مرحلة من هذا الرسم سلسلة من العمليات تسمح بالانتقال من موضع الى موضع آخر.

ومنطلق أ. كوليولى هو المجموعات المبنية من المفاهيم البدائية ويجب أن نفهم من ذلك الواقع المصفى باللغة بمقتضى الخصائص البدائية (مثل: متمايز /كثيف/ سميك أو مفرد / جمع أو سكون/ حركة...) وباعتبار ما يسميه "تقديرية بلاغية) أى الصور الاستعارية والمجازات الدلالية اللاشعورية (أنظر فى هذا النطاق: كوليولي وفوك وبيشي ١٩٧٠ ص ١٨ وكوليولي ١٩٦٨، ص ٤٦).

فالمرحلة الاولى (الاضمار الموءقت) تمثل اختيار المفاهيم التي ستتوخى في الملفوظ، ويرى أ. كوليولي أن هذه المفاهيم فى هذه، المرحلة مصفاة بواسطة قالب تقعيدى يطلق عليه اسم "رسم ـ "المعجميات المعنوية" وهو قالب له ثلاثة منازل وتحدد مسندا له علتان ويعرّف سلاسل معقدة من العلاقات (فيما يخص القضايا التي تطرحها عملية التسجيل الكتابي ضمن رسم له ثلاثة منازل من الملفوظات وتستعمل أفعالا غير الافعال المتعدية المباشر ، يجب الرجوع الى كوليولي وفوك وبيشي ١٩٧٠ صص ١٩ ـ ٢٤)ـ

ففى مستوى الاضمار تتوفر لدينا مجموعة من المعطيات الذهنية المتعاقدة بواسطة علاقات معقدة تسمى علاقات "باطنية" (شبكة من العلاقات المتبادلة وهى أشدّ تعقيدا وطرافة من العلاقات التى توفرها الابنية العميقة عند تشومسكى ، أرجع الى الفصل ١١ في منوال ماتشوك وشلكوفسكي) ـ

وأما المرحلة الثانية فهي تتضمن عمليات التلفظ ونذكر تضاربا يتمثل في أن عمليات التلفظ المذكورة يجب ضرورة أن تطبق على مادة بحيث يسمى المشار اليه قيمة ذهنية (Lexis) . لكن من البين أن الفاعلين المتكلمين لا يتخيرون "مابه يتحادثون" قبل ارجاعه الى سياق التلفظ أو بعبارة أخرى يجب أن تكون عملية الاخبار والاظهار متتابعة والتلفظ نفسه يحتمل سلسلة مزدوجة : أولا : عمليات الاشتقاق للجمل الكبرى انطلاقا من قيمة معنوية مفردة (بسيطة أو مركبة) ـ مثل :

الضجيج ينهك الطفل
الطفل منهوك ، انه الضجيج
هناك ضجيج وهو ما ينهك الطفل
انه الضجيج الذى ينهك الطفل. الخ...

وثانيا التنسيق التركيبي: النظم (أنظر كوليولي، ١٩٦٨ب، ص ١١٢) و "الصور الاسلوبية" أى مجموعة التوليدات والتقييمات الذاتية الماقبل شعورية أو الشعورية (أنظر كوليولى وفوك وبيشي، ١٩٧٠ ، ص ١٨).

ويرى أ. كوليولي أنه اذا كان اللافظان يملكان نفس القواعد في الاشتقاق الجملي فهما لا يتوفران مع ذلك بالضرورة على نفس القواعد في التنظيم" (كوليولى ١٩٧٣ ص ٨٧) ونلاحظ أن هذه العمليات التلفظية عالمية ومتمايزة في نفس الان فى تنوعها من حيث التحقق حسب اللغات. والتضارب الثاني يلوح في وضعنا الاشتقاق لمجموعة من الجمل الكبرى وفى نفس النسق نضع ترتيب عضو من هذه المجموعة الاسروية فيؤول الامر الى النظر في بقية الاعضاء ونفيها: "فلا مجال لوجود ملفوظ منعزل فكل ملفوظ هو فرد ضمن مجموعة أخرى من الملفوظات وينتقيه اللافظ من بين حزم الملفوظات المتعادلة الممكنة، وبايجاز ينتمى كل ملفوظ الى عائلة من المتحولات الجملية الكبرى (ومن ناحية أخرى) لا يوجد ملفوظ يخرج عن التنظيم أى أنه لا يكون ظاهرة مفردة" (كوليولي، ١٩٧٣، ص ٨٦).

وأما المرحلة الثالثة والاخيرة فهي عملية الطرح في مستوى سلسلة المقطوعة الما قبل نهائية للحصول على التركيب المقطوعي للعناصر حسب القوانين المخصوصة فى اللغة المعينة.

٣ــ خاتـــــمـــــة.

"اننا ننتقل شيئا فشيئا من لسانيات المنازل الى لسانيات العمليات وندرك قليلا قليلا أن الكلام انما هو عبارة عن تعليقية مسترسلة (اسنادية وتلفظية) بفضلها يتمكن اللافظون وهم ينسجون فنا مبنيا من المراجع، من ابداع عدد كبير من الملفوظات فيحددون جمعا من الدلالات" (كوليولى ١٩٧٣، ص ٨٧).

المصادر والمراجــع

ـ أ . كوليولي (١٩٦٧) "الابلاغ اللغوى" ، ضمن موسوعة العلوم الانسانية الجزء ٤ (طبعة فرانج باتليار) .

ـ أ . كوليولي (١٩٦٨) ـ "في باب الجنس في الانقليزية المعاصرة" ضمن مجلة ـ اللغات الحديثة ـ العدد ٣ ـ ١٩٦٨ ، ص ص ٣٨ ـ ٤٦ .
(أنظر أيضا في نفس العدد من المجلة "الدائرة المستديرة" ص ص ١٠٨ ـ ١١٩) .

ـ أ . كوليولي (١٩٦٨) "الشكلنة في اللسانيات" ضمن "كراسات للتحليل ـ عدد ٩ ، ١٩٦٨ (لوسارى) ـ ص ص ١٠٦ ـ ١١٧ .

ـ أ . كوليولي و ك . فوك و م . بيشي (١٩٧٠) "الاعتبارات النظرية فى معالجة الكلام شكلانيا" ـ (وثيقة فى اللسانيات الكمية عدد ٧) ـ

ـ أ . كوليولى (١٩٧١) ـ " فى العمليات المتوخاة لمعالجة اللغات الطبيعية شكلانيا" ضمن مجلة : الرياضيات والعلوم الانسانية ـ عدد ٣٤ (قوتيى ـ فيلار) ص ص ٧ ـ ١٥

ـ أ . كوليولي (١٩٧٣) ـ حول بعض التناقضات فـى اللسانيات" ـ ضمن مجلة "الابلاغات" عدد ٢٠ (لوساى) ـ ص ص ٨٣ ـ ٩١ .

ـ أ . كوليولى (١٩٧٤) ـ "فى مسألة الملفوظات التعجبية" ضمن مجلة : اللغة الفرنسية ـ عدد ٢٢ ـ ص ص ٦ ـ ١٥ .

ـ ك . فوك (١٩٧٢) ـ "نظرية التلفظ وقضايا الاسنادية" ضمن مجلة = اللغات الحديثة ـ ص ص ١٢١ ـ ١٢٥ ـ

ثبت معجمي

انّ هذا الثبت المصطلحى عبارة عن معجم للمفاهيم والكلم المشكلة وليس قائمة للمصطلحات الفنية.

* ملحوظة: نورد المصطلحات كما رتبها المؤلفان (مع التعريب):

Actant	فاعل ـ عامل
Actualiser	حقّق
Amalgame	مزج
Ambiguité	غموض
Arbitraire	اعتباطية
Arbre	شجرة
Assertion	تنظيم
Binarisme	ثنائية
Catégorie	قسم /مقولة
Choix	اختيار
	قانون Code انظر لغة langue
	تعاملية Combinatoire أنظر عوض، بديل variante
Communication	ابلاغ
Compétence	كفاءة
Constituants (immédiats)	مكونات (مباشرة)
Corpus	مدوّنة
Créativité	ابداعية
Diachronie (synchronie)	وصفية، أنظر آنية
Discours (langue)	خطاب، أنظر لغة
Discret	متمايز
Distinctif (trait)	تمييزى، انظر خاصية

Distribution	توزيع
Enonciation	تلفظ (عملية)
Engendrer (génératif)	ولد ، أنظر توليدى
Extra-linguistique (linguistique)	مافوق لساني ، أنظر لسانيات
Fini ≠ infini	نهائي ≠ لا نهائي
Fonction grammaticale	وظيفة نحوية
Fonctionnel	وظيفي
Formalisme (réalisme)	شكلانية ، أنظر واقعية
Forme, formel, formaliser	شكل ـ شكلانى ـ شكلن
Substance	مادة
Génératif	توليدى
Indicateur syntagmatique (arbre)	دليل سياقي ، أنظر شجرة
Information	خبر
Intuition	حدس
Langue -- Parole	لغة ≠ حديث
~ Discours	~ خطاب
~ Code	~ قانون
~ Langage	~ كلام
~ Pensée	~ فكرة
Linéarité	خطية
Linguistique	لسانيات
Linguistique (son objet)	لسانيات ; موضوعها
~ extra-linguistique	~ ما فوق لساني
~ psychologie	~ علم النفس
~ psycholinguistique	~ علم النفس اللغوى
Modalités	أدوات
Monème	لفظم
Morphème	مورفيم مميّز
Mort	كلمة
Neutralisation	محايدة
Opération	عملية
Opposition	مقابلة

Paradigmatique (Syntagmatique)	جدولية أنظر سياقية
Paraphrase	جملة تكرارية (كبرى)
Performatif	محقّق
Pertinent	متميز
Phonème	صوتم
Prédicat	مسند (خبر)
Présupposition	افتراضية
Réalisme ~ formalisme	واقعية ~ شكلانية
Récursivité	تواردية
Référence, référentiel	مرجع ، مرجعى
Règle	قاعدة
Règle de projection	قاعدة الطرح (البنيوى)
Segmentation	تقطيع
Sémantique (Syntaxe)	دلاليات أنظر تركيبية
Sens, Signification	معنى دلالة
Sens, Constitution	معنى ، تكوّن
Analyse (Sème)	تحليل (دليلم : سام)
Invariance	بناء
Recours au sens	اعتماد المعنى
Signe	علامة
Signifier ~ Signifiant	مدلول ~ دال
Signifiant discontinu	دال متفاصل
Stemma	تجميع
Structure profonde ~ Structure de surface	بنية عميقة (ضمنية) ~ بنية سطحية
Substance (forme)	مادة أنظر شكل
Syntagmatique ~ paradigmatique	سياقية ~ جدولية
Syntaxe ~ Sémantique, Système	تركيبية ~ دلاليات نظام
Thème	مبتدأ (معنوى)
Thématisation	ابتداء (معنوى)
Trait distinctif, pertinent	سمة تمييزية ، مميزة
Transformation	محولة
Translation	تحويل

Universaux	قوانين عامة
Universalisme	عالمية
Valeur	قيمة
Variante libre	عوض (بديل) حرّ
Variante combinatoire	عوض تعاملي

تم طبعه فی مطابع همرلي بيتي وجماعته
٢ ر نهج دی داميت ٧٥٠٠٤ ــ باريس ــ

تخيّـر أهـمّ المصطلحات

واثبتنا في معجمنا مجموعة العبارات الاصطلاحية المنتقاة وقد جمعناها مرتبة الفبائيا حسب ورودها في النص وعددها : (٣٧٨) ، وتتوزع على مختلف ابواب اللسانيات المعاصرة.

أ

ابتداء	Topic
اتصال	Contact
اتجاهات	Courants
اختلافات	Différences
اختيار مفرد	Choix unique
اختراق	Interception
اختبارية	Empirisme
استخراج	Extraction
استنباط	Déduction
استعارة	Métaphore
استقراء	Induction
اسمية	Norminalisation
استفهام	Interrogation
اشتقاق	Dérivation
اكتساب	Acquisition
انزياح	Ecart
اعتباطية	Arbitraire
آلية	Mécanique
آلية نفسية	Psycho-mécanique
آنية	Synchromie
ابداعية	Créativité
أبنية تركيبية	Structures syntaxiques
أبنية دلالية	Structures sémantiques

Structures mathématiques	أبنية رياضية
Structures profondes	أبنية عميقة
Structures de surface	أبنية سطحية
Communication	ابلا ء
Mise en relief	ابراز
Affirmation	اثبات
Indicateurs / Sèmes	أدلة
Embrayeurs	دورات
Prédication	اسنادية
Antécédence systématique	أسبقية تنظيمية
Style	أسلوب
Problématique	اشكالية
Indice	اشارة
Traitement	أجراء
Spectrogrammes	أصياف دلالية
Ajouts	اضافات
Catégories	أقسام
Régissant	اعراب

ب

Introspective (Méthode)	باطنية (طريقة)
Axiome	بديهية
Evident	بديهي
Programme	برنامج
Emetteur - Emission	بث ــ باث
Substitut	بديل
Structuralisme	بنيوية
Structure	بنية
Explécite	بين (مظهر)
Message	بلاغ
Dimension	بعــــد



Balancement	تارجح
Interprétation	تاويل
Analyse sémantique	تحليل دلالى
Psychanalyse	تحليل نفسي
Transformations	تحويلات
Parole	تحدّث
Actualisation	تحقيق
Convention	تواضع
Syntagme	تركيب
Syntagme performatif	تركيب تحقيقى
Syntagme constatif	تركيب استنتاجى
Assemblage séquantiel	تركيب مقطوعي
Syntagme prédicatif	تركيب اسنادى
Syntaxe fonctionnelle	تركيبية وظيفية
Syntaxe statique	تركيبية سكونية
Syntaxe dynamique	تركيبية حركية
Tagmémique	ترتيبية
Hiérarchie structurale	ترتيب بنيوى
Hiérarchie linéaire	ترتيب خطي
Notation	ترقيم
Enregistrement	تسجيل
Intonation	تنغيم
Assertion	تنسيق
Classement - Articulation - Evaluation	تقسيم ــ تقطيع ــ تقييم
Identification	تشخيص
Elaboration	تشييد
Isomorphisme	تشاكل
Formulations	تشكلات
Incidence	تسامت
Fléchage	تسهيم
Expérience	بحرية

Contiguïté	تكافؤ
Spontané	تلقائي
Expréssivité	تعبيرية
Fonction expréssive	تعبيرية (وظيفة)
Théorisation	تنظير
Réconnaissance	تعرف
Désignations	تعيينات
Déterminations	تعريفات
Combinataire sémique	تعاملية دلالية
Combinataire	تعامل
Fréquence	تواتر
Tension	توزيعيون
Distributionnalistes	تواز
Parallélisme	توسع
Expansion	توليدية
Générative	تواردية
Récursivité	تواردات
Occurrences	

ث

Binarisme	ثنائية
Dualités	ثنائيات

ج

Paradigme	جدول
Paradigmatique	جدولية
Genre	جنس
Timbre	جرس
Phase	جملة
Phase simple	جملة بسيطة
Phase complexe	جملة مركبة
Phase noyau	جملة نواة

Phase verbale	جملة فعلية
Phase nominale	جملة اسمية
Paraphases	جمل تكرارية
Phases cerammaticales	جمل نحوية

ح

Animé	حـي
Support	حامل
Parole	حديث
Intuitivité	حدسية
Voyelles nasales	حركات أنفية
Décodage	حـل
Faisceau	حزمة
Champ sémantique	حقل دلالي

خ

Discours	خطاب
Information	خبر
Linéarité	خطية

د

Signifiant	دال
Signifiant discontinu	دال منفصل
Dégré d'aperture	درجة انفراج
Sémènie	دليلم
	أو دليل جامع
Indicateur fonctionnel	دليل وظيفي
Indicateur syntagmatique	دليل سياقي
Signification	دلالة
Signification linguistique	دلالة لسانية
Signification référentielle	دلالة مرجعية

Signification complète	دلالة كاملة
Connotation	دلالة سياقية
Somantique (Semantics)	دلاليات
Sémantique générative	دلاليات توليدية
Sémantique interprétative	دلاليات تأويلية
Dénotations	دلالات معجمية

ذ

Atome	ذرة
Subjectivité	ذاتية

ر

Vision	رؤية
Coordination	ربط
Schéma	رسم
Réponse	رد
Jonctifs zéro	روابط صفر

ز

Diacluonie	زمانية
Temps copératif	زمان عملي

س

Auditeur	سامع
Série	سلسلة
Chaîne parlée	سلسلة الكلام
Compact	سميك
Senies variables	تسيمات متغيرة
Senies constants	سيمات قارة
Traits supra-segmentaux	سمات ما فوق مقطوعية
Contexte	سياق



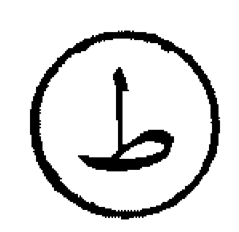
Réseau	شبكة
Labialisation	شفوية
Arbre	شجرة
Arborescence	شجرية
Conditionnelle	شرطية
Forme	شكل
Forme du contenu	شكل المضمون
Forme intérieure	شكل داخلي
Forme extérieure	شكل خارجي
Formulation	شكلنة
Formelle (grammaire)	شكلي (نحو)
Formelle (logique)	شكلي (منطق)
Formalisme	شكلانية



Adjectif	صفة
Boîtes	صناديق
Phonémie	صوتم
Archiphonème	صوتم جامع
Morphologie	صيغية (صرف)
Focus	صدر



Phénoménalogie	ظواهرية
Contrainte	ضغط
Contraintes dérivationnelles	ضغوط اشتقاقية
(Structure) Sous-jancente	ضمنية (بنية)
Pronom	ضمير



Performance	طاقة / ملكة
Procédure de découverte	طريقة الاكتشاف
Procédure de décision	طريقة التقرير
Procédure d'évaluation	طريقة التقييم

ع

Relation Associatives	علاقات مجمعية
Relations syntagmatiques	علاقات سياقية
Signe	علامة
Combinaison	عقد
Nucleus / Nœud	عقدة
Encodage	عملية عقد
Phonétique Générative	علم الاصوات التوليدى
Phonétique Expérimentale	علم الاصوات التجريبى
Phonétique Acoustique	علم الاصوات السمعى
Psychologie Behaviouriste (du comportement).	علم النفس السلوكى
Phonologie	علم وظائف الاصوات
Sémansiologie	علم المدلولات
Onomasiologie	علم الدوال
Mondes possibles	عوالم ممكنة
Lapsus lingae	عثرة لسان
Elément	عنصر
Echantillon	عينة
Universel	عام
Enonciation	عملية التلفظ



Ambiguïté	غموض
Nasalité	غنة خيشومية

ف

Sujet Enonciateur	فاعل للفظ
Inneisme	فطرية
Compréhension	فهم

ق

Code	قانون
Lois Phonétiques	قوانين صوتية
Enchâssement	قبض
Segment	قطعة
Règles de Projection	قواعد العمل

ك

Masse	كتلة
Compétence	كفاءة
Fractions	كسور
Synthème	كلمة مركبة
Langage	كلام
Mot	كلمة
Dense	كثيف

ل

Monème	لفظم
Monèmes fonctionnels	لفاظم وظيفية
Monèmes dépendants	لفاظم مرتبطة
Linguistique	لسانيات
Linguistique des opérations	لسانيات العمليات
Linguistique des états	لسانيات المنازل
Linguistique appliquée	لسانيات تطبيقية
Linguistique intuitionnelle	لسانيات حدسية
Langage	لغة

Langue naturelle	لغة طبيعية
Infini	لانهائي
Intransitif	لازم

م

Connexions	معاقدات
Stemma	مجموعية
Acceptable	مقبول
Déterminé	معرف
Déterminant	معرف
Subordonné	مربوط
Marquants	مميزات
Vide	مجرد
Contenu	مضمون
Relatif	موصول
Groupe nominal	مجموعة اسمية
Groupe verbal	مجموعة فعلية
A priorique	ما قبلي
Transférende	محول
Transféré	محول
Translatif	متحول
Terminologie	مصطلحية
Tardive	متباطئة
Précoce	متسارعة
Domaine Temporel	ميدان زماني
Domaine spatial	ميداني مكاني
Hypothèse	مصادرة
Substance du contenu	مادة المضمون
Recepteur	متقبل
Apport	محمول
Enoncé	ملفوظ

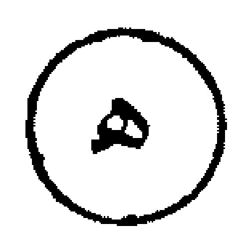
Séquence textuelle	مقطوعة نصية
Féminin	موءنث
Masculin	مذكر
Inaccompli	مضارع
Accompli	ماض
Axe sémdutique	محور دلالي
Discontinu	متفاصل
Continu	متواصل
Corpus	مدونة
Esquisse	مقدمة
Comparaison	مقارنة
Etat	منزلة
Accord	مطابقة
Alternances	مبادلات
Vocabulaire auxillaire	مفردات مساعدة
Vocabulaire terminal	مفردات ختامية
Référence	مرجع
Transitif	متعد
Synonyme	مترادف
Entourage / Setting	محيط
Marques syntaxiques	مواسيم تركيبية
Marques sémantiques	مواسيم دلالية
Différenciateurs sémantiques	متباينات دلالية
Explicite / Implicite	مظهر / مضمر
Stimulus	منبّة
Observation	ملاحظة
Discret	متمايز
Sténographique	مختزل
Synllabe	مقطع
Constituants immdiats	مكونات مباشرة
Compléments	مفاعيل
Prédicat	مسند

(Sujet)	مسند اليه
Traitement	مجرى
Comportement	مجرى
Ordre	مرتبة
Identique	متماثل
Auxiliaire	مساعد
Locuteur - Auditeur idéal	متكلم سامع مثالي
Composante sémantique	موءلفة دلالية
Composante syntaxique	موءلفة تركيبية
Composante interprétative	موءلفة تأويلية
Composante phonologique	موءلفة فنولوجية
Quantifications	مكميات
Opérateurs	معملات
Présupposition	موضوع (مفترض)
Maîtrise du langage	ملكة الكلام
Destinateur	مرسل
Destinataire	مرسل اليه
Thématisation	معنوية
Distance	مسافة
Prise de position	موقف
Epistémologie	معرفية
Posulat	مسلمة
Oppositions phonétiques	مقابلات صوتية
Données	معطيات
Sens	معنى
Modèle	منوال
Hétérogène	متمازج
Amalgame	مزيج
Formule	مشكلن
Concept	مفهوم
Signifié	مدلول

Suite	متتالية
Onomatopées	محاكاة الاصوات
Morphénie	مورفيم
Lexique	معجم
Lexicologie	معجمية
Non-sexué	مجنس (غير)
Neutre	محايد

ن

Accent	نبرة
Négation	نفي
Psychologisme Métaphysique	نفسية غيبية
Tissu	نسيج
Vibration	نزيز
Texte	نصّ
Activité	نشاط
Point d'articulation	نقطة النطق
Grammaire générative	نحو توليدى
Néo-Grammairiens	نحاة جدد
Système clos	نظام مغلق
Système paraprastique	نظام جملي تكرارى
Système vocalique	نظام حركى
Théorie standard élargie	نظرية نموذجية شاملة
Fini	نهائى
Intention	نيّة
Type	نمط
Typoligie	نمطية
Output	نقصان
Noyau	نواة



Aspect	هيئة
Marginal	هامشي

و

Unités Grammaticales	وحدات نحوية
Unités lexicales / Lexèmes	وحدات معجمية
Unités discrète	وحدات متمايزة
Unité minimal	وحدة دنيا
Moule	وعاء
Fonction	وظيفة
Fonction de Communication	وظيفة ابلاغية
Fonction de verbe	وظيفة فعلية
Fonction d'actant	وظيفة فاعلية
Fonction de circonstant	وظيفة ظرفية
Fonction poêtrique	وظيفة انشائية
Fonction référentielle	وظيفة مرجعية
Fonction dénotative	وظيفة مفهومية
Fonction cognitive	وظيفة معرفية
Fonction Emotive	وظيفة انفعالية
Fonction expréssive	وظيفة تعبيرية
Fonction conative	وظيفة افهامية
Fonction phatique	وظيفة انتباهية
Fonction métalinguistique	وظيفة ما فوق لسانية

فهـرس الاعــلام

نورد الاعلام التي ذكرت في نصّ الكتاب في العربية والاعجمية حسب ترتيب ألفبائي :

ش

Zolkovskij	شلكوفسكي

ف

Weinrieche, V	فاينرايش، ف
Fucks, Catherine	فوك ك
Fillmore, C	فلمور، ك
Fodor, J. A	فودور، ج.ا
Faut, G	فوت .ج
Freud	فرويد

ق

Guillaume, G	قيوم .ق
Gougenheim, G	قو قنهايم ، ج
Grinm	قريم
Goffic, Pierre Le	قوفيك ، بيالي

ك

Katz, J. J	كاتز، ج.ج
Culiali, A	كوليولي ،ا

ل

Lakoff, G	لاكوف ، ج

م

Martinet, A	مارتيني ، ا
Marx	ماركس
Mel'cuk	مالتشوك

ه

Halle, M	هال ، م
Harris, Z	هاريس، ز

أنجز طبعه على مطابع
ديوان المطبوعات الجامعية
الساحة المركزية بن عكنون ـ الجزائر


مكتبة بكاي الالكترونية